الطريق إلى طروادة تبدأ من القاهرة

ص13

سيزار أبي خليل

رجل دولة يخلط الكهرباء بالطائفية بالبواخر التركية

ص8

رسالة عتاب من أردوغان إلى الأميركيين

ص6

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/08/12

01 ذو الحجة 1439

السنة 41 العدد 11077

Sunday 12/08/2018

41st Year, Issue 11077

النهضة تضغط عبر الشارع لمنع إصلاحات اجتماعية

● الحركة توظف المشاعر الدينية في حملة انتخابية سابقة لأوانها لانتخابات 2019 في تونس

❑ **تونس** – عمدت جمعيات دينية وأئمة معروفون بقربهم من حركة النهضة إلى تنظيم تظاهرة سياسية جمعت فيها الآلاف من أنصارها في العاصمة التونسية تحت شعار مواجهة إصلاحات اجتماعية ينتظر أن يعلن عنها الرئيس الباجي قائد السبسي، الاثنين، في خطوة قال متابعون للشأن التونسي إن هدف النهضة من ورائها استعراض القوة والضغط لمنع تمرير الإصلاحات، واستثمار المشاعر الدينية في حملة سابقة لأوانها للانتخابات التشريعية والرئاسية 2019.

وتظاهر الآلاف من التونسيين، السبت، أمام مقر البرلمان، رفضا لتقرير لجنة الحريات الفردية والمساواة التي شكلها الرئيس التونسي بغرض إعداد تقرير حول القضايا المتعلقة بالحريات الفردية والعامة.

ورفع المحتجون وهم أئمة وشخصيات منتمية إلى الأحزاب والجمعيات الإسلامية في تونس وفي مقدمتهم حركة النهضة الشريكة في الحكومة، شعارات منددّة بالتقرير ومن بينها "تقرير اللجنة انقلاب على الدستور"، و"تغيير أحكام المواريث اعتداء على القرآن"، و"التقرير يكرّس الصراع الأيديولوجي"، و"شعب تونس حرّ.. والتقرير لن يمرّ".

وألقى عدد من الإسلاميين المعروفين بمواقفهم المتشددة خطابات موجزة من أعلى منصة قبالة المحتجين دعوا فيها إلى التصدي للتقرير، حيث وصف المفتي السابق حمدة سعيّد أصحاب التقرير بـ"المتفسخة" وتساءل "أهم أعلم من الله؟ أهم أدرى بصلاح الكون والإنسان من الله؟".

وهاجم فتحي العيوني الناشط الإسلامي ورئيس بلدية الكرم (شمال العاصمة تونس) والمدعوم من حركة النهضة التقرير بشدّة قائلا إنه "ينسف الدين الإسلامي في تونس ويضرب الدولة في مقوّماتها وتحديدا الدين".

وأضاف في كلمة تجنّدت قناة الجزيرة لبثّها مباشرة أن الدستور أكد على تمسّك الشعب بتعاليم الإسلام وحماية المقدسات.

وكان نورالدين الخادمي، وزير الشؤون الدينية في عهد حكومة "الترويكا" التي قادتها النهضة 2013/2012 من أهم الأسماء التي شاركت في التظاهرة، وقد اعتبر في كلمته أن كل من خرج للتظاهر ضدّ تقرير اللجنة قد نال عملا صالحا يثاب على فعله.

ويعرض تقرير لجنة الحريات الفردية والمساواة مقاربة تشريعية للحسم في مسائل اجتماعية عالقة مثل المساواة في الإرث بين الجنسين وإلغاء مهر الزواج ومنح المرأة لقبها العائلي لأبنائها. وجوبهت المقاربة برفض من الإسلاميين وخاصة من قيادات في حركة النهضة.

وسبق التحضير للوقفة الاحتجاجية العديد من الخطابات التحريضية التي سوّق لها البعض من أئمة الجمعة.

ويقول مراقبون إن الهدف من الهجمة الواسعة على التقرير إثارة الشارع التونسي ضد الإصلاحات الاجتماعية التي تنوي تونس الإعلان عنها، الاثنين، بمناسبة يوم المرأة، لافتين إلى أن حركة النهضة التي تتهم بتحريك هذه الموجة من الاحتجاجات تهدف إلى تثبيت نفسها كوصية على الدين والمساجد والضغط على المؤسسات التشريعية بألا تفكر مستقبلا في تقديم أي مشاريع للتحديث والتطوير.

وأشار المراقبون إلى أن النهضة التي احتمت بالتوافق في الحكم ما مكنها من السيطرة على الانتخابات المحلية تسعى الآن لتسجيل نقاط إضافية تمكنها من مواصلة الهيمنة على المشهد السياسي والفوز في انتخابات 2019 من بوابة اللعب بالعواطف والمشاعر الدينية.

ووجهت العديد من الوجوه السياسية والحقوقية اتهامات لحركة النهضة بانتهاز الفرصة لإعادة لعب أوراق توظيف الإسلام والمساجد والأئمة لأغراض سياسية بحتة هدفها الإعداد للانتخابات التشريعية والرئاسية في عام 2019.

وقال فاضل عاشور الكاتب العام لنقابة الأئمة في تصريح لـ"العرب" إن الاحتجاجات التي تم تنظيمها قبالة مجلس نواب الشعب من قبل عدد من الأئمة لا تخرج في طياتها عن عمليات تجييش تُذكّرنا بسنوات التحريض والدعوات إلى الفتنة في أعوام 2012 و2013 خلال حكم حركة النهضة.

وأشار عاشور إلى أن التقرير اجتهاد من اللجنة، وأن الأئمة ليسوا مخولين شرعا وقانونا للاعتراض عليه أو السعي إلى إسقاطه، مشددا على أن مجلس نواب الشعب يمثل السلطة الوحيدة المخولة للمصادقة عليه أو إلغائه.

من جهتها، استهجنت بشرى بلحاج حميدة رئيسة لجنة الحريات الفردية والمساواة ما أسمته بمحاولات الترهيب والتكفير التي ينتهجها رافضو بنود التقرير.

وأكّدت بلحاج حميدة أنه من حقّ أي مواطن تونسي أن يحتج على أي شيء بما في ذلك فحوى التقرير لكن في حدود الضوابط السلمية والمدنية التي يضبطها القانون والدستور التونسي.

وحمّلت رئيسة اللجنة وزير الشؤون الدينية أحمد عظوم كل ما حصل من حملات تكفير وتحريض ضدّها وضد أعضاء اللجنة وبعض المثقفين والإعلاميين المدافعين عن التقرير، متسائلة "لماذا لم يتحرّك الوزير، أليست المساجد تحت سيطرته".

كما تساءلت عن غياب أجهزة الدولة كالأمن والقضاء وخاصة حول البرود الذي تعاملت به مع حملات التكفير التي تم شنها ضد أعضاء اللجنة منذ نشر التقرير.

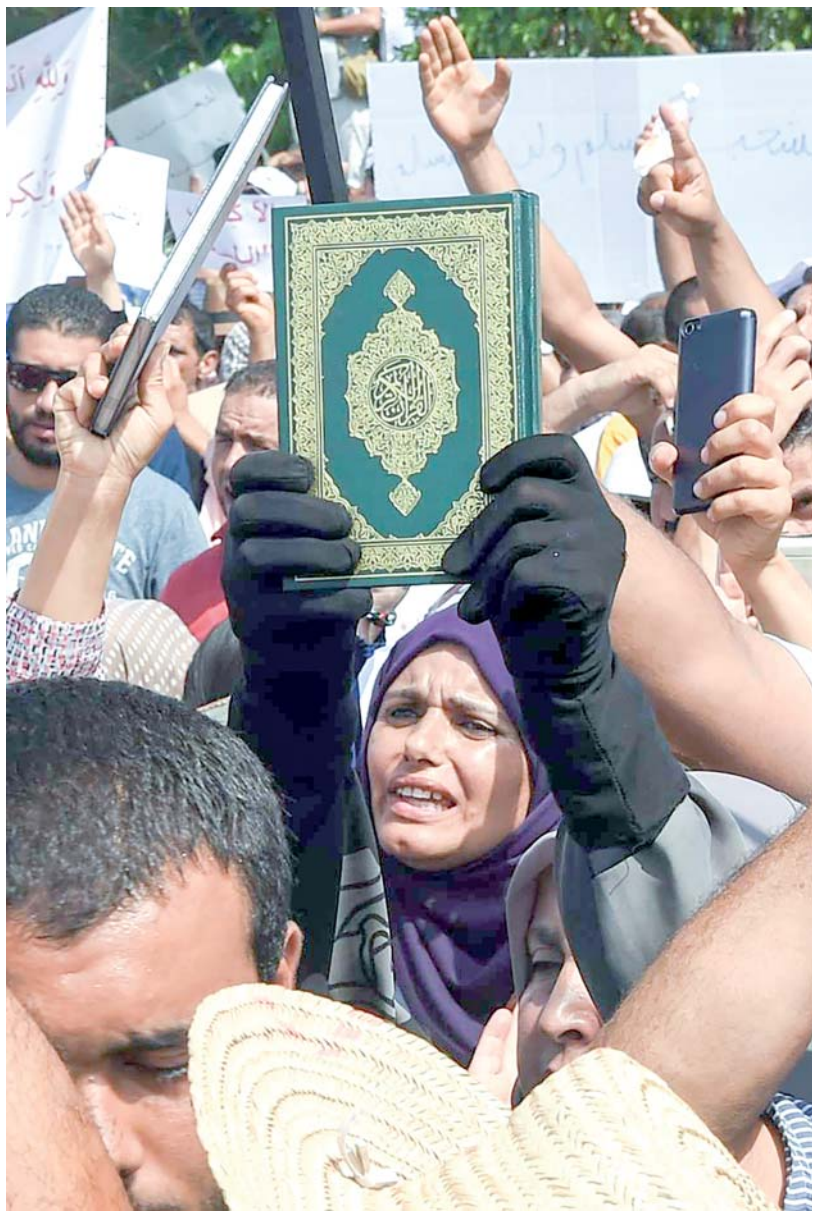

توظيف الدين للسيطرة على المشهد السياسي

الخلافات الأجنبية تعطل التسوية الليبية

❑ **طرابلس** – بات الليبيون مقتنعين بأن أزمة بلادهم المعقدة يصعب حلّها ليس فقط بسبب خلافاتهم، ولكن وبالأساس بسبب تدخلات خارجية وصراعات بين دول مختلفة حول التحكم في مواقع النفط.

وتشير مصادر ليبية مقيمة في القاهرة إلى أن تحكم دول أجنبية بأوراق الملف الليبي قد ينتهي إلى مواجهة عسكرية بينها عبر وكلاء ليبيين من الميليشيات المختلفة خاصة بالعاصمة طرابلس.

وكشف مصدر لـ"العرب" على علاقة بالملف الليبي، أن وقوع هذه المعركة سوف يعيد الأزمة إلى نقطة الصفر، وينسف الجهود التي بذلت خلال الفترة الماضية لتهيئة الأجواء لمصالحات داخلية بين القوى المتصارعة، ويمثل انتكاسة لجهود توحيد المؤسسة العسكرية الليبية.

وخرج إلى السطح في الفترة الأخيرة صراع فرنسي إيطالي بشأن العملية السياسية في ليبيا. وفيما تدعم فرنسا إجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية نهاية العام الحالي، وفق ما تم الاتفاق عليه في لقاء باريس الذي جمع رئيس حكومة الوفاق فائز السراج وقائد الجيش المشير خليفة حفتر في يوليو 2017، فإن إيطاليا تجاهر بمعارضة الانتخابات معتبرة أن الوضع الليبي لا يسمح بذلك.

ومنذ أيام أثارت تصريحات السفير الإيطالي في طرابلس جوزيبي بيروني بشأن تأجيل الانتخابات في ليبيا إلى ما بعد الاستفتاء على مشروع الدستور غضبا في الشارع الليبي، وتظاهر المئات من الليبيين بميدان الجزائر في قلب العاصمة طرابلس، معلنين رفضهم لما يصفونه بالتدخل الإيطالي في ليبيا، ولتصريحات السفير.

ويقول مراقبون إن القوى الأجنبية تصب الزيت على النار حين تتعامل مع الميليشيات وتدعم بعضها للحفاظ على مصالحها مثل ما يروج من اتهامات لإيطاليا بأنها تدعم إبراهيم الجضران وميليشياته للسيطرة على الهلال النفطي في ضوء خلافها مع حفتر.

ولم يخف محمود جبريل رئيس الوزراء الليبي الأسبق أن الدول الأوروبية المتدخلة في الأزمة الليبية "تدرك جيدا قوة الميليشيات بل إن بعضها استعان بها علنا لتسهيل وحماية مصالحه بليبيا".

طرابلس على وشك مواجهة كارثة عسكرية جديدة

ص4

آمال العبادي لولاية ثانية تتضاءل بسبب الالتزام بالعقوبات الأميركية على إيران

● العبادي يتجه إلى طهران لامتصاص غضبها ● القوى الشيعية تباشر البحث عن رئيس وزراء جديد في العراق

❑ **بغداد** – جاء إعلان رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي عن قرار بلاده الالتزام بتنفيذ العقوبات الأميركية على إيران، ليضع طموحاته في الحصول على ولاية ثانية بمنصبه، في "مهب الريح"، فيما شرعت قوى عراقية صديقة لطهران في البحث عن بديل له.

وفي محاولة لامتصاص غضب الجارة الشرقية الوصية على الشأن العراقي، يتوجه العبادي، الأربعاء، إلى طهران.

وأعلن مسؤول سياسي عراقي أن العبادي سيزور الأسبوع المقبل كلا من طهران وأنقرة، الحليفتين الاقتصاديتين اللتين تتعرضان لعقوبات أميركية جديدة.

وكان العبادي أعلن، الثلاثاء، أن العراق مضطر إلى التزام العقوبات الأميركية على إيران رغم عدم "تعاطفه" معها، مذكرا بأن بلاده عانت الحظر الدولي طوال 12 عاما.

وقال في مؤتمره الصحافي الأسبوعي "لا نتعاطف مع العقوبات ولا نتفاعل معها لأنها خطأ استراتيجي لكننا نلتزم بها".

وعلمت "العرب" أن "إيران وجهت عبر قنوات غير رسمية، لوما شديدا للعبادي، لدى إعلانه التزام العراق بالعقوبات الأميركية"، متهمة إياه "بالسعي إلى إرضاء واشنطن، أملا في ولاية ثانية".

وقالت مصادر سياسية مطلعة في بغداد إن "أطرافا عراقية مقربة من إيران نقلت للعبادي انطباعات بالغة السوء في طهران، بسبب موقفه من العقوبات".

وبالرغم من مساعي بغداد للحصول على استثناءات أميركية من العقوبات على إيران، إلا أن العراق بدأ فعليا الامتثال لها.

وعمم البنك المركزي العراقي، وهو أعلى سلطة نقدية في البلاد، أمرا على المؤسسات البنكية العراقية كافة، ينص على منع التعامل بالدولار الأميركي، مع نظيراتها الإيرانية.

وبمجرد صدور هذا التعميم، توقفت عمليات تحويل الملايين من الدولارات الأميركية من مصارف العراق الحكومية والخاصة، التي كانت تتم بشكل يومي، تحت مختلف الذرائع، إلى نظيراتها الإيرانية.

وتقول المصادر إن هذا الإجراء أغضب الإيرانيين بشدة، وعزز قناعتهم بأن "العبادي صار جزءا من المعسكر الأميركي في العراق".

ووفقا لمصادر وتقديرات شخصيات سياسية عراقية بارزة، فإن "إيران ستتخذ موقفا مشددا من ترشح العبادي لولاية ثانية".

وفيما يمكن أن يكون خطوة أولى للرد الإيراني على العبادي، تواصلت قوى سياسية عراقية مقربة من طهران، مع أطراف مختلفة "لاستمزاج رأيها، بشأن المرشحين لمنصب رئيس الوزراء الجديد".

وتقول مصادر مطلعة في بغداد إن "ائتلاف دولة القانون بزعامة نوري المالكي، وتحالف الفتح بزعامة هادي العامري، باشرا التسويق لمرشح جديد لمنصب رئيس الوزراء".

وتؤكد المصادر أن طهران تدعم ترشيح طارق نجم، وهو قيادي في الصف الثاني من حزب الدعوة الإسلامية، شغل منصب مدير مكتب رئيس الوزراء في ولاية المالكي الأولى بين 2006 و2010.

وتلقت قوى سياسية، سنية وكردية، اتصالات من شخصيات قيادية في دولة القانون والفتح، للسؤال عن إمكانية دعم ترشيح طارق نجم لمنصب رئيس الوزراء.

وبالرغم من أن العبادي هو المرشح الوحيد فعليا لمنصب رئيس الوزراء، إلا أن حظوظه تراجعت منذ إعلان نتائج الانتخابات العامة في مايو، حيث حل ثالثا بعد قائمة "سائرون" التي يدعمها رجل الدين مقتدى الصدر، وقائمة "الفتح" التي تدعمها إيران.

ويقول مراقبون إن "العبادي لم يعد لديه ما يراهن عليه باستثناء الدعم الأميركي".

وتضم الساحة السياسية الشيعية خمس قوى رئيسية، حققت الفوز خلال انتخابات مايو، هي على التوالي؛ سائرون، والفتح، والنصر، ودولة القانون، والحكمة بزعامة عمار الحكيم.

وبينما فشل العبادي، حتى الآن، في بناء أي تحالف واضح، أبرم الفتح ودولة القانون اتفاقا للعمل المشترك، فيما يؤكد الصدر والحكيم تطابق مواقفهما بشأن مفاوضات تشكيل الحكومة.

لماذا لا يقلّد خامنئي... الخُميني

خيرالله خيرالله

» ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

ماكرون في جولة لشمال أفريقيا للحد من نفوذ القوى المناوئة لفرنسا

الأزمة الليبية، الهجرة السرية، الوضع في الساحل على رأس الأولويات

يستعد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لزيارة دول شمال أفريقيا أواخر العام الجاري، في خطوة تكشف تحرك الدبلوماسية الفرنسية للحد من نفوذ الدول المنافسة لباريس في الساحة الأفريقية خاصة في الملف الليبي أمام عودة الاهتمام الأميركي بالصراع الليبي وسباق مع روما لم يهدأ أبدا. ويتوقع مراقبون أن تطرح الجولة المرتقبة للرئيس الفرنسي استراتيجية جديدة للتعامل مع الملفات الشائكة، بغية إقناع أصدقاء باريس بتبني مقاربتها لحل الأزمة الليبية على غرار ملف الهجرة غير الشرعية ومعضلة الإرهاب والوضع في منطقة الساحل الأفريقي.

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – تتصدر المقاربة الفرنسية لحلحلة الأزمة الليبية، والوضع في منطقة الساحل الصحراوي، علاوة على الهجرة غير الشرعية ومحاربة الإرهاب، الأجندة التي تحملها حقيبة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون خلال زيارته المنتظرة إلى شمال أفريقيا والشرق الأوسط قبل نهاية العام الجاري، في خطوة تلمح إلى مراجعة باريس لاستراتيجيتها في التعاطي مع دول المنطقة، من العلاقات الثنائية إلى الشراكة الجماعية، لا سيما في ما يتعلق بالملفات الشائكة.

> الجولة المرتقبة لماكرون تطمح إلى تكوين اصطفاف في المنطقة خلف المقاربة الفرنسية، بغية تطويق دور بعض القوى الإقليمية المؤثرة، وسحب البساط من النفوذ الإيطالي والتركي والقطري في الأزمة الليبية بعد ثبوت انحيازه لجهات معينة ولمصالح ضيقة

ويرتقب أن يقود ماكرون جولة إلى كل الجزائر والمغرب وتونس وليبيا، فضلا عن السعودية، وهي الزيارة المعول عليها من طرف قصر الإليزيه لفتح أفق علاقات جديدة بين باريس ودول منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط، لا سيما بعد فترة ميزها الفتور بين فرنسا والجزائر، منذ تولي ماكرون القيادة السياسية بعد نجاحه في السباق الرئاسي العام الماضي.

وبحسب مراقبين في المنطقة، فإن جولة الرئيس الفرنسي المرتقبة، ستؤسس لتحول استراتيجي في كيفية تعاطي باريس مع دول المنطقة، فبعد تركيز أسلافه على إرساء علاقات ثنائية معها، يتوجه ماكرون لبناء شراكة فعلية، خاصة في ما يتعلق بالملفات الحساسة المطروحة، كالهجرة السرية ومحاربة الإرهاب والوضع في منطقة الساحل والأزمة الليبية، فضلا عن التعاون الاقتصادي والتجاري.

وكان الرئيس الفرنسي، قد أرجأ زيارة ثانية للجزائر في فيفري الماضي، بعد زيارته الأولى التي وصفت بـ"الاستعراضية" في ديسمبر 2017، إذ لم تفض إلى نتائج ملموسة ترتقي إلى تطلعات البلدين لبناء شراكة متطورة، وهو ما أدخل علاقات البلدين في حالة من الفتور، لا سيما بعد الخطوات المتخذة من طرف الحكومة الفرنسية، والمتعلقة بالقانون الجديد للهجرة وعدم الحسم في مسألة الذاكرة التاريخية المشتركة.

وترمي ملفات الأزمة الليبية والوضع في الساحل الأفريقي والحرب على الإرهاب والهجرة السرية، بثقلها على العلاقات الفرنسية مع دول شمال أفريقيا والشرق الأوسط، حيث تسعى باريس إلى إقناع شركائها في المنطقة بمقاربتها لحل الأزمة من خلال التسريع في إقامة مؤسسات شرعية منتخبة في طرابلس، ومراجعة سياستها المتصلة بالهجرة، باعتبار أن باريس هي الوجهة الأولى للجالية والمهاجرين المغاربة، فضلا عن تعزيز جبهة محاربة الإرهاب في الساحل الصحراوي، بالقوى العسكرية لدول شمال أفريقيا.

وتطمح الجولة المرتقبة للرئيس الفرنسي إلى تكوين اصطفاف في المنطقة خلف المقاربة الفرنسية، بغية تطويق دور بعض القوى الإقليمية المؤثرة في الملفات المطروحة، وسحب البساط من النفوذ الإيطالي والتركي والقطري في الأزمة الليبية بعد ثبوت انحيازه لجهات معينة ولمصالح ضيقة.

ويتوقع محللون سياسيون، ألا يكون طريق ماكرون لشمال أفريقيا والشرق الأوسط مفروشا بالسجاد الأحمر، في ظل تباين المواقف بين باريس وبعض عواصم المنطقة، حيث لا زالت الجزائر تتمسك برفض إقامة مراكز احتجاز للمهاجرين الأفارقة على أراضيها من أجل الحد من الضغط المتنامي على سواحل الضفة الشمالية لحوض المتوسط، كما أنها ترفض الانخراط في مجموعة القوة الأفريقية لمحاربة الإرهاب التي أنشأت العام الماضي برعاية فرنسية، بدعوى عقيدة المؤسسة العسكرية القائمة على عدم خروج الجيش عن حدود إقليم البلاد.

وتتزامن زيارة ماكرون إلى جزائر، مع دخول الولاية الرئاسية الحالية للرئيس عبدالعزيز بوتفليقة، أنفاسها الأخيرة، ما سيطرح بحدة موقف باريس المؤثر في المشهد السياسي المحلي بشأن الجدل القائم في البلاد، بين مؤيد لترشيح الرجل لولاية خامسة، رغم الظروف الصحية الصعبة، وبين تشدد المعارضة ورفض المشروع.

ورغم الدعم الذي حظي به ماكرون من طرف السلطات الجزائرية خلال تقدمه لخوض الاستحقاق الرئاسي الأخير، فإن الرجل لم يبد تفاعلا مع الوضع في هرم السلطة الجزائرية، عكس سلفه فرنسوا هولاند، الذي دعم استمرار بوتفليقة في السلطة، ويملك بصمة في تمرير الولاية الرابعة (2014)، وهو ما لم يتجل في مواقف ماكرون، رغم حاجة أركان السلطة الجزائرية ومحيط قصر المرادية تحديدا، لتزكية فرنسية لمشروع الولاية الخامسة.

ومع ذلك يجري التركيز على بعث شراكة اقتصادية وتجارية، تكفل لباريس استعادة مكانتها في السوق الجزائرية، في ظل المنافسة القوية للصين وتركيا، حيث ينتظر أن تكون الزيارة إعلانا عن إطلاق مصنع "بيجو" للسيارات بعد سنوات من المفاوضات المتعثرة، ليكون نموذجا لشراكة تستهدف الانفتاح على أسواق القارة الأفريقية.

وكشف رئيس غرفة التجارة الجزائرية الفرنسية في باريس قاسي آيت يعلي عن "لقاء مرتقب بين رجال أعمال جزائريين ونظرائهم الفرنسيين في أكتوبر القادم بباريس لتقييم ملفات الشراكة، وسيكون مصنع علامة السيارات الفرنسية 'بيجو' على رأس المشاورات". وأضاف المتحدث في تصريح لموقع "سبق براس"، أن "معظم

دبلوماسية فرنسية نشطة

ملفات الشراكة الاقتصادية التي كانت عالقة بين الجزائر وفرنسا عرفت طريقها إلى الحل، بما فيها مشروع مصنع بيجو الذي سيفتح أبوابه للإنتاج مع نهاية السنة الجارية بطاقة إنتاجية تصل إلى 100 ألف سيارة سنويا".

وأوضح أن "الشراكة المستقبلية بين البلدين لن تشمل فقط السوق الجزائرية، وإنما تتعداها إلى السوق الأفريقية، من خلال إبرام عقود ثلاثية تكون فيها الجزائر المستثمر وفرنسا المرافق التكنولوجي وبلد أفريقي ثالث يتم إنجاز المشروع على ترابه".

تونس.. من حكومة متحزبة إلى أحزاب الحكومة

أمين بن مسعود
كاتب ومحلل سياسي تونسي

❑ تعرف المشهدية السياسية الراهنة في تونس مفارقات عديدة قلّ نظيرها منذ اندلاع أحداث يناير 2011، لعلّ أهمها أنّ التوافق الحزبي (النهضة والنداء) الذي جاء بحكومة يوسف الشاهد انفرطت عراه وتشتت مقوماته، وعلى الرغم من هذه السببية إلا أنّ الحكومة لا تزال موجودة في دفة السلطة في القصبة.

المفارقة الأخرى أنّ اللبنة المركزية لبقاء الحكومة لا تتمثل في التوافق حولها كما هو حاصل في كافة التجارب الديمقراطية، بل في عدم وجود إجماع برلماني حول سقوطها، إذ يبدو من الواضح أنّ شبه التوافق الحاصل على منح الثقة لوزير الداخلية الجديد كان استثناء مرحليا وتكتيكيا لمشهدية استعصاء قد يعرفها البرلمان عقب العطلة الصيفية.

وقد يكون من أبرز تمظهرات المفارقة في المشهد السياسي، أن الحزب الأغلبيّ، نداء تونس، الذي يدعو إلى إسقاط الحكومة بل ويحوّل هذا الهدف إلى عنوان أساسي في مستوى التقارب والتباين مع الأحزاب السياسية، لا يسحب وزراءه من حكومة يوسف الشاهد ولا يخيرهم علنا بين البقاء في الحكومة أو صلب العائلة الندائية.

هكذا يصبح المشهد السياسي مزيجا من الفوضى والمزاجية والمكاسرة الشخصية والصراعات الزعاماتية، فاتحاد الشغل الذي يدعو إلى إسقاط الحكومة يوقع معها اتفاقيات اجتماعية، والنداء الذي يريد رأس الشاهد لا يتجرأ في سحب وزرائه من قصر القصبة، والأحزاب التي تسعى إلى إسقاط الحكومة حالا، لا تجد غضاضة في تأجيل معاركها إلى حين العودة البرلمانية وفي تعليقها إلى حين اقتراب الاستحقاقات الانتخابية الكبرى والمفصلية، والنهضة التي كانت أقلية في حكومة ندائية باتت اليوم قابضة على الحكم والحكومة سوية.

وفي المحصلة، لا يمتلك الداعون إلى إسقاط حكومة الشاهد، القدرة البرلمانية ولا الرغبة الحقيقية في الإطاحة بها، ولا يمتلك الطرف الأقوى المساند للحكومة القدرة على تحويل "فيتو" سقوط الشاهد إلى توافق يؤصل لحزام سياسي وبرلماني واسع داعم للشاهد.

في مثل هذا الوضع الغريب والمشهد المفارقاتي، حيث تقريبا البلاد مهددة بوضع استعصاء سياسي وبرلماني شبيه بعبارة "البطة العرجاء" في الولايات المتحدة، تتشكل ظواهر سياسية جديدة على غرار "أحزاب الحكومة" ونعني بها الأطراف السياسية المنشقة عن أحزابها لدعم عمل وسياسات الحكومة.

فمن طبيعة الأوضاع السياسية الاستقطابية بين الحكومة وضدها، سيما وإن تعلقت الأمور بمشهدية اقتصادية واجتماعية حرجة كالحاصلة في تونس، أن تثمر حالات من التشرذم والتشتت صلب الأحزاب التي قد تتشقق على وقع الاختلافات والتباينات الكبرى حيال السياسات والاستحقاقات الانتخابية القائمة والقادمة.

وهو بالضبط ما حصل في مرتين على الأقل، الأولى صلب حزب نداء تونس حيث أصدرت مجموعة نيابية وسياسية معتبرة برئاسة النائب سفيان طوبال بيانات سياسية عديدة لدعم حكومة يوسف الشاهد، في تناقض عضوي مع خطاب وسياسة الشق الثاني برئاسة حافظ قائد السبسي.

صحيح أنّ الانشقاق تمّ جسره مؤخرا، وقدم السبسي الابن تنازلات عديدة لمنع الانشقاق الخامس في النداء، وصحيح أيضا أن خارطة طريق تمّ اعتمادها لإنجاز المؤتمر الندائي بداية العام المقبل، ولكن الصحيح أيضا أنّه لا توجد أي ضمانات لعدم تكرار هذا الانشقاق مرة ثانية سيما وأنّ الحزب يعاني من أزمات هيكلية وبنيوية خطيرة كثيرا ما تتمظهر قبل المؤتمرات وبعد الانتخابات.

أما الثانية، فهي التي جدّت مؤخرا في حزب مشروع تونس بقيادة محسن مرزوق، إذ قدّم خمسة نواب من كتلة الحرة التابعة للحزب، استقالتهم من الكتلة والحزب منددين بسياسة أمينه العام تجاه الحكومة، ومعبرين بشكل من الأشكال عن تضامنهم مع ساكن القصبة.

قد يجادل البعض بأنّ الذي أخرج غالبية النواب من نداء تونس، هو ذاته الذي أخرجهم من مشروع تونس، أي التناقض في السياسات والخطاب والأداء مع السبسي الابن، وأنّ تقاطعهم مع محسن مرزوق كان تقاطع الاختلاف مع رئيس الهيئة التنفيذية للنداء، ولكنّ القضية في العمق ليست التناقض في حدّ ذاته، بل ما قد يفضي إليه هذا الأخير من شبه التحام مع الشاهد، وهو ما تمّ فعلا.

هكذا تتحوّل حكومة الشاهد من "حكومة ائتلاف حزبي" تحت عنوان الوحدة الوطنية، إلى "حكومة حزب واحد" مدعومة من "أطراف حزبية" اختارت الخروج من تنظيماتها السياسية الكبرى لدعم خيار بقائها وتواصلها.

صحيح أنّ الكثير من الأطراف السياسية غير راضية عن أداء الحكومة، لكنّها في المقابل معارضة لإسقاطها سيما وإن امتزج خيار ضربها برغبات القيادة وطموح الوراثة، وهو ما يدركه الشاهد جيّدا وما يعمل على استثماره سياسيا في ظلّ إبقاء النهضة على فيتو سقوطه.

هل سيعمد الشاهد إلى تحويل أحزاب الحكومة إلى حزب موحّد بقيادته يدخل به المعركة الانتخابية البرلمانية والرئاسية في حال اختار سيناريو "ماكرون"، أم أنّه سيكتفي بدور المنقذ الراهب الذي رفع صوته عاليا في وجه السبسي الابن وقاد ثورة ناعمة ضد ضعف السبسي الأب حيال الابن؟

أسئلة عديدة وممكنات كثيرة، تنتظر الاستحقاقات القادمة لتأكيد البعض أو تفنيد أخرى، ولكن الواقع أنّ جزءا كبيرا من "أحزاب الحكومة" لا يجمعها بعد المشروع السياسي ولا الاستراتيجيا المستقبلية بقدر ما يؤلف بينها التناقض مع السبسي الابن.

> صحيح أنّ الكثير من الأطراف السياسية غير راضية عن أداء الحكومة، لكنّها في المقابل معارضة لإسقاطها سيما وإن امتزج خيار ضربها برغبات القيادة وطموح الوراثة، وهو ما يدركه الشاهد جيّدا وما يعمل على استثماره سياسيا في ظلّ إبقاء النهضة على فيتو سقوطه

النهضة ند قوي في المشهد السياسي في تونس

إحباط محاولة استهداف كنيسة العذراء في مصر

❑ **القاهرة** – أعلن التلفزيون المصري الرسمي، السبت، مصرع انتحاري وإحباط محاولة استهداف لكنيسة في شمال العاصمة، واصفا الحادث بـ"الإرهابي". ونقل التلفزيون في نبأ عاجل، أن "أجهزة الأمن أحبطت محاولة استهداف كنيسة العذراء (السيدة مريم) في مسطرد (شمال القاهرة)".

وأوضح التلفزيون أن "الإرهابي أحاط نفسه بحزام ناسف كان في طريقه للتسلل وسط الأقباط المحتفلين بمولد العذراء". وأضاف أن "التشديدات الأمنية في محيط الكنيسة دفعت الإرهابي إلى التراجع وتفجير نفسه بحزام ناسف كان في طريقه للتسلل وسط الأقباط المحتفلين بمولد العذراء". وأضاف أن "التشديدات الأمنية في محيط الكنيسة دفعت الإرهابي إلى التراجع وتفجير نفسه أعلى جسر مسطرد المقابل للكنيسة"، فيما ذكرت وكالة الأنباء الرسمية المصرية أن "القوات الأمنية المكلفة بتأمين الكنائس في احتفالية مولد السيدة العذراء نجحت في إحباط محاولة أحد الأشخاص كان يرتدي حزاما ناسفا من اقتحام كنيسة العذراء بمسطرد، أثناء تواجده أعلى جسر مسطرد".

وأشارت إلى أن "الأمن تعامل معه ومنعه من الاقتراب من الكنيسة فقام بتفجير نفسه قبل مسافة نحو 250 مترا من الكنيسة حيث لقي مصرعه في الحال"، مشيرة إلى بدء التحقيقات لمعرفة ظروف الواقعة. ولم يصدر عن وزارة الداخلية المصرية بيان بشأن الحادثة حتى منتصف نهار السبت.

وبدأ مسيحيو مصر، الثلاثاء الماضي، احتفالات صوم السيدة مريم، التي تستمر 15 يوما، وسط تشديدات أمنية مكثفة في محيط الكنائس بالقاهرة وبقية المحافظات. وتُعرف احتفالات صوم السيدة مريم في مصر باسم "مولد العذراء" ويحضرها المسيحيون من مختلف الجنسيات، وعادة تساهم في تنشيط وانتعاش السياحة الدينية بالبلاد.

وشهدت مصر في العامين السابقين، تفجيرين لافتين، أولها تفجير بكنيسة البطرسية الملاصقة للكاتدرائية الرئيسية للمسيحيين الأرثوذكس في ديسمبر عام 2016، وثانيها تفجيران طال كنيستين شمالي مصر، في أبريل عام 2017.

وأعلن داعش مسؤوليته عن التفجيرات التي طالت الكنائس الثلاث، فيما أعلنت السلطات المصرية الطوارئ عقب الحادث الثاني في البلاد، وفي أبريل قرر الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي تمديد حالة الطوارئ لثلاثة أشهر أخرى.

ضغوط تدفع قوات الأسد إلى تأجيل معركة إدلب

عدم توافق موسكو وطهران يربك دمشق وأنقرة متوجسة من المعركة

تشير كل التطورات الحاصلة في الملف السوري إلى أن عدم توافق طهران وموسكو من جهة وتوجس أنقرة من جهة أخرى بشأن المعركة الاستراتيجية المنتظرة في محافظة إدلب، قد يدفع بالنهاية قوات نظام بشار الأسد إلى إعلان إرجائها إلى شهر سبتمبر المقبل رغم أن القصف الجوي على معاقل قوى المعارضة خلال الخميس والجمعة الماضيين يوحي بعكس ذلك تماما بل وينذر بأن معركة الحسم قد انطلقت فعليا.

القصف لا يعني بداية المعركة

❏ **دمشق** – كشف قائد ميداني يقاتل مع القوات الحكومية السورية أن معركة محافظة إدلب شمال غرب سوريا لن تبدأ قبل بداية شهر سبتمبر المقبل.

وأفاد السبت، بأن القوات الحكومية التابعة لنظام بشار الأسد "ستواصل إرسال تعزيزات عسكرية إلى محافظتي حماة وإدلب"، مؤكدا أن أول التعزيزات توجهت الجمعة إلى معسكر جورين في أقصى الشمال الغربي من محافظة حماة وقرب مدينة جسر الشغور في ريف إدلب الغربي.

وأكد القائد العسكري أن "تعزيزات عسكرية أخرى للقوات الحكومية وصلت إلى مواقع للقوات الحكومية شرق مدينة حماة استعدادا لمعركة ريفي حماة وإدلب، والتي من المنتظر أن تنطلق في مطلع سبتمبر القادم".

ومن جانبه، قال قائد عسكري في جيش العزة التابع للجيش السوري الحر إن فصائل المعارضة المشاركة في الجبهة الوطنية للتحرير تستعد لمعارك محافظة إدلب وريفي حماة الغربي والشرقي، وأن عدد مقاتلي الفصائل أكثر من مئة ألف مقاتل بقيادة فضل الله الحجي على جبهات ريف حلب الجنوبي وجبهات إدلب وريفي حماة الشرقي والغربي وريف اللاذقية.

وكشف مصدر رفيع المستوى في المعارضة السورية أن تركيا أبلغت فصائل المعارضة شمال الأراضي السورية بالاستعداد للمعركة بقولها "استعدوا للمعركة ونحن نتدخل في الوقت المناسب".

وأكد المصدر، الذي طلب عدم ذكر اسمه، "لن تترك تركيا فصائل المعارضة كما حصل في غوطة دمشق ودرعا، بل سوف يكون لها وجود قوي في شمال سوريا من خلال الفصائل المرتبطة بها".

وأشار المصدر إلى وجود تعزيزات عسكرية تركية لنقاط المراقبة في ريفي حماة وحلب بشكل يومي، موضحا أن "هناك توافقات تركية روسية ولكن تركيا لن تتخلى عن الفصائل ما دام النظام غير قادر حاليا على استعادة مناطق الشمال السوري، التي تسيطر عليها وحدات حماية الشعب الكردي، الهدف الأساسي للجيش التركي وفصائل المعارضة في الشمال".

وكان كبير مستشاري المبعوث الدولي إلى سوريا يان إيغلاند قد حذر في وقت سابق مع اندلاع عمليات حربية في المدينة المكتظة بالسكان، داعيا المجتمع الدولي إلى منع امتداد الحرب إلى هذه المنطقة.

وتعتبر أنقرة مدينة إدلب خطا أحمر لما يمكن أن تنتجه الحرب فيها من تداعيات عليها، على رأسها التوجّس من تدفق المزيد من اللاجئين السوريين على أراضيها، علاوة على دعمها المتواصل لجماعات إسلامية تتمركز في المنطقة وتأتمر بأمرها.

وتسعى الحكومة التركية بالموازاة مع إعلان القوات الحكومية السورية عزمها خوض حرب مصيرية في إدلب إلى تعزيز نفوذها في الشمال السوري خاصة في مناطق منبج وجرابلس وعفرين، حيث سبق أن اتفقت أنقرة مع واشنطن على خارطة طريق بخصوص منبج، وقامت بتسيير 13 دورية مشتركة معها حتى الآن.

وأقامت تركيا نقاطا لها في ريف إدلب الشرقي وريف حلب الجنوبي، القريبة من جبهة النظام، مثل نقطة العيس وتل الطوقان.

وتحكم أنقرة قبضتها على منطقة عفرين التي قامت باحتلالها في عملية غصن الزيتون التي استمرت لشهرين.

وعقب تحقيق نظام الأسد لانتصار في درعا على حساب فصائل معارضة سيطرت على المنطقة لسنوات، يشير محللون إلى أن معركته المقبلة تبدو أصعب، خاصة في محافظتي إدلب وقنيطرة، وذلك نتيجة للظروف الدولية التي تحيط بهما.

وبات وجود الفصائل المعارضة والإسلامية في سوريا ينحصر تقريبا في أجزاء من منطقتين أساسيتين: محافظة القنيطرة، ومحافظة إدلب في الشمال.

ويعتبر الكثير من المحللين أن ما لوحظ الخميس من فجوة بين موقفي طهران وموسكو بشأن التعاطي مع ملف محافظة إدلب الخاضعة لاتفاق "خفض التصعيد" الموقع بين البلدين ومعهما أنقرة، عبر استعجال إيران النظام السوري شن هجوم، فيما بدا أن روسيا تفضل إفساح المجال أمام الدبلوماسية، هو ما أدى إلى تراجع النظام السوري عن فكرة البدء في الحرب.

يان إيغلاند

إدلب مصدر قلقنا الرئيسي، فهي مكتظة بالمدنيين الضعفاء ووضعها أكثر تعقيدا من الغوطة الشرقية

يد الإرهاب تقتل أمنيا أردنيا

❏ **عمان** – أعلنت وزارة الداخلية الأردنية في بيان، السبت، عن مقتل عنصر أمني وإصابة ستة آخرين بجروح، الجمعة، في انفجار عبوة ناسفة زرعت أسفل سيارة دورية أمنية مكلفة بحماية مهرجان فني سنوي غرب العاصمة عمان.

وقال البيان إن "انفجارا وقع مساء الجمعة لدورية مشتركة لقوات الدرك والأمن العام في منطقة الفحيص (12 كلم غرب عمان) وهو ما أدى إلى استشهاد الرقيب علي عدنان قوقزة وإصابة ستة من أفراد الدورية".

وأوضحت الداخلية الأردنية أن الجرحى هم "أربعة من قوات الدرك واثنان من قوة الأمن العام"، من أفراد الدورية المكلفة بحماية مهرجان الفحيص الفني الذي يستضيف سنويا نجوم غناء عربا في منطقة تحمل الاسم نفسه وتبعد 12 كلم غرب عمان واختتم مساء الجمعة.

وأضاف أن "الفرق الأمنية المختصة قامت بالتحقيق وجمع كافة الأدلة المتوفرة من موقع الحادثة وخلصت بتحقيقها إلى أن الانفجار نجم عن عبوة ناسفة بدائية الصنع".

وأوضح أن "التحقيقات أشارت إلى أن العبوة الناسفة تم زرعها قبل وصول الدورية للقيام بواجبها الاعتيادي في الطوق الخارجي لموقع المهرجان" الذي اختتم الجمعة.

وأكد البيان أن "هذا العمل الجبان لن يزيد الأجهزة الأمنية إلا عزما وإصرارا على أداء واجبها المقدس في الحفاظ على أعراض وأموال وأرواح المواطنين".

وتوعدت الوزارة في بيانها بـ"ملاحقة الزمرة الجبانة الفاعلة والقصاص منها بشدة، شأنها شأن كل من حاول أو يحاول العبث بأمن الوطن".

وقال مصدران أمنيان إن "التحقيق مستمر من قبل الخبراء للوقوف على أسباب الانفجار وسيتم إعلان النتائج حال ظهورها".

وخلال زيارة إلى المديرية العامة لقوات الدرك، أكد رئيس الوزراء الأردني عمر الرزاز، السبت، "عدم التهاون في ملاحقة الإرهابيين وحملة الأفكار الهدّامة أينما كانوا وضرورة ملاحقة مقترفي الجريمة النكراء، وتقديمهم إلى العدالة لينالوا الجزاء العادل".

وقال إن "الأردن سيبقى دوما في مقدّمة الركب لمحاربة الإرهاب الغاشم والأفكار الظلاميّة التي تستهدف حياة الأبرياء وتحاول تقويض الأمن والاستقرار".

وأوضح أن "هذا العمل الجبان لن ينال من عزم الأردن، بل سيزيده قوّة ومنعة، وإصرارا على التمسك بقيمه الراسخة، ووحدته الوطنيّة".

من جهته، أكد رئيس مجلس النواب الأردني عاطف الطراونة في تغريدة على تويتر أن "يد الغدر والإرهاب لن تنال من وطننا وسيبقى الأردن عصيا بقيادته وجيشه وأجهزته الأمنية وبشعبه بوجه الإرهاب الأسود وزمرته الجبانة".

مواقف السعودية تُربك كندا الباحثة عن مخرج عاجل لإصلاح الخطأ

ديفيد لجونجرين /عزيز اليعقوبي /كاتي بول

❏ **الرياض** – على مدى أعوام لم يكن الضغط الكندي بشأن حقوق الإنسان في السعودية يتجاوز أكثر من الرفض العادي لكن كل ذلك تغيّر في الأسبوع الماضي عندما تُرجمت تغريدة كندية إلى العربية وأشعلت نزاعا دبلوماسيا.

وعندما ردّت الرياض على دعوة وزيرة الخارجية الكندية كريستيا فريلاند لإطلاق سراح ناشطي مجتمع مدني بقطع مفاجئ للعلاقات الدبلوماسية والتجارية، وجد المسؤولون الكنديون أنفسهم في حيرة محاولين فهم حقيقة ما حدث.

لكن ما لم تتوقعه أوتاوا أن ما فعلته وزيرة الخارجية يعتبر تجاوزا لخط أحمر من وجهة نظر السعوديين.

وفي الثاني من أغسطس كتبت فريلاند تغريدة بالإنكليزية والفرنسية طالبت فيها بإطلاق سراح ناشطتين سعوديتين في مجال حقوق الإنسان.

وفي اليوم التالي كتبت وزارة الخارجية الكندية تغريدة أخرى قالت فيها "نحث السلطات السعودية على الإفراج فورا عنهما وعن كل النشطاء السلميين الآخرين في مجال حقوق الإنسان".

وترجمت السفارة الكندية في الرياض التغريدة إلى العربية وأرسلتها في الخامس من أغسطس إلى نحو 12 ألف متابع.

وكان رد فعل السعودية سريعا فبعد ساعات من نشر التغريدة باللغة العربية استدعت الحكومة السعودية سفيرها ومنعت سفير كندا من العودة إلى الرياض وفرضت حظرا على المعاملات التجارية الجديدة.

وقال مصدران في الخليج إن التغريدة الصادرة عن سفارة كندا في الرياض أزعجت المسؤولين السعوديين بشدة.

وقال أحد المصدرين، الذي طلب عدم ذكر هويته لحساسية القضية، "الأمور تعالج عبر القنوات التقليدية، لكن التغريدة كانت انتهاكا للقواعد الدبلوماسية والبروتوكول".

وقال سلمان الأنصاري مؤسس لجنة العلاقات العامة الأميركية السعودية التي تتخذ من واشنطن مقرا "الرد السعودي استغرق بعض الوقت للسماح بمحادثات سياسية خلف الأبواب المغلقة".

وأضاف "السعوديون اعتقدوا أن الكنديين سيتخذون خطوات للتراجع لكنهم فجأة غردوا بالعربية، كان هذا عملا استفزازيا بشدة من جانب الكنديين.وقال مصدر مطلع طلب عدم ذكر اسمه، إن وزير الخارجية السعودي عادل الجبير ناقش التغريدة المنشورة بالعربية في اتصال هاتفي مع نظيرته الكندية الثلاثاء واحتج على التدخل في شؤون المملكة.

وأظهر رد الفعل الضخم على التغريدة كيف أن المملكة أصبحت تتخذ مواقف أكثر شدة تجاه ما ترى أنه تدخل في شؤونها الداخلية في قضايا مثل حقوق الإنسان.

ويرجح مراقبون أن يكون الموقف الأميركي أكثر تقاربا مع السعودية من كندا، حيث تشهد العلاقات بين الرياض وواشنطن تقاربا استثنائيا بعدما كانت متوترة أثناء حكم الرئيس السابق باراك أوباما نظرا لأن ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان وترامب يتفقان في مخاوفهما بشأن إيران. وعلى النقيض من ذلك اختلف ترامب مع رئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو خلال قمة مجموعة السبع في يونيو بأسلوب غير معتاد علنا.

رد سعودي حيني

وكانت وزارة الخارجية الأميركية قد دعت الجانبين الأسبوع الحالي إلى حل النزاع بينهما بالطرق الدبلوماسية.

وقال توماس جونو، الأستاذ المساعد والخبير في شؤون الشرق الأوسط في جامعة أوتاوا، "كندا ضرر ثانوي، الأمر في جوهره لا يتعلق بكندا وإنما يتعلق برغبة السعودية في إرسال رسالة أوسع نطاقا إلى جيرانها وإلى البلدان الديمقراطية الأخرى".

وباغت رد الفعل السعودي مسؤولي الشؤون الخارجية الكنديين ومنهم وزيرة الخارجية فريلاند، الذين اجتمعوا في مؤتمر أقيم في أحد فنادق فانكوفر الأحد، ووضعهم في حالة من التخبط.

وقالت مصادر مطلعة داخل الحكومة الكندية، حسب ما وصفه مسؤول سعودي، إنه لم يتضح بعد الخطوات التي يمكن أن تتخذها أوتاوا "لإصلاح خطئها الكبير".

وقال مصدر في الحكومة الكندية "أعتقد أنه ليس لدينا فهم قاطع للأمر الآن، ربما تكون هناك حاجة لاتصال آخر (بين فريلاند والجبير)، نحن نتحدث أيضا مع شركائنا بهذا الشأن. لا نرغب في أن تصبح علاقاتنا سيئة معهم (السعوديين)".

وردت حملات إعلامية سعودية على كندا بانتقاد سجل حقوق الإنسان في أوتاوا عقب الإجراءات التي اتخذتها الحكومة بينما أشادت أيضا بحزم العاهل السعودي في "حماية سيادة المملكة".

وفي هذا الصدد أظهرت تقارير تلفزيونية معاناة السكان الأصليين في كندا وقالت إنهم كانوا دائما عرضة للتمييز، فيما تحدثت تقارير أخرى عن "أسوأ السجون الكندية" ووصفت الأوضاع في السجون بأنها مزرية.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم

مختار الدبابي

كرم نعمة

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 – 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

طرابلس على وشك مواجهة كارثة عسكرية جديدة

ميليشيات العاصمة تحكم سيطرتها على مؤسسات الدولة

تتخبط ليبيا في مستنقع من الفوضى السياسية والعسكرية، زادت من تعقيداته حالة المد والجزر في تدخل القوى الغربية للتعامل مع ما يجري في هذا البلد شديد الانقسام والتشتت ولا تلوح في أفقه القريب بوادر القدرة على تكوين نظام سياسي مستدام وقابل للحياة طالما يعجز فرقاء الداخل وقوى الخارج عن إعادة تجميع ليبيا.

محمد أبوالفضل

❑ **القاهرة** – كلما تقدمت القوى الليبية الوطنية خطوة نحو تحقيق التسوية السياسية أو إحياء الأمل في جدواها، ضاعفت الميليشيات العسكرية من عمليات العنف لقطع الطريق بضع خطوات على هذا المسار، الذي يكبدها خسائر فادحة ويزعزع المكانة التي اكتسبتها بالدم والنار.

يجد أنصار الفريق الأول في الاتجاه نحو الهدوء سبيلا وحيدا لاستعادة الدولة الليبية من مختطفيها والعمل على تكريس وحدتها واستقرارها. بينما ترى عناصر الفريق الثاني في استمرار الصراعات والتوترات وسيلة للبقاء والنمو وتحقيق مكاسب سياسية ومادية كبيرة.

> حالة طرابلس ليست خافية على القوى الخارجية المنخرطة مباشرة في الصراع، لكنها تتقاعس عن التدخل عمدا، لأنها ترى أن الظروف لم تنضج بعد، وترتاح لاستمرار الاقتتال بين القوى المسلحة لإطالة عمر الأزمة وترتيب الأوراق جيدا، بما يحقق مصالحها

بين هؤلاء وهؤلاء، تقف قوى خارجية عديدة، بعضها يدعم الفريق الأول وغالبيتها يقف مشدودا للفريق الثاني، لأنه يجد في الحرب ذريعة للمزيد من التدخلات، أملا في أن تنضج الظروف فيقطف الثمار وتتحقق أهدافه كاملة. وتتوقف درجة القرب أو البعد عند داعمي هذا الفريق على حجم المخاطر التي تواجهها مصالح أطرافه الرئيسية.

عندما قامت ميليشيات إبراهيم الجضران في يونيو الماضي، بالهجوم على منطقة الهلال النفطي في الشرق للسيطرة عليها مرة أخرى، لم يتحرك المجتمع الدولي بمسؤولية كافية، لأن هناك قوى فاعلة فيه دعمت الجضران ورفاقه ولا تزال، بل هي التي دفعته للقيام بهذه الخطوة لاستعادة هذه المنطقة الحيوية من سيطرة الجيش الوطني الليبي، واستغلال فرصة انهماكه في تحرير درنة وتطهيرها من الإرهابيين.

وعندما ردّت قوات الجيش بقيادة المشير خليفة حفتر بقسوة على تلك التحركات بعد أيام قليلة، استنفرت قوى دولية أدواتها السياسية لإدانة الخطوة التالية، دون التفات إلى صمتها على الخطوة الأولى، أي هجوم الجضران.

بعد تدخلات مضنية من فرنسا وجهود كبيرة من مصر، صدر بيان رباعي من الولايات المتحدة وإيطاليا وبريطانيا وفرنسا، استخدم لأول مرة لغة ليّنة مع قوات خليفة حفتر، فلم يدنها، كما أنه لم يدن صراحة الجضران أو يصدر موقفا يشي بأنه قام بعمل خارج على القانون.

وقال مصدر لـ"العرب" كان قريبا من الاجتماع الرباعي الذي عقد في روما نهاية يونيو، إن البيان الذي أعدّ أولا كان خطيرا في انحيازه للجضران، وبعد مناقشات طويلة جرى التعديل بما حقق مكسبا نوعيا للجيش الليبي ودعم جهود توحيد المؤسسة العسكرية.

وأرجع المصدر جزءا من الارتباك الغربي إلى عدم القدرة على فهم تعقيدات الأزمة الليبية، والتعامل معها بقدر ما تعكسه من تداعيات سلبية على مصالح القوى الغربية. وأصبح من المؤكد أن هذه القوى تتحرك بنشاط عندما تقع كارثة تهدد مصالحها مباشرة. فالقرار الذي أصدرته الدول الأربع حول مراقبة حسابات المصرف المركزي الليبي وطريقة توزيع عوائد النفط غير العادلة، لم يتم تفعيله حتى الآن، بعد أن عادت الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل هجوم الجضران.

كما أن الحديث عن الميليشيات وخطورتها على الدولة الليبية، جرى تجميده مرة أخرى، لأن الأمور عادت إلى المشهد الذي تأقلمت معه غالبية القوى الخارجية، فلا مخاطر كبيرة على حقول النفط والغاز في هذه اللحظة، وكل طرف استعاد تموضعه مع الطرف أو القوة أو الميليشيا التي يدعمها، انتظارا لحدوث كارثة أو تسخين جديد، بعدها تبدأ القوى الفاعلة الضجيج السياسي من خلال خطابات رنانة وتصريحات حادة، ما يجعل عملية التراخي الغربي مثيرة للجدل، في ظل الازدواجية التي تتبناها بعض قواه، وظهرت معانيها بجلاء في ليبيا.

تصعيد في طرابلس

يبدو أن الكارثة على وشك الوقوع قريبا في طرابلس هذه المرة، وليس في الهلال النفطي، فقد استنفرت مؤخرا الميليشيات الكبيرة قواتها في العاصمة، وأهمها تلك التي يقودها كل من هيثم التاجوري وغنيوة الكيكي (أبوعزة) وعبدالرؤوف كارا وبشير خلف الله المكني، ورفعت من جاهزيتها للمزيد من السيطرة على مفاصل المؤسسات الرسمية في طرابلس، التي أصبحت مختطفة من جانب أصحاب المصالح.

وفي المقابل، بدأت ميليشيات من مصراتة والزنتان وطرهونة والتيارات المؤدلجة، مثل الإخوان والقاعدة والسلفيين، تقف على أبواب طرابلس تتحين الفرصة للانقضاض عليها، لتغيير توازنات القوى في العاصمة، لأن الميليشيات الأولى تضخمت واستأثرت على جزء كبير من ثروات الشعب الليبي، ونسجت شبكة قوية من المصالح مع قوى في الداخل والخارج.

اللافت للانتباه أن خلف الميليشيات القابعة في طرابلس والمتربصة بها تقف قوى خارجية، أبرزها إيطاليا وقطر وتركيا، تقدم دعمها للطرفين بغرض الاستحواذ على المفاتيح الرئيسية في الأزمة الليبية والتحكم في مساراتها الراهنة والمقبلة.

المثير أيضا أن هذه القوى – الميليشيات وجدت في الأزمة استثمارا ماديا، يتجاوز حدود القواعد السياسية والأيديولوجية التقليدية، بمعنى أن فكرة التمسك بمواقف داعمة لتيار على حساب آخر لم تعد موجودة حرفيا، فكل ميليشيا يمكن أن تقلب ولاءاتها من النقيض إلى النقيض لحصد أكبر قدر من المكاسب.

وكشف مصدر على علاقة بالملف الليبي لـ"العرب"، أن وقوع هذه المعركة سيعيد الأزمة إلى نقطة الصفر، وينسف الجهود التي بذلت خلال الفترة الماضية لتهيئة الأجواء لمصالحات داخلية بين القوى المتصارعة، ما يمثل انتكاسة لجهود توحيد المؤسسة العسكرية الليبية.

وقال إن خطة رفع أيادي الإخوان ورفاقهم عن مفاصل الدولة، خاصة في الشؤون المالية، سوف تصبح صعبة، إذا لم تقم القوى الدولية (يقصد الرباعي الولايات المتحدة وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا) بدورها في هذه المسألة، لأن الإخوان يديرون هذا الملف بحنكة تضفي عليه صورة قانونية لتحويل الأموال، بشكل خبيث ومنطقي ويبدو مشروعا، للميليشيات الداعمة لهم، والمناوئة لهم لاسترضائها وكل من يحاول ابتزازهم، ما يستلزم وقفة حاسمة من المجتمع الدولي.

وشكك مصدر آخر في حديث لـ"العرب" في فكرة إتمام مصالحات داخلية خلال الفترة المقبلة، وهي الخطة التي يقودها المبعوث الأممي غسان سلامة، لأن قوة الميليشيات التي كونتها القبائل ليست هينة، وخطورتها أن زعماء القبائل عازمون على الأخذ بالثأر، ولدى كل منهم قائمة بمن قتلوا وذبحوا وجرحوا منها وأين ومتى وعلى يد من وهكذا؟ ووفقا للعادات والتقاليد الليبية فمن الصعوبة ترك الثأر بسهولة.

وأوضح أن الحديث عن مصالحة بين مصراتة والزنتان مثلا غير دقيق، والبيانات التي خرجت من هنا أو هناك، تقف خلفها قيادات لا تمثل ثقلا قبليا، وكل ما حدث أن هناك مستفيدين من الأزمة، والمسافة لا تزال كبيرة، ومن الصعوبة أن تطوى إلا في ظل وجود قوة عسكرية مركزية وطنية تسيطر على المفاصل الرئيسية.

وسألت "العرب" المصدر الأول عن إمكانية دخول الجيش الوطني طرابلس لمنع حدوث المزيد من الانفلات وصد الميليشيات العازمة على لخبطة الأوراق، وابتسم الرجل مؤكدا "هذا سيناريو بعيد تماما حاليا، لأنه يمثل انتحارا للمشير خليفة حفتر، الذي يواجه تحديات وعراقيل كبيرة، كما أن الميليشيات المتحكمة في طرابلس والمتربصة بها لديها من القوة والعتاد ما يمكنها من رد هذا السيناريو".

صوت الرصاص لن يهدأ قريبا

نوايا حفتر

أشار المصدر إلى أن الكثير من القوى الغربية تتشكك في نوايا حفتر، ولا تريد له أن يحكم سيطرته على الأراضي الليبية، ناهيك عن وجود قوى محلية رافضة له، والأهم أن خطوة توحيد المؤسسة العسكرية والتي قطعت شوطا جيدا بحاجة إلى المزيد من الدعم الدولي، كي تكتمل ويكون هناك جيش وطني قوي يفرض سيطرته على مقاليد الأمور.

ولفت إلى أن حالة طرابلس ليست خافية على القوى الخارجية المنخرطة مباشرة في الصراع، لكنها تتقاعس عن التدخل عمدا، لأنها ترى أن الظروف لم تنضج بعد، وترتاح لاستمرار الاقتتال بين القوى المسلحة لإطالة عمر الأزمة وترتيب الأوراق جيدا، بما يحقق مصالحها، وخوفا من ارتداد الميليشيات عليها، بالتالي فمعركة طرابلس ستكون اختبارا للكثير من القوى، التي تتشدق بأيهما يجري أولا المصالحة أم إجراء الانتخابات، بينما هناك اقتتال لن يسمح لا بهذه أو بتلك قريبا، وإذا انتصرت رؤية أي من الطرفين، فالنتيجة ستكون أشد أسفا، ما لم يتم التدخل برؤية واضحة تتبناها القوى الدولية ويفرضها على الجميع مجلس الأمن.

تفاوض سياسي مؤجّل بين قوات سوريا الديمقراطية والنظام

رانيا رضوان مصطفى

❑ انتهت الجولة الأولى من المفاوضات بين مجلس سوريا الديمقراطية (المظلة السياسية لقوات سوريا الديمقراطية الكردية – العربية والنظام السوري)، في دمشق بتأسيس إدارة مشتركة تخصّ الجانب الخدمي، مهمّتها التنسيق بين الإدارات.

لم يتم التطرق إلى الجانب السياسي فهو مؤجّل بالنسبة إلى النظام السوري، إذ مثّله في المفاوضات وفد أمني بقيادة علي مملوك، دون حضور شخصيات سياسية أو حكومية من قبله.

هناك اتفاقات بين النظام ومجلس سوريا الديمقراطية حول تقاسم ثروات النفط في شرقي الفرات، حيث تسيطر قوات سوريا الديمقراطية على 70 بالمئة من الموارد النفطية والغاز، فضلا عن الموارد المائية في سدي الطبقة وتشرين. أما ما تحقق على أرض الواقع، فهو السماح بذهاب فنّيين ومهندسين إلى مناطق قوات سوريا الديمقراطية لإصلاح عنفات توليد الكهرباء في سد الطبقة على نهر الفرات، وعودة موظفي المنشآت الصحية.

فيما وقّع النظام اتفاقا مع شركة كندية لصيانة أنابيب نقل النفط في مناطق سيطرة قوات سوريا الديمقراطية، مقابل حصوله على حاجته من النفط من حقلي العمر والتنك الخاضعين للسيطرة الكردية، لنقله إلى مصفاة حمص عبر حقل الیتم في دير الزور؛ ولنقل الغاز من حقول العمر وتنك والجفرة عبر معمل كونكو في دير الزور إلى محطة جندر في حمص.

التوافقات بين قوات سوريا الديمقراطية والنظام حول القضايا الخدمية هي تبادل مصالح مرحلية؛ لكن كلّ طرف منهما يعتبر ذلك خطوة أولى للحصول بشكل تدريجي على مآرب سياسية مختلفة ومتعاكسة.

يريد الأكراد الاحتفاظ بما أنجزوه من استقلالية وإدارة ذاتية خلال السنوات الأخيرة، وأن لا تعود علاقتهم مع النظام السوري كما كانت عليه قبل 2011، حسب تصريحات القيادي الكردي صالح مسلم. وبالتالي يريدون الحصول على لامركزية كاملة وإدارة ذاتية يعترف بها النظام.

يدرك المفاوضون من مجلس سوريا الديمقراطية، كما داعش من قبل، قوة الورقة النفطية بأيديهم ويراهنون على بقاء واشنطن في مناطق شرق الفرات باعتبار أن لها قواعد عسكرية، وأن أمامها مهمة تقليص النفوذ الإيراني، ومهمة إنهاء تواجد تنظيم داعش في آخر جيوبه في "هجين"، بالإضافة إلى وجود برنامج أميركي لتجنيد الشباب لحماية الحدود مع العراق.

يدعم موقف الأكراد أن واشنطن لا تزال ضامنا لقوات سوريا الديمقراطية في شرق الفرات وتدفعها للحصول على صلاحيات قريبة مما هي عليه الآن.

يعمل مجلس سوريا الديمقراطية على تأسيس إدارة مشتركة، مقرّها عين عيسى شمال الرقة، تُعنى بالجانب الخدمي والاقتصادي والسياسي في مناطق قوات سوريا الديمقراطية؛ ورغم أن هذه القوات ستضطر إلى تغيير سلوكها المحلي الذي بات غير مرغوب به من الأهالي، لكنها تريد بهذه الخطوة تقوية موقفها في مفاوضاتها مع النظام.

عوامل القوة هذه، التي يعتقد الأكراد أنهم يمتلكونها، دفعتهم إلى التعامل مع النظام بعلاقة ندّية عبر مبادرتين. الأولى؛ المشاركة في الهجوم على إدلب وعفرين. لكنهم أغفلوا أن الهجوم على إدلب، أو على أجزاء منها، مرهون بموافقة روسيا التي لا تزال تحتفظ باتفاقاتها مع تركيا حول خفض التصعيد في إدلب، وحول سيطرة غصن الزيتون بدعم تركي على عفرين. والثانية؛ في بيان حول استعداد قوات سوريا الديمقراطية لمبادلة مخطوفي السويداء من قبل داعش بمخطوفي التنظيم لديها، وعن استعدادها لحماية السويداء من هجمات داعش.

في الجانب الآخر، يرفض النظام السوري وجود سلطات موازية ضمن الأراضي السورية، وهو يحشد لاستعادة السيطرة على إدلب، آخر معاقل المعارضة في الشمال الغربي، فهو أيضا يرفض احتفاظ الأكراد بالإدارة الذاتية. الممكن لديه هو إعطاء الأكراد لامركزية إدارية وفق قانون الإدارة المحلية رقم 107 لعام 2012، مع الاعتراف بحقوقهم الثقافية، وسيطرته على المعابر الحدودية مع العراق وتركيا، وعلى المؤسسات العامة، وأنه يجب تفكيك البنى العسكرية للأكراد وضمّها إلى جيش النظام.

إذا كانت قوات سوريا الديمقراطية تراهن على بقاء واشنطن في سوريا لفترة أطول، فإنّ دمشق تراهن على انسحابها عاجلا أم آجلا. وبعد الانتصارات التي حققها النظام في استعادة سيطرته على دمشق وحمص والجنوب، يراهن على استمرار الدعم بغطاء جوي روسي، ودعم بري إيراني. وبالتالي يملك النظام نفسا طويلا في التعاطي مع حلفائهم الأكراد، فهم لا يزالون المتحكمين في مناحي المفاوضات، مستغلين حاجة الأكراد وقلقهم على ما حققوه من إنجازات تخصّ إدارتهم الذاتية، بعد معاناتهم لعقود من تهميش الحكومات المتعاقبة.

يتفاوض الجانبان، النظام ومجلس سوريا الديمقراطية، ويشكلان اللجان ويعقدان صفقات التبادل النفطي ويتبادلان خطوات حسن النوايا؛ فدمشق سمحت بفتح مكاتب لقوات سوريا الديمقراطية في دمشق ومحافظات سورية، وستسمح لحزب سوريا المستقبل، الممثل الأبرز للعرب ضمن مجلس سوريا الديمقراطية، بفتح مكاتب في دمشق والسويداء. في المقابل تتعاون قوات سوريا الديمقراطية مع النظام في ملفات عدة، منها الملف النفطي، وسلمته أحياء في حلب ومطلوبين من المعارضة.

لكنّ أي تقدم على صعيد التفاوض السياسي مؤجّل، لأنه مرهون بمشيئة اللاعبَيْن الدوليين الرئيسيين في الملف السوري، واشنطن وموسكو. فمجلس سوريا الديمقراطية يؤجل بانتظار قبول دمشق بالإدارة الذاتية كأمر واقع؛ والنظام يراهن على كسب الوقت للانتهاء من تسوية إدلب، وبانتظار الانسحاب الأميركي من سوريا.

خطوة بخطوة

لماذا لا يقلّد خامنئي... الخُميني

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ أمام إيران طريقان للرد على العقوبات الأميركية. يتمثل الطريق الأوّل في القبول بالواقع الجديد والرهان على إمكان عقد صفقة مع إدارة دونالد ترامب. هذا الطريق لن يكون متاحا إلا عبر حوار صريح من دون شروط مسبقة وفي ظل المباشرة في تطبيق العقوبات الأميركية الجديدة التي يبدو أنّها بدأت تفعل فعلها.

الطريق الآخر هو طريق التصعيد. وهذا يعني استخدام إيران لأوراقها في العراق وسوريا ولبنان واليمن... وكأنه لا يكفي ما لحق بهذه الدول وشعوبها من أضرار ودمار وبؤس ومصائب بسبب المشروع التوسعي الإيراني والاستثمار الخطير في إثارة الغرائز المذهبية.

لا وجود لأي معنى سياسي للكلام الإيراني عن رفض أي حوار مع واشنطن في ظل العقوبات الأميركية. لولا العقوبات التي دخلت حيّز التنفيذ في الأيّام القليلة الماضية، لما كان هناك أصلا أي كلام إيراني عن حوار أو حتّى رغبة في الحوار. كل ما كان مطلوبا، إيرانيا، من إدارة ترامب، في مرحلة ما قبل العقوبات، هو التصرّف على طريقة إدارة باراك أوباما. لسوء حظ إيران، تغيّرت الإدارة في واشنطن.

إلى إشعار آخر، ترامب ليس أوباما. قد يتبيّن في النهاية أنّه أسوأ منه، لكنه شخص مختلف كلّيا عنه. لم يعد هناك في واشنطن من يعتقد أن الملف النووي الإيراني يختزل كلّ مشاكل الشرق الأوسط وأزماته وأن دفع كلّ الأثمان المطلوبة من أجل التطبيع مع إيران هدف بحدّ ذاته.

لم يعد هناك في واشنطن من هو مستعد لاسترضاء إيران بأيّ شكل وبأيّ ثمن من أجل الوصول إلى اتفاق في شأن ملفها النووي. هناك إدارة قررت الانسحاب من الاتفاق المتعلّق بالملف النووي الإيراني من منطلق أنّه "الأسوأ" بين كل الاتفاقات التي توصلت إليها أميركا في يوم من الأيّام.

> إيران تستطيع التعلم من تجربة عمرها ثلاثون عاما. في مثل هذه الأيام من العام 1988 قرر آية الله الخميني تناول «كأس السم». أوقف حربا مع العراق استمرت ثماني سنوات

باختصار شديد، ثمة واقع جديد ليس في استطاعة إيران تغييره. في إطار هذا الواقع، لم يعد الجانب الأميركي مستعدا للتغاضي عن التصرفات الإيرانية خصوصا في سوريا حيث كانت إيران وميليشياتها المذهبية تسرح وتمرح إلى أن جاء من يقول لها إن عليها الابتعاد خمسة وثمانين كيلومترا عن الجنوب السوري، فإذا بها تبتعد مئة

لا مفر من الاعتراف بالهزيمة

كيلومتر. الأكيد أنّه لا يزال هناك وجود إيراني في الجنوب السوري وفي دمشق نفسها، لكنّ هذا الوجود لم يعد مكشوفا كما في الماضي. صار على الإيرانيين والتابعين لهم التخفي خلف بزّات الجيش السوري والألوية التابعة لبشّار الأسد.

هناك مرحلة جديدة أطلّت برأسها في اليوم الذي أعلن فيه ترامب في أيّار – مايو الماضي الانسحاب من الاتفاق النووي تاركا للأوروبيين تقليع شوكهم بيدهم وللروس البحث عن كيفية الوصول معه إلى صيغة تفاهم تتعلق بكيفية معالجة الوجود الإيراني في الداخل السوري. كيف ستتعاطى إيران مع هذه المعطيات الجديدة التي ترافقت مع تدهور سعر صرف الريال الإيراني من جهة وتذمر اجتماعي على كل المستويات من جهة أخرى؟

تستطيع إيران التعلّم من تجربة عمرها ثلاثون عاما. في مثل هذه الأيّام من العام 1988 قرّر آية الله الخميني تناول "كأس السم". أوقف حربا مع العراق استمرّت ثماني سنوات. جعلت الواقعية السياسية الخميني يتخذ وقتذاك مثل هذا القرار الصعب الذي كان معناه هزيمة إيرانية وشبه انتصار للعراق في الحرب المكلفة التي خاضها الجانبان وكلفت مئات الآلاف من القتلى والمعوقين وخراب مدن بكاملها وملياردات الدولارات. كانت النتيجة وصول الجانبين إلى طريق مسدود.

كانت حربا عبثية، اللهمّ إلاّ إذا استثنينا أن العراق منع بتلك الكلفة الضخمة اجتياحا إيرانيا أيديولوجيا لأراضيه، وهو اجتياح ما لبث أن تحقّق بفضل الأميركيين في العام 2003. في تلك السنة، دخل قادة الميليشيات المذهبية العراقية، الذين حاربوا العراق وجيشه، إلى بغداد على دبابة أميركية وأعلنوا انتصارهم على البلد الذي يفترض أنّهم ينتمون إليه.

ما الذي يمنع القادة الإيرانيين الحاليين، على رأسهم "المرشد" علي خامنئي من أن يحذوا حذو الخميني الذي استطاع في النهاية الانتقام من العراق وهو في قبره. استطاع ذلك بعد المغامرة المجنونة التي ارتكبها صدّام حسين باحتلاله الكويت في آب – أغسطس من العام 1990، فاتحا الأبواب على مصراعيها أمام انهيار العراق وصولا إلى الوضع الذي وصل إليه اليوم.

استسلم مؤسس "الجمهورية الإسلامية" في إيران أمام العراق بعد القرار الذي اتخذته الولايات المتحدة بوقف الحرب العراقية – الإيرانية. كان كافيا أن يسقط صاروخ انطلق بـ"الخطأ" من قطعة حربية أميركية هي "فينسينز" طائرة ركاب إيرانية من طراز "إيرباص" فوق مياه الخليج كيف تصل الرسالة إلى طهران. فحوى الرسالة أن إيران تستطيع تحقيق انتصارات على العراق والاستفادة إلى حد كبير من الأخطاء السياسية التي يرتكبها شخص مثل صدّام حسين لا يعرف الكثير عن موازين القوى الإقليمية والدولية، لكنها لا تستطيع الدخول في أي مواجهة مباشرة من أيّ نوع مع أميركا. هذا ما استوعبه الخميني، الذي غطّى حصول إيران على أسلحة إسرائيلية في حربها مع العراق، استيعابا جيّدا.

لماذا لا يسير خامنئي على خطى الخميني؟ لماذا لا يقلّده؟ ليس عيبا الاستسلام أمام قوة كبرى مثل الولايات المتحدة. سبق لألمانيا أن فعلت ذلك، كذلك اليابان. في النهاية، يبقى ترامب رجل صفقات. يمكن لإيران أن تراهن على صفقة ما معه وذلك قبل أن تؤدي العقوبات الأميركية التي ستدخل في تشرين الثاني – نوفمبر المقبل إلى نتائج أكثر خطورة في الداخل الإيراني نفسه؟

المسألة مسألة وقت فقط قبل أن نكتشف ما إذا كانت إيران ستعتمد الواقعية التي مهّد لها الخميني قبل ثلاثين عاما... أم ستسير في التصعيد، أي في اعتبار العراق وسوريا ولبنان واليمن، وحتى قطاع غزّة، "ساحات". يمكن استخدام هذه "الساحات" إمّا للتحايل على العقوبات الأميركية وتجاوزها وإمّا لخلق حروب تعتقد إيران أنّها تؤذي الأميركيين. لن يخرج مثل هذا الطريق الشائك إيران من أزمتها، التي هي أزمة داخلية قبل أيّ شيء آخر، لا خلق مشاكل كبيرة في العراق ولا تعطيل تشكيل حكومة في لبنان ولا التحرش بـ"القوة الدولية" في جنوب لبنان، كما حصل قبل بضعة أيّام، ولا تنفيذ انسحاب ملغوم من الجنوب السوري... ولا التهديد بتعطيل الملاحة في البحر الأحمر أو إغلاق باب المندب أو مضيق هرمز.

يفترض ألاّ يشكل الاستسلام للولايات المتحدة عقدة في العام 2018 وذلك بعد سابقة الاستسلام أمام العراق. لا عيب في توفير حدّ أدنى من الرفاه للشعب الإيراني، الذي يطمح إلى العيش بأمان والاستفادة من ثروات بلاده مثله مثل بقية شعوب العالم المتحضر، بدل خوض مغامرات خارجية لا فائدة منها لا تخدم في نهاية المطاف سوى إسرائيل. تحوّلت إسرائيل بفضل ما قامت به إيران في سوريا إلى اللاعب الأساسي والمحوري فيها في ضوء التحالف الذي يجمعها بكل من روسيا وإدارة ترامب. هذا واقع آخر لا بد لإيران من إدراك أن لا مفرّ من الاعتراف به أيضا!

إيران أولا

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❏ حينما كنا نقول إنّ العراق مستعمرة إيرانية، وإن الذين تسلطوا على حكمه إيرانيون بوجوه عراقية كانت جيوش مُجيّشة من متعصبين للسيد الإيراني تمطرنا بسيول من كلامها البذيء وشتائمها، وتنكر وتنفي وتقول إنّ هي إلا ادعاءات مغرضة كاذبة، والعلاقة بينهم وبين إيران مثل علاقتهم بغيرها من دول الجوار. أما ضبّاط الحرس الثوري وجواسيس المخابرات الإيرانية المتناثرون في الوزارات والمؤسسات والأسواق والمدارس والحسينيات فهم ضيوف طلبتهم حكومة الدولة العراقية للعمل مستشارين لإعانة الشعب العراقي على مواجهة الإرهاب والإرهابيين.

حتى جاءت العقوبات الأميركية الجديدة ليكشف قادة أحزاب المنطقة الخضراء النقاب عن وجوههم، وليؤكدوا الحقيقة المرّة التي ظلوا ينكرونها منذ سنين، وليعترفوا في بيانات رسمية وتصريحات علنية بأنهم طوابير خامسة إيرانية وظيفتها إفقار العراقيين وإثراء الإيرانيين، وتخريب كل شيء هنا وتعمير كل شيء هناك، وإمراض الملايين هنا وإشفاء الملايين هناك، وليعلنوا إيمانهم بقوة وثبات بأن وطن أهلهم العراقيين كان وظل ولا بد أن يبقى مزرعة ملحقة بأملاك الأمة الفارسية، ومن واجب حكامها ومواطنيها، كافة، أن يُلقوا زرعها وضرعها تحت أقدام السيد الإيراني، وقت الحاجة، وأن يُعينوه على أعدائه وقت الخصام. وبالروح والدم نفديك يا إمام.

وتعليقا على ما فعلته العقوبات الأميركية مؤخرا في العراق، لا بد من القول هنا إن من الصعب على أي أحد أن يأخذ مأخذ الجد تصريح حيدر العبادي الذي أعلن فيه أن "العراق ملتزم بالعقوبات الأميركية على إيران، حرصا على المصالح العراقية"، وذلك لأنه يعرف أكثر من غيره بأن التنفيذ الكامل والحازم لأحكام هذه العقوبات من الجانب العراقي مستحيل، وذلك لطول الحدود المشتركة، أولا، وثانيا لشطارة حبايب إيران ووكلائها في تجارة التهريب والتزوير والاحتيال، ولصعوبة رصد المخالفات المتوقعة، حتى لو وُضعت الولايات المتحدة على كل متر من حدود العراق مع إيران رقيبا، أو لو بنت جدارا مانعا كجدارها مع المكسيك.

ولكن، ورغم معرفة أحزاب المعسكر الإيراني بعجز حيدر العبادي عن وضع تعهداته موضع التنفيذ، وبرغم ثقتها بأنه الصديق الوفي الذي لن يتخلّف عن نجدة شقيقه الإيراني وقت الضيق، فقد هبّت، جميعا، من رقدتها، من كبيرها إلى صغيرها، لتشتمه وتسخر منه، ولتذكره بأنه ما كان ليجلس على كرسيه المذهّب لولا بركات سيده الإيراني ومولاه.

ولم يكن هذا ما فعلته أحزاب السلطة وميليشياتها وحسب، بل إن وزارة خارجية الحكومة التي تعهد رئيسها باحترام العقوبات الأميركية خرجت عن صمتها وأصدرت بيانا أكدت فيه أن العراق "يستحضر مواقف الجارة إيران المشرفة في الوقوف إلى جانبه في الأزمات".

ثم توالت بعد بيان إبراهيم الجعفري بيانات المجاهدين الآخرين التي تشتم الولايات المتحدة ورئيسها وترفض عقوباتها الظالمة. فقد دعا رئيس كتلة (الصادقون) القيادي في تحالف الفتح، حسن سالم، حكومة العراق إلى رد الجميل لإيران، وطالبها بالابتعاد عن "الغزل مع من كان سببا في تدمير العراق".

ثم التقى نوري المالكي بالسفير الإيراني إيرج مسجدي وبحث معه مستجدات الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة، وطالب الحكومة العراقية بألا تكون جزءا من سياسة التجويع التي فرضتها أميركا على إيران. ودعا الحكومات في العالم والمنظمات الإنسانية إلى وقف تلك الإجراءات العقابية ضد الشعب الإيراني الصديق.

كما أعلن حزب دعاة الإسلام أن ما أقدمت عليه الولايات المتحدة الأميركية ورئيسُها ترامب من فرض عقوبات أحادية على إيران يُعد انتهاكا لكل القيم الإنسانية والأعراف الدولية، داعيا الدول الإسلامية إلى رفض العقوبات، والعمل على توسيع العلاقات بين الدول لمواجهة هذه الغطرسة السياسية والاقتصادية.

وأعلنت كتائب سيد الشهداء أن العمل جار لكسر الحصار المفروض على إيران. وانتقدت موقف رئيس الوزراء ووصفته بأنه "مُحبط، وخذلان إزاء ما قدمته إيران للعراق". وَقالت، "لولا إيران لما كان العبادي في سدة الحكم".

أما أخطر ما هددت به منظمة بدر رئيسَ الوزراء حيدر العبادي فهو تعهدُها بأن بيانه بشأن العقوبات لن يُلزم الحكومة العراقية المقبلة التي ألمحت إلى أن رئيسها لن يكون سوى قائدها القوي الصادق الأمين.

فهل هناك، بعد هذا كله، من سيعترض علينا بعد اليوم، ويتهمنا بالتّجني على الشقيقة العزيزة إيران، وعلى حبايب الولي الفقيه، إذا ما قلنا إن عراقنا لم يعد عراقنا، وإن العمالة أصبحت علنية وعلى المكشوف؟

الرئيس التركي يعاتب الأميركيين

أردوغان: الولايات المتحدة تتخلى عن شريك استراتيجي مقابل قس

انتقد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، في مقالة اختار نشرها في صحيفة نيويورك تايمز، السياسة الأميركية تجاه بلاده، محذراً من توجه أنقرة نحو عقد تحالفات بديلة عن تحالفاتها مع الولايات المتحدة، وهو ما كرره في خطابات شعبية، الجمعة والسبت، فيما كانت الليرة التركية تسجل هبوطا حادّا، ما أصاب الأتراك والعالم بصدمة يؤكد الخبراء أن علاجها لا يكون بالتهديدات الجوفاء أو باستجداء الرأي العام الأميركي المتأثر بقضية القس آندرو برانسون التي أصبحت قضيته الأكثر إلحاحا بين عدد من الخلافات بين واشنطن وأنقرة.

❑ **واشنطن** – كتب الرئيس التركي رجب طيب أردوغان مقالة في صحيفة نيويورك تايمز الأميركية بعنوان "كيف ترى تركيا الأزمة مع الولايات المتحدة"، عرض من خلالها وجهة نظره تجاه الأزمة الحادّة التي تمرّ بها علاقات البلدين في لهجة تبدو في ظاهرها تحذيرية لكنها تعكس بين سطورها قلقا تركيّا ممّا آلت إليه الأوضاع.

وحذر أردوغان من أن شراكة الولايات المتحدة مع تركيا قد تكون في خطر مؤكدا أن بلاده قد تبدأ بالبحث عن حلفاء جدد. وكرر الرئيس التركي ذات التهديد، في خطاب ألقاه، السبت، في ولاية أوردو الشمالية، قال فيه "أوجه الخطاب إلى مسؤولي الولايات المتحدة مجددا، أنتم تتخلون عن شريك استراتيجي في حلف شمال الأطلسي (ناتو) مقابل قس، هذا أمر مؤسف".

وأضاف "إنهم يهددوننا (الولايات المتحدة)، لا يمكنهم إخضاع هذه الأمة عبر لغة التهديد إطلاقا، نحن نفهم لغة القانون والحق".

> شكوى أردوغان لن تلقى آذانا صاغية لدى الرأي العام الأميركي لا سيما أنه يستمر في احتجاز القس الأميركي الإنجيليّ أندرو برانسون منذ أكثر من عشرين شهرا

ويبدو الخطاب أقرب إلى خطابات الحملات الانتخابية الموجهة إلى الداخل، حيث الأزمة محتقنة بسبب الوضع الاقتصادي والتضييق المستمر على الحريات، في حين يرى المتابعون أن مقالته في الصحيفة الأميركية غلبت عليها نبرة الشكوى من المأزق الذي وضعت فيه واشنطن حليفتها أنقرة من خلال قراراتها الأخيرة، وخاصة تلك المتعلقة بفرض الرئيس دونالد ترامب عقوبات على مسؤولين أتراك، وزيادة الرسومات الجمركية على واردات بلاده من الصلب والألمنيوم، وما يصفها بالحرب الاقتصادية التي يزعم أنّ الولايات المتّحدة تشنّها على بلاده لإضعاف اقتصادها وإثارة القلاقل فيها.

من خلال صحيفة نيويورك تايمز حاول أردوغان التوجّه إلى الرأي العام الأميركي للتأثير عليه، عبر الإشارة إلى ما يعتبره أخطاء في السياسة الخارجية الأميركية تجاه بلاده حليفتها التاريخية. ويلفت مراقبون للشأن التركي إلى أنّ شكوى أردوغان لن تلقى آذانا صاغية لدى الرأي العام الأميركي، ولا سيّما أنّه يستمرّ في احتجاز القسّ الأميركي الإنجيليّ أندرو برانسون منذ أكثر من عشرين شهرا، ويتّهمه بـ"التجسّس ومناصرة الإرهابيين"، ما يفقد كلامه أيّ مصداقية مفترضة لدى الأميركيين.

وأدى اعتقال القس الأميركي منذ أكتوبر 2016 إلى تراجع العلاقات المتوترة أصلا مع واشنطن. واعتبر ترامب أن اعتقال برانسون "معيب تماما" وحث أردوغان على إطلاق سراحه "فورا".

وكتب أردوغان مبررا موقفه بأن "محاولة إجبار حكومتي على التدخل في العملية القضائية هو أمر لا يتوافق مع دستورنا وقيمنا الديمقراطية المشتركة".

سياسة الترغيب والترهيب

اتّبع أردوغان في مقالته سياسة الترغيب والترهيب المكشوفة، حيث أشار إلى عمق العلاقات بين البلدين، وضرورة أن تكون العلاقات بينهما مبنية على مبدأ الندّ للندّ، وليس التبعية أو الإملاء، وأكد أنه في حال "لم يبدل المسؤولون الأميركيون هذه النزعة أحادية الجانب والمسيئة، فإن بلاده ستبدأ بالبحث عن حلفاء جدد".

ولفت إلى ضرورة أن تتقبل واشنطن وجود بدائل أمام أنقرة، في إشارة إلى المحور الروسي من جهة، وإلى علاقاته الاقتصادية والتجارية مع أطراف أخرى كالصين وإيران من دون أن يسمّي أيّا منها. وكتب "ما لم تبدأ الولايات المتحدة باحترام سيادة تركيا وإثبات أنها تتفهم المخاطر التي تواجهها بلادنا، فقد تكون شراكتنا في خطر".

وأضاف "على الولايات المتحدة التخلي عن الفكرة الخاطئة بأن علاقتنا قد تكون غير متكافئة وأن تدرك حقيقة أن لدى تركيا بدائل قبل فوات الأوان". وتابع أن "الفشل في التراجع عن هذا التوجه أحادي الجانب والذي يفتقد الاحترام سيدفعنا إلى البحث عن أصدقاء وحلفاء جدد".

حاول التذكير بالروابط التاريخية أكثر من مرة، ذكر عدّة مواقف ساندت فيها بلاده الولايات المتحدة، وعاد إلى التذكير بأنهما حليفان في الناتو منذ 60 عاما، وأنهما جابها ما وصفه بالصعوبات المشتركة في فترة الحرب الباردة وما بعدها، قال إن بلاده "هرعت لمساعدة الولايات المتحدة في كل وقت على مدى أعوام".

واستشهد بتعاون بلاده مع واشنطن في الحرب الكورية (1950 – 1953)، وبأزمة الصواريخ مع كوبا (1962)، وكانت أزمة ومواجهة ضمن الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي حينها، وقال "ساهمنا من أجل تهدئة الأزمة من خلال السماح للولايات المتحدة بنشر صواريخ جوبيتر على أراضينا". وأشار إلى أن بلاده أرسلت قواتها إلى أفغانستان من أجل إنجاح مهمة الناتو، عندما كانت الولايات المتحدة تنتظر أصدقاءها وحلفاءها من أجل الردّ على من نفذوا هجمات 11 سبتمبر الإرهابية.

اختبار للخلافات

بعد عرض بضعة حوادث تاريخية انتقل أردوغان إلى الزمن الراهن ليطالب بطريقة غير مباشرة بثمن مساندة بلاده لواشنطن في عدة محطات، وطالب بأهمية أن تفهم الولايات المتحدة مخاوف الشعب التركي، وأن تكنّ له الاحترام.

ونوّه إلى أن الشراكة بين البلدين واجهت مؤخرا اختبارا لخلافات قال إن "سببها الولايات المتحدة"، وأبدى أسفه لأن "جهود بلاده لتصحيح هذا التوجه الخطير ذهبت أدراج الرياح".

وقال إن واشنطن استخفت بتركيا ولم تثبت احترامها لسيادتها، وتجاهلت ما وصفه بـ"المخاطر التي يواجهها شعبنا"، وحاول أن يؤكّد بأنّ النتيجة الطبيعية لعدم إثبات واشنطن احترامها لسيادة بلاده وتجاهلها لمخاوفها هي أن شراكتهما "قد تكون عرضة للخطر".

وانتقل أردوغان إلى حالة من التلاعب بالعواطف، واستدرار نوع من الشفقة والتعاطف مع مَن قضوا في محاولة الانقلاب التي شهدتها تركيا منتصف يوليو 2016. وقال إن تركيا تعرضت لهجوم حينها على يد مَن وصفهم بـ"عناصر منظمة غولن الإرهابية بزعامة فتح الله غولن، المقيم في ولاية بنسلفانيا".

وحاول أن يقرّب الأمر للأميركيين باستحضاره حادثين من الذاكرة الأميركية، وهما هجمات بيرل هاربور (1941) و11 سبتمبر (2001)، وأضاف أن عناصر المنظمة حاولوا تنفيذ انقلاب ضد الحكومة التركية، موضحا أن الشعب تدفق إلى الشوارع في تلك الليلة، وهو يحمل المشاعر نفسها التي شعر بها الأميركيون بعد هجمات بيرل هاربور و11 سبتمبر.

كما حاول أن يضفي على الحادثة بعدا شخصيا وكيف أنها تسبّبت له بمأساة شخصية وأنه فقد صديقا مقربا له وابنه، بالإضافة إلى أن بلاده فقدت 251 بريئا، "دفعوا ثمنا باهظا من أجل حرية البلد". وأكد أن الشعب التركي طالب الولايات المتحدة بإدانة هذا الهجوم بلهجة صريحة، وإعلان تضامنها مع الحكومة التركية المنتخبة، إلا أنها لم تفعل، وكان موقفها من الحادث بعيدا عن رضى الأتراك. وأبدى استياءه من موقف واشنطن المتحفظ إزاء الانقلاب، ورفضها عدة طلبات تقدمت بها تركيا من أجل تسليم فتح الله غولن إليها، لكن شيئا منها لم يتحقق.

الأزمات تتعقد أكثر

ويشير محللون في موقع أحوال تركية إلى أن رؤية تركيا، التي كتبها أردوغان لنيويورك تايمز، للأزمة مع الولايات المتحدة لم تخرج عن السياق الدعائي الذي يواظب عليه أردوغان، وهو سياق بات مكشوفا للرأي العام العالمي، ورغم أنّه قد يحقّق مكاسب آنية في الداخل التركي، إلّا أنّه لن يستطيع تحقيق التأثير الذي ينشده أردوغان خارجيا، وبخاصة أنّ توصيف "الدكتاتور" الذي اعتقل مئات عشرات الآلاف من المدنيين، إضافة إلى اعتقال العشرات من الصحافيين، يطارده ويسبق اسمه في الخارج.

الهبوط الحادّ لليرة التركية يثير فزعا تركيا وعالميا

❑ **أنقرة** – يراقب الأتراك بمزيج من الحيرة والذعر والاستسلام لقدرهم منذ عدة سنوات تراجع قيمة عملتهم إزاء الدولار الذي كان يعادل ثلاث ليرات ثم أربع ليرات ثم خمس إلى أن وصل إلى ست ليرات حاليا. وبقي سعر الدولار تحت عتبة الليرتين لفترة طويلة، لكن العملة التركية تجاوزت هذه العتبة في 2014 وأصبح سعر الدولار ثلاث ليرات في أوج المحاولة الانقلابية في 2016.

واستمر النزيف هذه السنة. فبعد أن أصبح الدولار يعادل أربع ليرات، هبط سعر الليرة بشكل سريع في الأيام العشرة الأخيرة. والجمعة، تجاوزت الليرة التركية عتبة ست ليرات للدولار الواحد. وبلغت الأزمة أوجها في الأسابيع الأخيرة بسبب خلاف دبلوماسي خطير مع الولايات المتحدة اندلع مطلع أغسطس والتزام الأسواق حذرا أكبر حيال إدارة أنقرة للشؤون الاقتصادية.

ويرى بعض الاقتصاديين أن الرئيس رجب طيب أردوغان قد يحاول المناورة آملا في تحسن في العوامل الخارجية. لكن تراجع الليرة التركية ينطوي على مخاطر كبيرة على الاقتصاد وخصوصا القطاع المصرفي.

ورأى المحلل لدى إكس.تي.بي ديفيد تشيشام في مذكرة أن تراجع الليرة التركية "يظهر أن المستثمرين متخوفون بشكل متزايد من أزمة نقدية شاملة وشيكة". من جهته قال باتريك أوهار من مركز بريفينغ إن "قلق الأسواق حيال الليرة مرتبط بمخاوف من احتمال انتشار العدوى، أو بصيغة أخرى أزمة في عملات الدول الناشئة".

الأتراك يراقبون تدهور الليرة بمزيج من الحيرة والذعر والاستسلام

ثقة مفقودة

يثير أردوغان قلق الأسواق بسعيه إلى مزيد من النمو دون قيود وبدعمه نظريات اقتصادية غير تقليدية، مثل خفض معدلات الفائدة من أجل خفض التضخم. ويمتنع المصرف المركزي الذي يفترض أنه مستقل لكنه يتعرض في الواقع لضغوط السلطة، عن رفع معدلات فائدته متخليا بذلك عن أداة تستخدم تقليديا في العالم لدعم العملة وضبط التضخم.

وأثار قراره عدم تغيير معدلات الفائدة في يوليو بينما بلغت نسبة التضخم حوالي 16 بالمئة على مدى عام، ذهول الأسواق. وقالت نورا نوتيبوم، من المصرف الهولندي آ.بي.أن أمرو، إن هذا القرار ناجم عن "هيمنة" أردوغان على البنك المركزي وعن كون "معدلات فائدة أعلى لا تتطابق مع استراتيجية النمو في تركيا".

وبعد فوزه في الانتخابات التي جرت في 24 يونيو، عين أردوغان صهره براءة البيرق على رأس وزارة للمالية ويتمتع بصلاحيات واسعة، مستبعدا بعض المسؤولين الذين يلقون تقديرا من قبل الأسواق.

وقال المحلل في مجموعة رينيسانس كابيتالتشارلز روبرتسون إن "الأسواق فقدت ثقتها في قدرة الثلاثي الممثل بالرئيس أردوغان وصهره وزير المال والبنك المركزي على التحرك في حال الضرورة".

وذكرت مجموعة كابيتال إيكونوميكس أن تراجع الليرة التركية يمكن أن يعزز الضغط على القطاع المصرفي في تركيا بسبب حجم الإقراض الكبير ولأن ثلث القروض المصرفية بعملات أجنبية.

مساعدة صندوق النقد الدولي

بينما كانت الليرة التركية تنهار، الجمعة، أبقت الحكومة على مواقفها مطلقة تصريحات تنم عن تحدّ ولم تطمئن الأسواق. وكان تراجع العملة الوطنية غائبا عن عناوين الصحف، ما اضطر خبراء الاقتصاد إلى اللجوء إلى وسائل التواصل الاجتماعي للتعليق.

وقال مصطفى الذي كان أمام مكتب لصرف العملات في البازار الكبير في إسطنبول إن "وسائل الإعلام الحكومية تلهي الناس ببث الأفلام والمسلسلات".

وسعر الليرة التركية مقابل العملات الأجنبية ليس المسألة الرئيسية الوحيدة التي تثير قلق القاعدة الانتخابية لأردوغان، المعتادة على خطاب الحكومة التي تحمّل أطرافا معادية مسؤولية المشكلات الاقتصادية.

> المصرف المركزي التركي الذي يفترض أنه مستقل لكنه يتعرض في الواقع لضغوط السلطة يعترض عن رفع معدلات فائدته متخليا بذلك عن أداة تستخدم تقليديا في العالم لدعم العملة وضبط التضخم

وإذا كان تراجع الليرة مستمرا ويهدد بأزمة اقتصادية، فإن الحكومة ما زالت تملك وسائل لمواجهة الوضع. فالحكومة يمكن أن تتخذ إجراءات لمراقبة رؤوس الأموال أو أن تلجأ إلى صندوق النقد الدولي وإن كان هذا الإجراء الأخير يصعب تقبله من جانب أردوغان الذي يفاخر باستمرار بأنه تمكن من تسديد ديون تركيا.

في المقابل، يمكن أن يغض أردوغان النظر عن زيادة طارئة في معدلات فائدة البنك المركزي، كما حدث في مايو. وقالت نويتيبوم "إذا استمر تدهور الوضع (...) فسيرضخ للواقع في نهاية الأمر".

ملف الأف.بي.آي السري عن عصابات المافيا ونشأة إسرائيل

بيتر بيرجسون الصهيوني الذي جمع أموالا من عصابات اليهود لمحاربة العرب

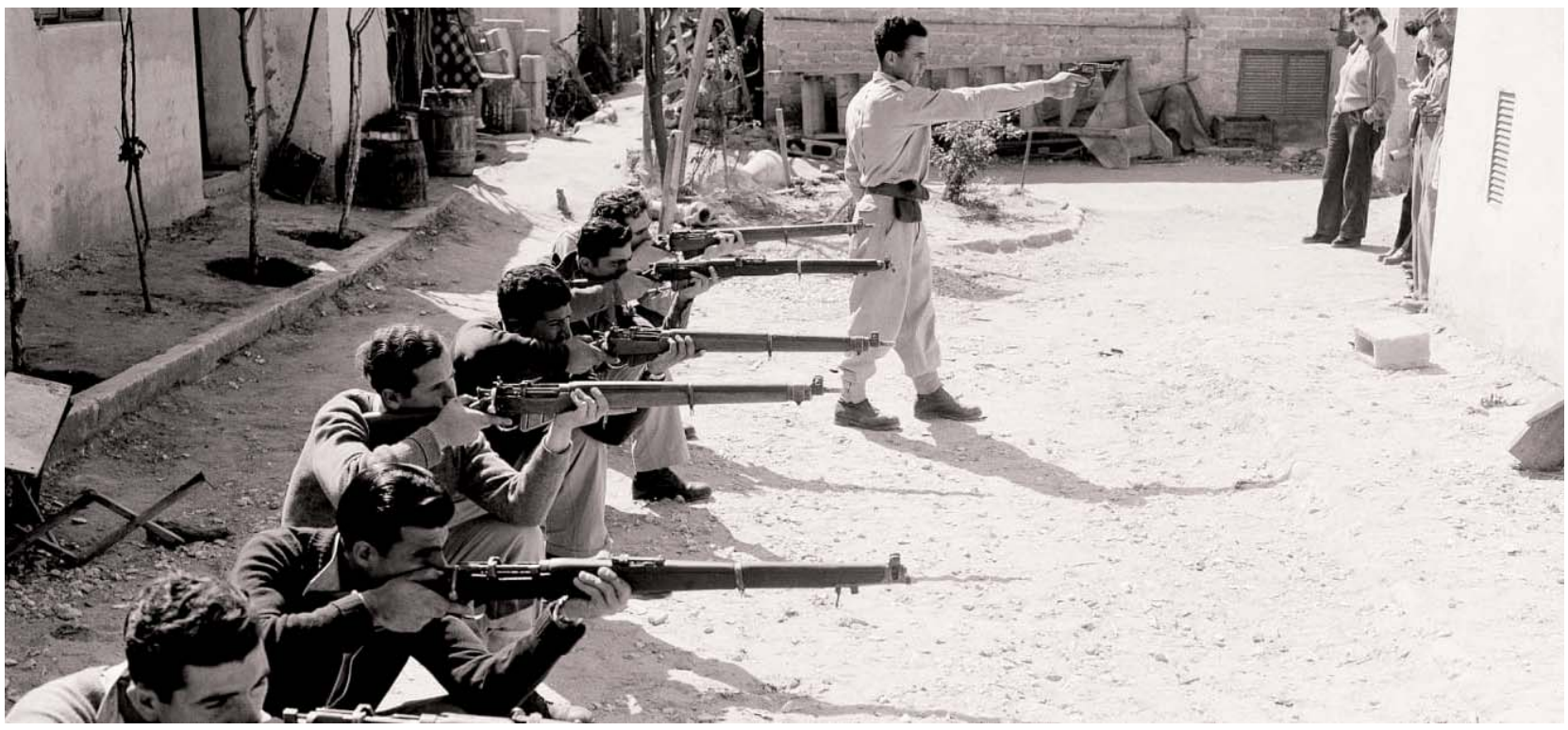

عناصر من منظمة إرجون يتدربون على القتال للقيام بعمليات إرهابية ضد الفلسطينيين وكان للبريطانيين نصيب منها

❑ **واشنطن** – في أربعينات القرن الماضي، وصل شاب يهودي إلى الولايات المتحدة قادما من أراضي فلسطين التاريخية، كان في مهمّة لاقتناء أسلحة وتجنيد مقاتلين للانخراط في جيش من أجل قتال العرب.

حصل الشاب، الذي يعرف باسم بيتر بيرجسون، على تمويل من رجال عصابات يهود، لكن رغم أنه لجأ إلى تغيير اسمه وإخفاء هويته، فإن عناصر مكتب التحقيق الاتحادي الأميركي "أف.بي.آي" توصلوا إليه، ووضعوه تحت المراقبة وحاولوا ترحيله.

بدأت هذه القصة خلال الحرب العالمية الثانية واستمرت حتى بعد انتهاء الحرب. وتكشف بعضا من تفاصيلها مايا جيوز، الباحثة والمحاضرة في جامعة تل أبيب، وأعادت شوشانا كوردوفا، المحللة في صحيفة هآرتس الإسرائيلية نشر هذه التفاصيل.

سلّط تحليل هآرتس الضوء عن كيف اكتشف أستاذ جامعي إسرائيلي معلومات صادمة تبيّن الصلة بين رجال عصابات يهود وبيتر بيرجسون الذي عمل في الولايات المتحدة خلال حقبة الأربعينات لمساعدة منظمة إرجون على اختراق فلسطين التاريخية، وكذلك يهود أوروبا.

من كوك إلى بيرجسون

في عام 1940، وصل إلى نيويورك هيلال كوك، وهو عضو في منظمة إرجون المسلحة السرية قبل تأسيس إسرائيل. ولتجنّب اكتشاف كونه قريبا من الحاخام الراحل أبراهام إسحق كوك، الذي كان أول حاخام بارز من اليهود الأشكيناز في فترة الحكم البريطاني بفلسطين، قام كوك بتغيير اسمه فأطلق على نفسه اسم بيتر بيرجسون.

في نوفمبر عام 1942، قرر كوك مراجعة أهداف الوفد الصغير التابع لمنظمة إرجون، وقرر بدلا من شراء معدات وجمع أموال لصالح اليهود المقيمين بفلسطين قبل ظهور إسرائيل أن تتغير مهمة الوفد لتكون "إنقاذ يهود أوروبا".

لتحقيق هذه الغاية، قام كوك بتسجيل أسماء زملائه في منظمة إرجون بالولايات المتحدة، بالإضافة إلى أسماء فنانين وأعضاء في الكونغرس، لإيصال رسالة عما يجري ليهود أوروبا.

اشتبه الإف.بي.آي في أنشطة بيرجسون وفي الطريقة التي كان يجمع بها الأموال. وبالفعل، تواصل جيه. إدجار هوفر مدير الإف.بي.آي مع رجاله في فيلادلفيا عام 1946 وطلب منهم أن يعرفوا، خلال عشرة أيام لا أكثر، ما الذي يمكن القيام به لترحيل كوك. لكن لم يحدث شيء.

ويقول المؤرخ روبرت روكواي، الذي توصل لموقع ملفات الإف.بي.آي عن بيرجسون وعن إرجون، "في النهاية عاد بيرجسون إلى فلسطين. كان قد سئم من تعرضه للمراقبة المستمرة. وكان على محاميه التواصل بشكل دائم مع مكتب التحقيقات الاتحادي ووكالات الهجرة".

بالصدفة البحتة، وقع يدا روكواي (79 عاما) ويعمل كأستاذ فخري للتاريخ اليهودي في جامعة تل أبيب، على ملفات تخص الإف.بي.آي عن بيرجسون وذلك خلال السنوات الأولى من البحث عن رجال العصابات اليهود في الولايات المتحدة.

وقال روكواي، وهو مؤلف كتب بينها كتاب "لكنه كان بارا بأمه: حياة وجرائم رجال العصابات اليهود" الذي صدر عام 1993، "أدركت أن ممثلين عن منظمات اليهود الشرقيين قد تلقوا أموالا منهم (رجال العصابات اليهود). حين أجريت مقابلة مع بعضهم ومع ممثلين عنهم، أخبروني بهذا الأمر. لقد أمّنوا شراء أسلحة وطائرات وأسلحة آلية لهم ليتمكنوا من خلالها من قتال العرب بعد الحرب العالمية الثانية".

وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك أيضا عصابات مافيا غير يهودية تسيطر على ميناء نيويورك. وقامت هذه العصابات بتسهيل خروج شحنات الأسلحة إلى إسرائيل.

وتبيّن من الملفات أن رقابة الإف.بي.آي لما كانت تعرف باسم مجموعة بيرجسون استمرت طيلة الفترة بين عامي 1941 و1948. وخلال تلك الفترة، تنصّت الجهاز الأمني الشهير على محادثات هاتفية بين أعضاء المجموعة، وتم فتح رسائلهم البريدية والنبش في قمامتهم، بل وزرع مخبرين بينهم.

تضخم ملف بيرجسون ليضم المئات من الصفحات التي احتوت على تفاصيل عن المراقبة ومراسلات بين قيادات بارزة في الإف.بي.آي، وتقارير عن اعتقالات وعمليات تفتيش ومراقبة. لكن رغم كل هذه الجهود القانونية والمحاولات الرسمية لوضع حد لأنشطة المجموعة، فإنها ظلت قادرة على التأثير في الرأي العام الأميركي.

لجنة الطوارئ

أسست مجموعة بيرجسون "لجنة الطوارئ لإنقاذ الشعب اليهودي من أوروبا" والتي تولت الحشد لصالح إصدار تشريع. وعملت كذلك على تنظيم المهرجان الموسيقي "لن نموت أبدا"، والذي قال روكواي إن إيلينور روزفلت قرينة الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت قد حضرته في واشنطن.

وقام الكاتب السينمائي الشهير بن هيشت بكتابة النصوص الخاصة بالمهرجان الموسيقي بمساعدة من كيرت ويل.

وتولى هيشت كتابة الإعلانات التي نشرتها "لجنة الطوارئ" في صحيفتي نيويورك تايمز وواشنطن بوست بهدف إحداث صدمة لدى الشعب الأميركي ومن ثم الضغط على الإدارة للتحرك من أجل دعم اليهود في أوروبا.

في أحد تلك الإعلانات، الذي نشر في نيويورك تايمز في السادس عشر من فبراير عام 1943، كان النص يقول "للبيع للإنسانية: 70000 يهودي روماني. احصل على بشر حقيقيين بمبلغ 50 دولارا للواحد. لقد أتعب قتل اليهود رومانيا، وهناك سبعون ألف يهودي ينتظرون الموت في معسكرات الغاز الرومانية. تحركوا الآن".

ووفقا للإعلان، فإن رومانيا كانت قد أعدمت بالفعل مئة ألف من اليهود فيها على مدى عامين وكانت مستعدة للحصول على أموال مقابل العفو عن الباقين.

وكتب روكواي يقول "زعماء اليهود الأميركيين كانوا يخشون من أن تتسبب كل هذه الضجة في إذكاء مشاعر معادية للسامية".

ومع ذلك، أتى الضغط الذي مورس على جماعة بيرجسون وحلفائها ثماره وساهم في قيام الإدارة الأميركية في التاسع يناير عام 1944 للمجلس العالمي للاجئين، الذي ساهم في تهريب نحو مئتي ألف يهودي وإعادة توطينهم.

> جماعات أليشوف، وهي هيئة السكان اليهود في فلسطين، حصلت على مبالغ كبيرة من العصابات اليهودية في الولايات المتحدة، ما ساعدها على تأمين شراء الأسلحة والطائرات والمدافع الرشاشة التي ساعدتها في حربها ضد العرب

ويقول روكواي "أظهرت الوثائق أن الإف.بي.آي سعى خلال الفترة بين عامي 1942 و1945 لترحيل بيرجسون ومضايقته. لقد لاحقوه في كل مكان وتنصتوا على هاتفه ولم يتوقفوا عن إرسال عملاء لمراجعة سجلات المنظمة".

وأضاف "في النهاية سئم مكتب التحقيقات الاتحادي الموقف ورغب في إلحاقه بالجيش الأميركي. كان شابا قويا (ولد بيرجسون عام 1915) وباستطاعته الخدمة في الجندية. لكن كانت في الولايات المتحدة قوانين يخضع لها الإف.بي.آي. كان لدى بيرجسون العديد من المحامين تولوا الدفاع عنه على مدى عامين. كان يعرف أنه خاضع للمراقبة".

ووفقا لما قاله روكواي، فإن زعماء اليهود، بمن فيهم ناحون جولدمان الذي شارك في تأسيس المؤتمر اليهودي العالمي وستيفن وايز الحاخام الإصلاحي، كانوا يطلقون على بيرجسون ومنظمة إرجون اسم "الإرهابيين اليهود القادمين من فلسطين".

وفي عام كان جولدمان يبلغ مسؤولي وزارة الخارجية الأميركية بشكل مستمر بأن وايز يعتبر بيرجسون "عدوا للشعب اليهودي لا يقل خطورة عن هتلر".

ومن مصادر الدعم المثيرة للدهشة لبيرجسون عميلان لمكتب الإف.بي.آي كانا يتتبعان خط سير الأموال بين رجال العصابات اليهودية ومنظمة إرجون، قبل أن يقوما هما بنفسيهما بتقديم مساهمات للجنة الطوارئ عام 1943.

عاد بيرجسون إلى إسرائيل عام 1948 بعد إنشاء الدولة، واستخدم اسم هيليل كوك مرة أخرى، حيث انتخب عضوا في الكنيست عن حزب حيروت الذي كان يتزعمه مناحم بيجن.

وفي عام 1951، عاد بيرجسون ثانية إلى الولايات المتحدة ليصبح سمسارا في بورصة وول ستريت. ويقول روكواي إن كوك أبلغه بأن "أي أحمق يمكنه أن يجني أموالا طائلة في أميركا"، وظل فيها حتى عام 1970 حيث عاد من جديد إلى إسرائيل. وتزوج كوك مرتين وتوفي عام 2001.

التقى روكواي كوك عام 1996. وقال روكواي عن اللقاء "دعوته للحديث مع طلابي عما كان يقوم به في الولايات المتحدة. كان قد تقدم في السن، كان في الثمانينات من العمر حينها. استمتع طلابي للغاية بالمناقشة معه. في إسرائيل، لم يكن أحد يعرفه، ولم يكن معجبا بالقيادة هناك".

وأضاف "كان يقول إن كل شيء هنا يتسم بالفوضى والارتباك. كان من الواضح بالنسبة إليه أن الأميركيين قد ينقذون المزيد من اليهود، وقال إنهم قد ينقذون آلافا مؤلفة من اليهود. لكنهم لم يفعلوا ذلك. لم يفعلوا شيئا".

خلال التحقيقات اكتشف روكواي أن عصابات الهاجاناة أيضا تلقت أموالا من رجال عصابات يهود في الولايات المتحدة.

وقال "أحد مبعوثي عصابات الهاجاناة كان ريؤفين دافني، مؤسس معسكر عين جيف على بحيرة طبريا، والذي وصل فجأة من يوغوسلافيا في منتصف عام 1944 برفقة الشاعرة هاناة زينيس".

وعمل دافني لصالح عصابات الهاجاناة في الولايات المتحدة بدءا من عام 1946، ويقول روكواي إن دافني أيضا جذب انتباه مكتب الإف.بي.آي.

ووفقا لما قاله روكواي، فإن دافني أقنع رجل العصابات بنجامين باجسي سيجل بالتبرع بمبلغ كبير لصالح عصابات الهاجاناة.

وقال روكواي "قام ألين سمايلي مساعد سيجل بتقديم المال وكان يهوديا أيضا. سأل سيجل دافني عما يقوم به في الولايات المتحدة، فقال له دافني إنه يجمع المال لصالح الهاجاناة من أجل اليهود الذين يقاتلون العرب. استوقفه سيجل مستنكرا قوله إن اليهود يقاتلون".

وأضاف روكواي "أكد دافني لسيجل الذي كان يجلس أمامه على الطاولة أن اليهود يقاتلون، ثم اقترب منه سيجل وسأله في دهشة عما إذا كانوا يقاتلون بحق، فأجاب دافني بالإيجاب. حينها قال سيجل إنه سيدعمه".

وتابع "كان سيجل يحب القتل وشارك في كل شيء يتعلق بالقتل. لم يكن يعرف أن اليهود قادرون على المشاركة في قتال دام".

التقى دافني كل أسبوع في عام 1946 مع سيجل الذي كان صديقا مقربا ورفيقا لمائير لانسكي وأبنر لونجي زويلمان وقادة عصابات يهود مشهورين بينهم تشارلز لاكي لوسيانو ومع قادة من المافيا الإيطالية.

كانت اللقاءات تتم في مطعم في لوس أنجلس.

وقال روكواي "كان باجسي يظهر ومعه حقيبة مملوءة بنقود من فئة خمسة وعشرة دولارات.

منظمة إرجون المسلحة

تفرعت من الجناح العسكري عصابات الهاجاناة. ومن أهم أسباب انشقاق الإرجون عن الهاجاناة هو امتعاضها من القيود البريطانية المفروضة على الهاجاناة في تعاملها مع الثوار الفلسطينيين. وتم وسم هذه المنظمة بصفة الإرهاب من قبل صحيفة نيويورك تايمز، وأيضا من قبل اللجنة الأنغلوأميركية للتقصي، إضافة إلى شخصيات عالمية بارزة ومنها يهودية أمثال وينستون تشرشل، هانا أريندت، ألبرت أينشتاين وغيرهم

خلال ذلك العام تلقى دافني ما يقرب من خمسين ألف دولار قبل رحيله عن لوس أنجلس".

وأضاف "في اليوم التالي لوصوله إلى سان فرانسيسكو، في يونيو عام 1947، ذهب دافني إلى قاعة المطعم بالفندق الذي كان يقيم فيه ليتناول الإفطار. وعلى الصفحة الأولى لصحيفة أمامه كان عنوان رئيسي يقول إن باجسي سيجل قتل في منزله برفقة صديقته فرجينيا هيل. حينها كان دافني سعيدا لأنه حصل على المال نقدا وليس عن طريق شيك".

> هيلال كوك، ويعرف أيضا باسمه المستعار بيتر بيرجسون، هو أحد أهم أعضاء منظمة إرجون المسلحة قبل تأسيس إسرائيل، عمل في الولايات المتحدة خلال حقبة الأربعينات لمساعدة منظمة إرجون على اختراق فلسطين التاريخية وكذلك يهود أوروبا، واستقطب أشهر عصابات اليهود الأميركيين لدعم منظمته.

Haganah

عصابات الهاجاناة

تكتل عسكري تأسس في فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين. كان الهدف المعلن من تأسيس هذه العصابات الدفاع عن أرواح وممتلكات المستوطنات اليهودية في فلسطين خارج نطاق الانتداب البريطاني. وتعتبر حجر الأساس لجيش إسرائيل الحالي

رجل دولة يخلط الكهرباء بالطائفية بالبواخر التركية

سيزار أبي خليل
وزير الطاقة اللبنانية الغائبة

صلاح تقي الدين

❏ لا يعرف وزير الطاقة في حكومة تصريف الأعمال سيزار أبي خليل من أين يرد السهام التي تطاله وتطال أداءه غير المقنع في الوزارة التي تسلّمها فريقه السياسي منذ أكثر من عقد من الزمن.

وإذا كان أبي خليل ليس مسؤولا بمفرده عن انهيار هذا القطاع وعدم التمكن من تأمين الكهرباء للمواطنين الذين يرزحون تحت عبء فواتير أصحاب المولدات الخاصة، إلا أنه بالتأكيد ساهم باقتراحاته في استمرار الوضع المأساوي على ما هو عليه.

> خطة البواخر تعتبر من بنات أفكار أبي خليل الذي أطلقها تحت ما يُسمى «الخطة الإنقاذية لقطاع الكهرباء»، والتي تقضي بأن يستأجر لبنان باخرتين بقدرة 470 ميغاوات للأولى، و420 ميغاوات للثانية، لمدة خمس سنوات، بكلفة إجمالية تصل إلى 850 مليون دولار سنويا، تضافان إلى الباخرتين «فاطمة غول» و«أورهان بيه» واللتين تزيد كلفتهما لمدة ثلاث سنوات على 400 مليون دولار

والأسوأ في هذا الموضوع هو أن ينبري أبي خليل إلى احتلال شاشات التلفزيون وإطلاق المواقف التي لا تقنع لا المواطنين ولا الفرقاء السياسيين، بأن ما يقوم به "تنفيذا لقرارات رئيسه وزير الخارجية جبران باسيل" هو أفضل الحلول، واتهام الآخرين بالوقوف ضد برنامجه الكهربائي الإصلاحي والذي يرى فيه حلا نهائيا لأزمة هذا القطاع، والمرتكز على استجرار الطاقة، مؤقتا، من خلال البواخر التركية التي ستفوق كلفة استئجارها، بما في ذلك العمولات، حوالي 850 مليون دولار سنويا ولمدة خمس سنوات، أي أضعاف كلفة إنشاء معامل إنتاج على مختلف الأراضي اللبنانية.

وزارة مثيرة

وما يزيد الطين بلة في وزارة الطاقة، أنها مسؤولة إلى جانب إدارة قطاع الكهرباء والمياه، عن إدارة ملف الثروة النفطية والغازية التي تبيّن أن لبنان يملكها في مياهه الإقليمية، وفي هذا الملف كانت التجاذبات السياسية كبيرة لكنها لم تفعل شيئاً سوى أنها أضافت إلى سجل الفريق السياسي الذي ينتمي إليه أبي خليل، نقطة إضافية في ملف السمسرات والصفقات المشبوهة، إلى حد اتهامه وفريقه بقبض عائدات العمولات النفطية قبل استخراجها. ولعلّ الدسامة التي تتمتع بها وزارة الطاقة اللبنانية، هي ما دفع وزير الخارجية باسيل إلى التصريح علنا بتمسكه بملف هذه الوزارة في الحكومة التي يجري العمل على تشكيلها، وعوض أن يكون الفشل الذي تميّز به هذا الفريق في إدارة هذا الملف سببا لتنحيه عنه، زاد الإصرار على التمسّك بالوزارة من الشكوك التي لا بد أنها في مكانها.

ولأن رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط هو الأجرأ بين السياسيين على تسمية الأمور بأسمائها، فإنه أطلق تغريدة عبر موقع "تويتر" زاد فيها من إحباط أبي خليل عندما دعا إلى إقالته أسوة بزميله "الفاشل" في وزارة الطاقة العراقية، فقال "في العراق وبعد أسابيع من الاحتجاج أقيل وزير الطاقة الذي هدر 40 مليار دولار. البنك الدولي ينصح لبنان بالتخلي عن البوارج العثمانية وبناء معامل، أليست هذه فرصة أيضا لإقالة الوزير الحالي ومعلمه لحل عقدة الوزارة والكهرباء معا؟".

لكن أبي خليل ردّ قائلا "فعلا لما بدك تقلل شئمة ببطل في شي عيب... إنه يا بدنا (نريد) نشتري منكم كهرباء من وحدات إنتاجية توضع على سنسول الكوجكو أو الهدر يلي (الذي) عملتوه من سنة 1990 لليوم بيكون مسؤوليتنا؟"، ناسيا أو متناسيا أن جنبلاط ونواب اللقاء الديمقراطي لم يمرّوا يوما منذ اتفاق الطائف على هذه الوزارة الدسمة.

ولد أبي خليل في بليبل، قضاء عاليه في 17 أغسطس 1971، وهو حاصل على دبلوم في الهندسة المدنية من جامعة القديس يوسف وعضو نقابة المهندسين في بيروت منذ العام 1995. ناشط في التيار الوطني الحر منذ العام 1989. أسّس مع بعض ناشطي قضاء عاليه في التيار الوطني الحر هيئة للقضاء في ديسمبر من العام 1996 وتولى مهام منّسق القضاء حتى العام 2004. ترشح إلى الانتخابات النيابية في العام 2009، لكنه لم يوفق وشغل منذ ذلك العام منصب مستشار وزير الطاقة والمياه جبران باسيل.

غموض الشركة التركية

منذ تَسلمه مركز مستشار وزير الطاقة، شكّل من خلال موقعه كمهندس وكمستشار حلقة الوصل بين النواب والفعاليات من جهة ومديريات الوزارة من جهة أخرى، وكان على اطلاع على كل الخفايا والمشاريع المتعلقة بالوزارة، ولعلّ هذا ما دفع التيار الوطني الحر إلى تسليمه ملف الوزارة بالأصالة في الحكومة التي شكّلها الرئيس سعد الحريري بعد انتخاب العماد ميشال عون رئيسا للجمهورية في أكتوبر 2016.

وأطلق أبي خليل عام 2017 خطة البواخر تحت ما يُسمى "الخطة الإنقاذية لقطاع الكهرباء"، والتي تقضي بأن يستأجر لبنان باخرتين بقدرة 470 ميغاوات للأولى، و420 ميغاوات للثانية، لمدة خمس سنوات، بكلفة إجمالية تصل إلى 850 مليون دولار سنويا، تضافان إلى الباخرتين "فاطمة غول" و"أورهان بيه" اللتين سبق أن استأجرهما لبنان أثناء تولي باسيل الوزارة من شركة "كارباورشيب" التركية واللتين تزيد كلفتهما لمدة ثلاث سنوات على 400 مليون دولار.

والشركة التركية هي بيت القصيد، فعلى الرغم من أن سجل هذه الشركة مشوب بصفقات وسمسرات كثيرة سبق أن فضح أمرها في باكستان، إلا أن وكيل هذه الشركة في لبنان هو أحد نواب رئيس "تيار المستقبل" الذي يرأسه الحريري، ورغم أن العلاقة السياسية كانت شبه مقطوعة ومتوترة إلى أقصى الحدود بين "المستقبل" و"التيار الوطني الحر" أثناء تولي باسيل وزارة الطاقة، إلا أن "مصلحة" مشتركة ما جمعتهما في قضية الباخرتين كانت فوق الخلافات السياسية.

وجاءت أزمة استقدام باخرة تركية ثالثة زعم وزير الطاقة أنها ستؤمن الكهرباء مجانا لفترة ثلاثة أشهر، على اعتبار أنها "ستؤمن الطاقة خلال فصل الصيف الذي تزداد فيه نسبة الاستهلاك"، لتزيد من استفحال الأزمة، حيث أن خطة مبدئية كانت تقضي بأن ترسو الباخرة بالقرب من معمل الجية الكهربائي إلا أن فعاليات المنطقة رفضت ذلك، وكذلك رفضت فعاليات منطقة الزهراني رسو الباخرة في مرفأ المنطقة، فما كان من أبي خليل إلا أن حوّل الباخرة باتجاه منطقة الزوق وبشر أهالي منطقة كسروان وجبيل بأن الكهرباء ستؤمن لهم ما بين 22 ساعة و24 ساعة يوميا.

وأشار وزير المال علي حسن خليل إلى أن الباخرة بالفعل ستكون مجانية لفترة ثلاثة أشهر، إلا أنها ستبقى بعد ذلك بفعل قوة الأمر الواقع وستضطر عندها الخزينة إلى تكبّد المزيد من الأموال المصحوبة بروائح السمسرات والصفقات وأن لدى الوزارة الحق بالتوقيع على أذونات الصرف، في تهديد مبطن بعدم الموافقة على الفخ الذي اعتقد أبي خليل ومن خلفه باسيل أنهما تمكنا من نسجه.

البواخر هدف والكهرباء نتيجة

البيان الذي أصدره النائب في كتلة "اللقاء الديمقراطي" أكرم شهيب في رد على مزاعم أبي خليل، جاء ليدحض بالأرقام والوقائع كل ما سبق لوزير الطاقة أن حاول تمريره عبر إطلالاته التلفزيونية وبياناته الصحافية لرد الاتهامات المساقة ضده وضد فريقه السياسي في مسألة سوء إدارة قطاع الكهرباء.

وبعد أن قال شهيب "ننصح وزير الطاقة بأن يوفر طاقته لإدارة الوزارة" أشار إلى أنه في العام 2010 وفي ظل حكومة وحدة وطنية جامعة، "تم إقرار ورقة سياسة قطاع الكهرباء التي قدمت من الوزير جبران باسيل وبمشاركة فاعلة من كل القوى السياسية. الخطة استلزمت في انطلاقتها تأمين 1200 مليون دولار من الدولة اللبنانية، على أن يتم تأمين المبالغ من الصناديق والهيئات الإقليمية والدولية والتي تصل بمجملها إلى 4.5 مليار دولار. أخذ المجلس النيابي ومجلس الوزراء وكافة القوى السياسية المبادرة لإقرار القانون 181 تاريخ 13 أكتوبر من العام 2011، وذلك لتأمين التمويل من الدولة واشترطت تعيين مجلس إدارة لمؤسسة كهرباء لبنان في فترة شهرين وتعيين هيئة ناظمة لقطاع الكهرباء في فترة لا تتجاوز الثلاثة أشهر. لم يتم تعيين مجلس إدارة ولم يتم تعيين هيئة ناظمة، فيما أصر الوزير باسيل وفريق عمله على الحصول على الـ1200 مليون دولار دون أي التزامات من تنفيذ بنود القانون 181".

ولفت شهيب إلى أن "الخطة تضمنت طاقة سريعة، وشكلت البواخر جزءا منها، فتحول كل الإنتاج الكهربائي إلى بواخر، باستثناء المعملين الأخيرين في الذوق والجية واللذين تزيد قدرتهما الإنتاجية عن 400 ميغاوات. السؤال الكبير: كيف تبقى البواخر هدفا والكهرباء نتيجة وليس العكس، والدليل أن آخر باخرة كهربائية بقدرة 250 ميغاوات ولكنها غير قادرة على وضع أكثر من 50 ميغاوات على الشبكة، أما طريقة الفوترة لإنتاج البواخر فحدث ولا حرج".

وأشار إلى أن "فخامة الرئيس، وهو محق، طالب بتقديم بديل لخطة الوزير سيزار أبي خليل، وقام الحزب التقدمي الاشتراكي بعقد مؤتمر بالتعاون مع مؤسسة 'فريدريتش' الدولية في فبراير 2018، حيث شارك فيه خبراء وفعاليات من كافة القوى السياسية وقدم الحزب لاحقا الخطة العلمية وسلمها إلى مجلس الوزراء في الشهر الرابع من هذا العام. المشكلة كانت أنه لم تكن هناك خطط بديلة عن خطة الوزير أبي خليل، وعندما وجدت الخطة الأخرى لم تناقش".

ويبدو أن معظم الجهات السياسية عارضت خطة البواخر، أولا لأنها مخالفة للأصول والقوانين، لأن الإجراء المتّبَع للاختيار والتلزيم كان غير قانوني حيث أن العقود أبرمت بالتراضي ولم تمر عبر إدارة المناقصات، وبالتالي أدى إلى توقيف صفقة الإنتاج المؤقت لأنها لم تجر حسب الأصول، ثم لأن حصر صفقة الإستئجار بشركة واحدة يعني أن الإجراء المتّبَع غير تنافسي، ويثير الكثير من الشكوك حول أهداف الخطة.

سنة ونصف السنة مضت على أزمة البواخر، لم يقدم خلالها أي من الحلول وكان الأجدى المباشرة ببناء معامل إنتاج تساهم في تأمين الطاقة وخفض العجز التراكمي تمهيدا لخفض الفاتورة الإجمالية، وبذلك تكون الجدوى على المدى البعيد أكثر نفعا وأقل ضررا على خزينة الدولة.

فهل يتحول المؤقت إلى مستدام؟ وهل يستمر أبي خليل في أسوأ إدارة لأهم ملف حياتي يعني المواطن اللبناني؟ عندما تغيب المحاسبة، كل شيء ممكن، لكن وزير الطاقة اللبناني قال بالفم المفتوح قبل أيام وعلى شاشة التلفزيون إنهم "غيروا اسم باخرة الكهرباء التي كان من المفترض أن تتوجه إلى الجنوب من عائشة غول إلى إسراء حفاظا على مشاعر البعض". فأين نحن وأين التنمية والطاقة وأين هذه الأفكار؟

> رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط يعتبر أول من زاد في إحباط أبي خليل، وذلك بعد أن غرّد على تويتر قائلا «في العراق وبعد أسابيع من الاحتجاج أقيل وزير الطاقة الذي هدر 40 مليار دولار. البنك الدولي ينصح لبنان بالتخلي عن البوارج العثمانية وبناء معامل، أليست هذه فرصة أيضا لإقالة الوزير الحالي ومعلمه لحل عقدة الوزارة والكهرباء معا؟»

● سيزار أبي خليل ليس مسؤولا بمفرده عن انهيار هذا القطاع وعدم التمكن من تأمين الكهرباء للمواطنين، إلا أنه بالتأكيد ساهم باقتراحاته في استمرار الوضع المأساوي على ما هو عليه.

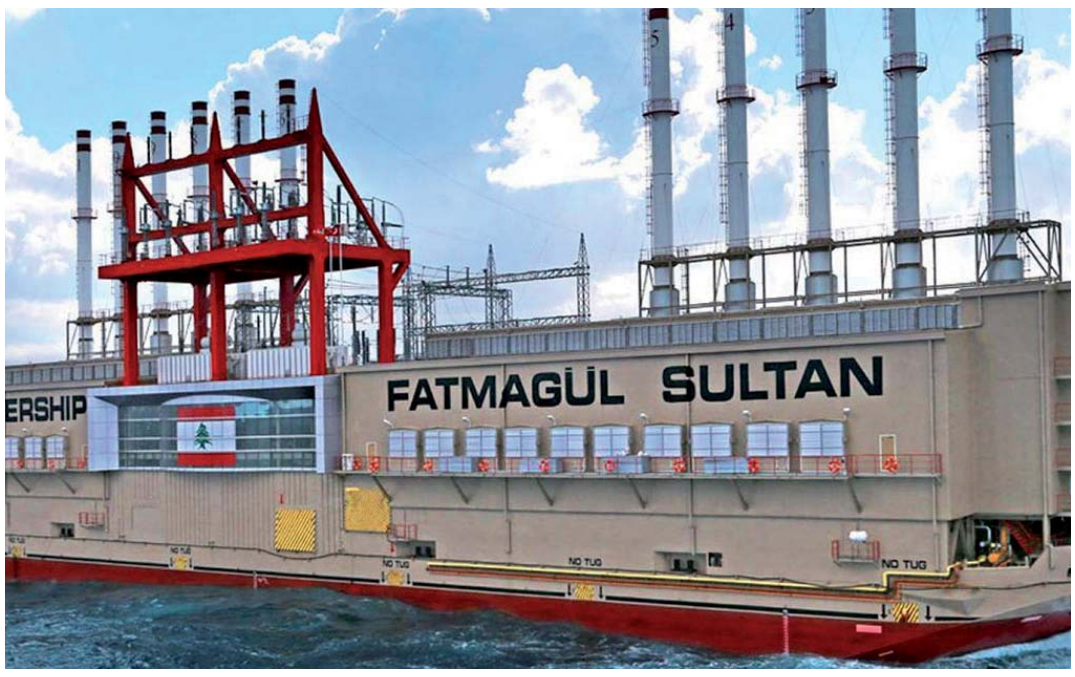

● الشركة التركية هي بيت القصيد من هذا الجدل الكبير المثار في لبنان هذه الأيام، فعلى الرغم من أن سجلها مشوب، وسبق أن فضح أمرها في باكستان، إلا أن وكيلها في لبنان هو أحد نواب رئيس "تيار المستقبل" الذي يرأسه الحريري.

رسام يائس برسوم متفائلة

علي رشيد
مسافر في رحلة خيالية بيضاء

فاروق يوسف

لم يكن مفاجئا أن يسمّي المجلة الإلكترونية التي يشرف عليها بـ"إلى". ذلك لأنه منذ سنوات يكتب رسائل من خلال رسومه إلى لا أحد.

إنه يرغب في أن يمد يده لتمسك يدا. يرغب في أن يقول كلمة تلقى اعتراضا. يرغب في أن يشم أبخرة ليست متوقعة. ولكنّ شيئا من ذلك القبيل لم يقع.

"إلى" أشبه ما تكون بالمكيدة الشخصية، يؤكد من خلالها علي رشيد نبله وكرمه في الاحتفاء بتجارب الرسامين العرب. غير أنها في الوقت نفسه تكشف عن اعتراف بأن شيئا مما يريد قوله لن يصل.

> رشيد تهمّه صداقة اللوحة أكثر مما تعنيه نتائجها. شيء منه يظل عالقا بها حتى النهاية. تنظر إلى لوحته فلا يهمك ما يظهر على سطحها، فهي تخطفك من أسئلتك، من كيانك العقلي لتبعث في روحك شغفا جماليا يتمنى المرء لو أنه عاش في ظل سحره العمر كله

حاول في الشعر وانتهى إلى بلاغة طعنها الزخرف بجماله. وها هو في الرسم يمضي بالتجريد إلى أقصاه. لغته التي غالبا ما تخلو من المفردات لا تخونه في التعبير بقدر ما تعيق عملية اتصاله بآخر صار على يقين من أنه لن يجده.

رسام يائس برسوم متفائلة. معادلة صنعها رشيد بقصد مبيّت ولم تصنعها الصدفة. فهو من القلة النادرة من الرسامين العراقيين الذين يعرفون ما يفعلون.

تهمّه صداقة اللوحة أكثر مما تعنيه نتائجها. شيء منه يظل عالقا بها حتى النهاية. تنظر إلى لوحته فلا يهمك ما يظهر على سطحها، فهي تخطفك من أسئلتك، من كيانك العقلي لتبعث في روحك شغفا جماليا يتمنى المرء لو أنه عاش في ظل سحره العمر كله.

"لا شيء هناك" يعترف الرسام وهو ما يشبه تشبثه بذلك "اللا أحد" الذي سيبعث إليه رسائله من غير أن ينتظر رسائل منه.

وفي حضور كل ذلك الفراغ العظيم لا يهمل رشيد أدواته التي تربطه بالحرفة. فهو يحرص على مهارة تقليدية يمارسها من غير أن يتباهى بها. فهي العتبة الأولى التي تحفظ توازن سلمه الذي تسلقته جمل موسيقية كثيرة.

رسام تجريدي في نتائجه غير أنه يمارس حرفته بصرامة رسام تقليدي. غير مرة رأيته يرسم. كان أشبه بمَن تطارده أشباح.

خرائط لسفر طويل

ولد علي رشيد في كربلاء عام 1957. تخرّج من معهد الفنون الجميلة ببغداد عام 1987 وكان قد أقام معرضه الشخصي الأول عام 1978 في قاعة نقابة الفنانين بكربلاء. انتقل عام 1994 إلى هولندا ليدرس ويعمل ويعيش هناك. تخرج من الأكاديمية الملكية للفنون في لاهاي عام 2000. درس بعدها التصميم والعمارة في المدرسة العليا للفنون في تلبرغ بهولندا وفي جامعة ليستر ببريطانيا وجامعة غرناطة بإسبانيا. أقام أول معارضه في هولندا عام 1995.

في حياته العملية مارس التدريس في ليبيا بين عامي 1990 و1994 وفي هولندا من خلال جامعة أوروبا الإسلامية، كما ألقى محاضرات في المدرسة العليا للفنون بتلبرغ. نال الجائزة الأولى في مهرجان "دنيا فيستفال الشعري" بهولندا عام 1998 والجائزة الأولى في ملتقى باول ريكارد بفرنسا عام 2014. انتسب إلى عدد من الجماعات الفنية الهولندية. أسس مجلة "إلى" الإلكترونية التي لا تزال تصدر حتى الآن وكان قبلها شديد الاهتمام بتدوين الذاكرة.

أصدر علي رشيد ثلاثة كتب هي "ذاكرة الصهيل" و"خرائط مدبوغة بالذعر" و"أضحية رمزية لمعارك الله" والكتاب الأخير هو كتاب تخطيطات.

عرف رشيد كيف يمسك تفاحتين بيد واحدة كما يُقال. لا أقصد الشعر والرسم، فهما فنان يلتقيان في غير جانب، بل أقصد طبيعة العلاقة المزدوجة التي أقامها رشيد بالرسم. لقد تعلم في أوروبا كيف يكون رساما عميقا في حداثته ومخلصا لكل شروط الحداثة، غير أنه كان في الوقت نفسه حريصا على الاستمرار في مشروعه المتعلق بتدوين الذاكرة الذي صار مع الزمن يتخذ طابعا شعريا.

لا يفارقه الكائن الاستفهامي. وقد يفاجئه بأن ذلك الشخص يحضر في رسومه كما لو أنه الضيف الذي لا غنى عنه. فإذا ما كان الرسام يطارد فكرة غامضة فإن تلك الفكرة هنا تطارد الرسام. علي رشيد تطارده أفكاره لتلحق به أو تسبقه إلى اللوحة.

يعرف رشيد أنه صار يتحرك في عالم خلوي. ليس هناك من شيء يرسمه. متعته تكمن في رسم ذلك الفراغ الهائل. الأبيض الخالص. يا له من لون ولغز مغلق. من البريطاني وليام تيرنر إلى الأميركي سي تومبلي مرورا بالفرنسي كلود مونيه، مرّ اللون الأبيض بتحولات جذرية صنعت استقلاله الفذ وحريته التي تتعلق بغموضه وقوته في التعبير. لذلك كان دائما اللون الأصعب. ذلك لأنه قد يصمت فجأة. وهذا ما يُخيف رساما مثل علي رشيد صار الأبيض خياره الوحيد بين الألوان.

أيعقل أن المرء يحارب بالشيء الذي يمكن أن يكون عدوه؟

من الصعب على هذا الرسام أن يتراجع. لقد استغرق عميقا في الأبيض. صار الرسم بالنسبة إليه يبدأ بالأبيض وينتهي به. لقد غرق في بحر من الأبيض وصار يستنجد أحيانا بألواح خلاص هي عبارة عن خطوط ناعمة بأصباغ أخرى لا يبدو أنه مقتنع بأنها تنتمي إلى عالمه، غير أنه يستضيفها على مضض، لا رغبة في تسلية مشاهدي لوحاته بل لحاجة نفسية مؤقتة فيه. ولكن ما نوع ذلك الأبيض الذي يستعمله رشيد؟ أسأل عن النوع ولا أسأل عن الدرجة.

رشيد هو ابن سلالة من الرسامين الذين بحثوا بعمق وتأمل في تجليات اللون الأبيض.

ألغاز وطلاسم ومنسيات

تعلم رشيد من تجارب مَن سبقوه في حروبهم البيضاء الشيء الكثير. وهو ما جعله حريصا على أن يتميز بأبيضه. أمر غاية في الصعوبة احتاط له الرسام من خلال أدوات هي مزيج مما يُرى ومما يدخل في باب التأمل وإن عبرت عنه إشارات وعلامات مشاعة.

سطح اللوحة لدى هذا الرسام يشف عن سطوح تقع تحته، لا يجهد الرسام نفسه من أجل أن يخفيها، بقدر ما يسعى إلى أن يحيطها بقدر من اللغزية كما لو كانت طلاسمه التي ورثها من بشر اطمئنوا إلى عهدته.

قد يكون مناسبا القول هنا إن المشاهد يشعر بوجود تلك الأشياء ولا يراها بشكل مباشر. شيء من الإيحاء يقع هو مصدر ذلك الشعور الذي يحفز الحواس على العمل وهي تتبع حدسها.

يرى المرء حدائق يغمرها النور ويسمع أصوات صلوات ويشم روائح أبخرة لا لشيء إلا لأن الحواس قد بدأت بالعمل بتحريض مباشر من الموسيقى التي تنبعث من تحت السطح التصويري الذي صار أشبه بخيمة تجري تحتها تلاقيات غامضة.

لوحاته ليست صامتة بالرغم من أنها شديدة التقشف. تجريده ليس باردا بالرغم من خلو لوحاته من الكائنات والأشياء إلا في ما ندر. يشدنا علي رشيد إلى مناطق تعبيرية لا تقع مباشرة أمام العين. غير أن الوصول إليها لا يتطلب جهودا كبيرة. فعل أشبه بالانزلاق الذي يجري تلقائيا وبيسر.

يملك الرسام القدرة على التحكم بالمسافة التي نمشيها لكي نصل. طويلة أم قصيرة تلك المسافة، فإن الشيء الذي نصل إليه لن يكون نفسه في كل محاولة جديدة نقوم بها. لعبة يشعر الرسام بأنها مصدر متعة لمشاهد قرر أن يستسلم لعصا دليله في رحلة خيالية.

> «إلى» أشبه ما تكون بالمكيدة الشخصية، يؤكد من خلالها علي رشيد نبله وكرمه في الاحتفاء بتجارب الرسامين العرب، غير أنها في الوقت نفسه تكشف عن اعتراف بأن شيئا مما يريد قوله لن يصل

المتعة التي يشعر بها الرسام تتخطى لحظة الرسم إلى اللحظة التي يشترك فيها مع المشاهد في هذيان تأملي يظلله الجمال بجناحيه. سيكون التيه حينها مريحا لا لشيء إلا لأن العالم صار أجمل.

الأدب العربي ومغامرة السفر في لغات العالم

❏ لطالما كانت الترجمة جسرا بين الثقافات، من دونها لا يقوم تواصل، ولا يحصل تفاهم، ولا تنهض علاقات، ومن دونها لا تكتشف الذات ذاتها ما دامت بلا آخر، أي بلا مرآة تتعرف فيها على وجهها، وتطرح على الآخر سؤالها الحضاري، وتتبادل معه الحوار.

لكن الترجمة محكومة بطبيعة عصرها، وبدرجات قوة الثقافة ودرجات ضعفها، وبطبيعة حضورها بين ثقافات الأمم الأخرى والألسنة الأخرى. وهي أولا وأخيرا محكومة بحال اللغة وقدراتها ومساحات انتشارها ومستوى أدبها وطبيعة تطلعاته وقدرته على مخاطبة الإنسانية. وبعد ذلك بظروف الأمة التي تتكلم تلك اللغة وموقعها الفاعل في الحضارة.

على هذه الخلفية يُطرح، غالبا، سؤال الترجمة. وفي ثقافتنا العربية، لطالما شغل سؤال الترجمة تفكير الكتاب والمبدعين وكذلك المفكرين وحتى المنشغلين بقضايا الثقافة من صحافيين وقراء متابعين. والطريف أن هذا السؤال غالبا ما يطرح مقرونا بالشكوى، وتكون أجوبته أكثر طرافة من أسئلته، فشاعر ترجمت قصيدته عبر لغة ثالثة، وعندما ردها إلى لغتها الأصل مترجم استنكر ألا يترجم الشعر من لغته رأسا إلى لغة ثانية، فإذا به يقرأ قصيدة لا علاقة لها بتاتا بالأصل.

وروائي وجد ضالته إلى الإنكليزية في مترجم عربي وعندما اقترحت الرواية على ناشر إنكليزي رأى فيها "مسخرة أدبية" لكن دودة الغريزة جعلت الناشر يقدمها لمحرر أدبي أعاد كتابتها، فإذا بالنص العربي الركيك يتحول عبر الترجمة إلى نص روائي عجائبي يطبع لمرات، ويلقى لنفسه جمهورا بين قراء الإنكليزية.

ما سلف وجه هزلي للمسألة، فالترجمة من العربية وإليها تشهد حركة متنامية، صحيح أن ما ترجم من الأدب العربي إلى اللغات الأخرى يكاد لا يلحظ في خزائن ثقافات العالم، وصحيح أن جل الترجمات التي تؤدى اليوم، إنما يقوم بها أفراد اتصلوا بالثقافة العربية، ووجدوا فيها ما يلفتهم إن في الشعر أو السرد، فأخذوا على عاتقهم نقل بعض نماذج هذا الأدب إلى لغاتهم، وذلك من خلال علاقات شخصية، بالضرورة، فكانت خياراتهم تصيب وتخطئ، ولم تكن موضوعية، بالضرورة. وهذا أمر مفهوم، فنحن لا يمكننا أن نستبعد الهوى الشخصي، لا سيما عندما نتحدث عن الذائقة الأدبية.

على أن وجها أكثر بروزا يحضر عندما نتحدث عن الترجمة، وأعني به دوافع الترجمة ودواعيها. فكثير من الأعمال الأدبية العربية ترجمت على محمل اكتشاف الشخصية الحضارية للعرب، ومن باب الرغبة في تحقيق معرفة أفضل بهذه الشخصية، وبالتالي فقد بدت هذه الأعمال مادة تصلح لدراسات اجتماعية وسياسية أنثروبولجية أكثر منها مادة أدبية خلاقة وممتعة.

في هذا الملف مقالات ثلاث تتناول قضايا الترجمة: ترجمة الشعر، حال الأدب العربي وإشكالياته، وطبيعة التفاعل الثقافي الذي ولّدته ترجمة "ألف ليلة وليلة" الكتاب الذي يعتبر إحدى الأيقونات الأدبية الكبرى في العالم، وقد لعبت الترجمة دورا بارزا في شهرة هذا الكتاب.

أخيرا، نشير هنا إلى المقالة الأولى في الملف، وتتعلق بمغامرة ترجمة الشعر الذي طالما اعتبر مادة أدبية متمردة وعصية على الترجمة، فهو أشبه بحصان لم يروّض، ولطالما كان على المترجم أن يتدرب على التعامل معه ككائن خارق، وأن يرتقي بقدراته في قراءة هذا الكائن إلى ذرى عالية وبعيدة.

يخوض الناقد والأكاديمي التونسي محمد آيت ميهوب في المسألة، مقلبا وجوهها ومستدعيا الأمثال من التراث العربي القديم، وكذلك من ثقافتنا الحديثة، ليجيب عن السؤال الأصعب: هل يمكن ترجمة الشعر؟

قلم التحرير

ثقافة العرب وثقافات الجوار

إشارات بصدد فوضى العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى

نوري الجراح
كاتب من سوريا

❏ صرفت النخب العربية المثقفة القرن العشرين في انشداد نحو الغرب لا نجد مثيلا له إلا في انشداد النخب التركية والإيرانية، فالأمم الثلاث هذه، بمكوناتها الثقافية والقومية المختلفة، اشتركت في ما بينها بالانسحار بالغرب، مقابل الإعراض تماما عن مباشرة حوار ثقافي أو من أي نوع آخر في ما بينها. فقد بدت الأمم الشرقية معرضة عن شرقيّتها، متجاهلة قدرها الجغرافي، وهاربة من إرثها المشترك، وأحيانا منخلعة منه على نحو غريب. وهي في أعماقها السحيقة ولاوعيها الجمعي مريضة مرضا لا شفاء منه من جراء تخلفها الحضاري أمام الغرب.

وهكذا بدا الغرب بالنسبة إلى الأتراك والإيرانيين والعرب وغيرهم من الأمم الشرقية قبلة جديدة يلوذون بها من ألم الفوات الحضاري، وبحثا عن رقعة لهم قريبة من شمس العصر التي لاحت لهم غاربة عن شرقهم ومشرقة على الغرب. وهكذا عرفنا نمطين من الاتصال بين الشرق والغرب، رحلات غربية إلى شرق غريب عجيب يكشف فيها الغرب عن قوته وتقدمه الحضاري، ويريد لنفسه من جهة فسحة جغرافية أكبر يستكشف فيها قدرته على السيطرة والهيمنة والاستيلاء على مصادر الثروة، واكتساب الأسواق، وفي الوقت نفسه حيازة الآخر الشرقي من خلال الاتصال بأدبه وخرافاته وعوالمه التي رآها الغربي غرائبية ضاربة في الزمن القديم، في أساطير البدء وأساطير الخيال الغريب، وكذلك وجد في تلك العوالم ما يغذي استيهامات الغريزة، والتوق إلى إشباع نهم رومانسي وشبقية ولدتها توقعات المتفوق وخياله الجامح لتحقيق الاتصال بأيروسية سحرية وبدائية شبقة ما برحت تولد حنينا زائفا إلى روحانية بدائية تطهرية جاعت إليها الشخصية الغربية المنغمسة في تجليات القوة، وليمتحن من خلالها كذلك قوة تفوقه الحضاري، مقابل رحلات شرقية إلى غرب يستكشف فيه الشرقي ملامح من مدنية جديدة لا قبل له بها، وعوالم من التطور العلمي والأدبي والفني ومن ابتكارت في صور مدهشة سبقت خياله، فصدمته، وجعلته في مواجهة مع نفسه، يقف أمام مرآة الغرب ليكتشف فيها عجزه وتخلفه ودونيته وحاجته بالتالي إلى أن يأخذ عن الغرب فيتبعه، أو يعرض عنه فيتقهقر أكثر، ويغيب هو وعالمه عن لوحة الحضارة الإنسانية.

بدأ هذا في مطلع القرن التاسع عشر، على إثر الصدمة التي خلفتها حملة نابليون على مصر. وما كان من استجابة للتحدي الحضاري متمثلة ببعثات محمد علي باشا إلى إيطاليا 1813 وفرنسا 1813. ومذ ذاك، بل ومنذ ما قبل هذا التاريخ أيضا، وحتى مطالع القرن العشرين عرفنا شتى أنواع الرحلات العربية، وكذلك الشرقية إلى أوروبا. رحلات علمية ودبلوماسية وتجارية وسياحية. وكان الأتراك سباقين إلى مثل هذه البعثات، وجاء بعدهم العرب، ثم الإيرانيون. ودونت وقائع هذه الرحلات في يوميات سعيد باشا، وصادق باشا (تركيا)، أحمد الحجري- أفوقاي، الغساني الأندلسي، المكناسي، (المغرب)، الأمير فخرالدين المعني (لبنان)، رفاعة الطهطاوي (مصر) ناصرالدين شاه (إيران)، وغيرهم. وقد نجم عن هذا الاتصال ومواعيده المختلفة وكذلك أسبابه المتباينة تجديد لحركة ترجمة الأدب والفكر والوثائق وتسارعت أعمال نشر المخطوطات العربية، ولعب مستشرقون ومستعربون فرنسيون وإنكليز وألمان وروس وطليان أدوارا عظيمة في هذا السياق، وساهمت حركة تحقيق التراث العربي وترجمته ونشره في لايدن، وأمستردام، وبطرسبورغ، وباريس، وروما، وغيرها من مراكز العلم الأوروبية في تنشيط حركة الترجمة والتبادل الثقافي بين العرب والغرب.

***

بدأ عبور النخب العربية منذ نهايات القرن التاسع عشر، مع اشتداد أزمة الإمبراطورية العثمانية، وقلق مصر من أزماتها الاقتصادية في ظل تحولات اجتماعية وسياسية، وظهور حركات قومية ووطنية استقلالية على رقعة واسعة من بلاد الشام وحتى الحجاز ونجْد، ترافقت مع ظهور مسألة يهودية في فلسطين، وتداعيات لها في مدن عربية مجاورة. كل هذا وغيره، خلق حراكا فكريا ومناخات ثقافية انشغلت معها النخب الثقافية بجملة من القضايا الكبرى، ليس أقلها إصلاح اللغة العربية، وتأسيس الصحافة، وترجمة الأفكار الرائجة في الغرب، والبحث عن السبل الكفيلة لبناء الدولة الوطنية، وتأسيس سردية قطرية من جهة، وعربية تقوم على أساس من مقومات مشتركة لأمة، بدت للنخب العربية واحدة بشعوب متعددة، ما دامت تملك هوية ثقافية متحققة في النصوص والتاريخ ولها دين مشترك طبعت حضارة عظيمة ازدهرت ذات يوم، وبسطت نفوذها على مساحات هائلة من جغرافية العالم القديم.

وقد تطلب إحياء هذه القيم، ولا سيما البعد العربي، بحثا في المكونات والمقومات والإمكانات، ووعيا بطبيعة العصر، وصولا إلى تحقيق صورة معاصرة للهوية. كل هذا لم يمنع من ظهور الولع بالغرب وحضارته الحديثة، فقد غزت صناعاته وأفكاره العالم كله، على نحو مذهل ودخلت على حياة الناس في كل مكان فقلبتها رأسا على عقب. بات الغرب مثالا ومقياسا، وقبلة للشرقيين جميعا. وهكذا بدا العرب مسحورين به بوصفه المكان العالي الذي تلوى له الأعناق لتطاله الأبصار، فهو أرض كل ما هو عصري وخالب للب، وموئل لكل جديد، فهو متقدم وحديث وحداثي وحداثوي، وفي الجملة باهرٌ وعجيب.

***

هل يمكن الحديث عن الترجمة من دون التأمل في إرث وصيرورة وتأريخ متقلب من علاقات الثقافة العربية بالثقافات الأخرى، وعلاقات العرب بالأمم المجاورة والبعيدة؟

لعل الإجابة عن ذلك في التاريخ العربي القلِق وما ساده وتحكم به من حروب مع الغير، وصراعات اجتماعية وسياسية مدمرة، واستعمار أجنبي، وتخلف في النظم والإدارة، وهشاشة في بنية الدولة مقابل نماذج حكم شمولي وعلاقات أبوية طاغية تهمش النساء وتلغي الذوات، وتستعبد الجموع، في تاريخ كهذا كيف يمكن الحديث عن علاقات ثقافية منتجة، إن داخل النسيج أو خارجه مع الجوار الثقافي الشرقي والأوروبي.

> هل يمكن الحديث عن الترجمة من دون التأمل في إرث وصيرورة وتأريخ متقلب من علاقات الثقافة العربية بالثقافات الأخرى، وعلاقات العرب بالأمم المجاورة والبعيدة؟

في تاريخ كهذا نعثر، بالضرورة، على الجواب عن الفوضى السائدة اليوم في علاقة الثقافة العربية بذاتها، وعلاقتها بالثقافات الأخرى، ومن بين الآثار المدمرة لذلك: فوضى الترجمة وغياب المشروعات المؤسسة على خطط البصيرة التي تربط فعل الترجمة بحركة التطور الاجتماعي والثقافي العام وللدول والمجتمعات في تطلعاتها المستقبلية.

***

صرف العرب، وصرفت نخبهم المثقفة، مدنية وعسكرية، القرن العشرين بأكمله وهم في انشداد لا عاصم له نحو الغرب، في الوقت نفسه، ومن دون تفكير جدّي بحقائق الجغرافيا التي عادة ما تصنع الأقدار وتحدد مصائر الشعوب في علاقاتها التجاورية، عَبَرَ العربُ، في رحلة انشدادهم نحو الغرب، على جوارهم القريب، وأغفلوا الأسئلة الكبرى المتعلقة بامتدادهم الحضاري، وكذلك فعل جوارهم الثقافي (الأتراك والإيرانيون) فانقضى القرن العشرون بسنواته المئة المديدة من دون أن يمثل الجوار الثقافي والحضاري لهذه الأمم أي ذخيرة أو قوة يمكن أن تؤثر في وزنهم النوعي كأمم شرقية طالما كانت قادرة على استدخال عناصر التنوع في مكوناتهم الحضارية، فبدوا كما لو أنهم ليس في حسبانهم ما لثقافات الجوار؛ عربية وفارسية وتركية وهندية، من صلات قربى فاعلة ومؤثرة في ثقافة كل منهم عبر التاريخ، حتى لكأن المشترك الحضاري الضارب في القدم لم يعد له وجود.

***

وإذا كان قيام الدولة القطرية العربية قد تزامن مع قيام دولة إسرائيل، فإن السؤال الذي لا يمكن تجنب طرحه هو: هل كان هذا التزامن محض مصادفة ساخرة؟! وهل أن تقطع أوصال العلاقات الثقافية العربية مع الجوار، والبلى الذي أصاب النسيج المشترك بين الشرقيين لصالح العلاقة المريضة لكل من العرب والأتراك والفرس بالغرب هو محض مصادفة أيضا، أم أنه صورة من صورة الضرورات التاريخية الحمقاء؟

لماذا هرب الشرقيون من أنفسهم ولاذوا بالغرب؟

مغامرة ترجمة الشعر

علامات الاستحالة وصور الممكن

محمد آيت ميهوب
كاتب من تونس

❏ تمثّل قضيّة ترجمة الشعر أبرز القضايا المتعلّقة بالترجمة وأكثرها إثارة للنقاش بين أطراف متعدّدين من شعراء ونقاد ومترجمين وقرّاء. وهي تكاد تستقطب كلّ جدل حول الترجمة الأدبيّة وتُتخذ عنوانا للموقف الذي يتبنّاه شخص ما من إمكان الترجمة أو استحالتها، ناقشها قديما هوراس والجاحظ، وناقشها حديثا ياكوبسون وميشونيك، وحولها تحوم مجموعة من المصادرات والأحكام المسبقة التي جعلت المواقف حيالها تتسم بطابع ثنائيّ: ففريق، وهو الأغلبيّة المطلقة، يميل أصحابه إلى رفض ترجمة الشعر لاعتقادهم أنّ نقل الشعر من لغة إلى أخرى أشبه بالسراب الخلّب، ويمثّل هذا الفريقَ النقّادُ وعلماء اللغة وعامّة القرّاء. أمّا الفريق الثاني، وهو قلّة، فيقرّ أصحابه بصعوبة ترجمة الشعر ولكنّهم لا يرون استحالتها.

ومن الطريف أن نلاحظ أنّه رغم هيمنة الموقف الأوّل طيلة تاريخ الشعر ورغم تكرّس القول باستحالة ترجمة الشعر وكأنّ ذلك أمر بديهيّ، فإنّ ترجمة الشعر مع ذلك لم تنقطع ولم تنِ تتطوّر وتتراكم تجاربها في شتّى اللغات والآداب. ولئن أحجم العرب في أوج ازدهارهم الأدبيّ والحضاريّ عن ترجمة أشعار غيرهم لأسباب سنأتي على ذكرها، فإنّهم منذ عشرينات القرن الماضي تفطّنوا إلى ضرورة الإقبال على نقل الشعر الغربيّ إلى اللغة العربيّة، وإلى أهميّة ذلك في إثراء التجربة الشعريّة العربيّة وتطويرها. فطفقوا ينقلون عيون الشعر الحديث لكبار شعراء الغرب أمثال بوشكين وبودلير ولامرتين ورودزويرث، وكيتس، وسان جون برس... فانعكست هذه الترجمات إيجابا على حركة الشعر العربيّ، وساهمت في قلب الذائقة الشعريّة وتثوير بنية القصيدة وتغيير معجمها. ومع ذلك مازال الكثير من النقّاد يتمسّكون بالحكم القديم عن استحالة ترجمة الشعر، ومازال الكثير من القرّاء يقبلون على القصيدة المترجمة وقد أعدّوا أنفسهم مسبقا لقراءة نصّ رديء بالضرورة ويجعلون مبلغ همّهم، إذا كانوا يعرفون النصّ الأصليّ، تقصيَّ مظاهر خيانة المترجم وتشويهه القصيدة الأم، اعتبارا منهم أنّ المترجم هو بالضرورة "خائن خوّان" فما بالك إذا كان المترجَم نصّا شعريّا.

لذلك أردنا من هذه الورقة مناقشة هذا الرأي وتبيين حدوده وإبراز وجوه إمكان ترجمة الشعر. وقد اخترنا أن ننطلق في هذه المناقشة من زعيم القائلين باستحالة ترجمة الشعر: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

استحالة ترجمة الشعر

يقول الجاحظ في كتابه "الحيوان"، "وفضيلة الشعر مقصورة على العرب، وعلى من تكلّم بلسان العرب، والشعر لا يستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوّل تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجّب لا كالكلام المنثور" (الحيوان، دار الجيل، بيروت، 1996،ج 1- ص 74-75).

يتبيّن من قول الجاحظ أنّه يربط رفض ترجمة الشعر بفكرة مسبقة كانت سائدة عند العرب قديما يأخذونها مأخذ البديهيّات وهي اعتبار الشعر ميزة اللغة العربيّة وفنّا من القول لا تشاركهم فيه بقيّة الأمم. وهي فكرة خاطئة طبعا إذ الشعر شائع بين كلّ اللغات والحضارات كما أنّ الوزن ليس خاصّا بالشعر العربيّ فحسب بل هو مشترك بين كلّ الأشعار.

> عندما توفّر رصيد حضاريّ مهمّ من التواصل بين العرب والغرب في بداية القرن العشرين عبر الرحلات والبعثات العلميّة والتجارب الشخصيّة، وعندما أدرك العرب أنّ الشعر ليس حكرا عليهم بل هو شائع بين كلّ الحضارات والألسن، وعندما مسّت العرب حاجةٌ ملحّة إلى ترجمة شعر غيرهم لاكتشاف آداب الآخر من جهة وتطوير أدب الذات من جهة ثانية، عندما أقبلوا على الترجمة في حماس ولهفة، فأصبحت ترجمة الشعر ركنا ثابتا

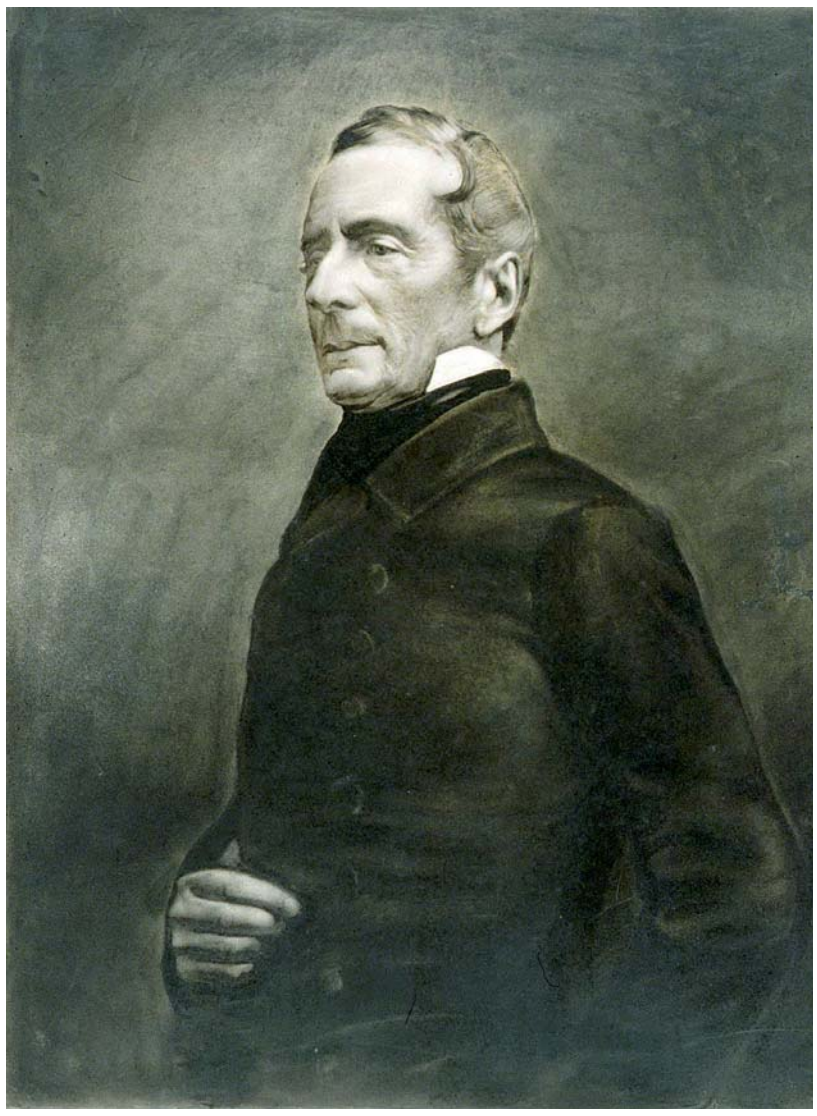

تبدو الحاجة إلى ترجمة الشعر أمرا مشتركا بين منتج النصّ ومتقبّله

استند الجاحظ إلى هذا الرأي إذن ليجعله سنده في رفض نقل الشعر، ذلك أنّ اللغات التي سينُقل إليها الشعر العربيّ تفتقر إلى الحضن اللغويّ المؤهّل لاحتضان الشعر العربيّ. فالعائق الأوّل هو غياب المقابل اللغويّ والتعبيري في اللغات الأجنبيّة، فتغدو ترجمة الشعر سيرا في عتمات المجهول وإلقاء بالشعر في صحراء العمه والتّيه. هذا هو السبب الخارجيّ المانع لترجمة الشعر. أمّا السبب الثاني فداخليّ بنائيّ يهمّ خصائص القول الشعريّ نفسه ويتمثل في اشتمال الشعر على عناصر فنيّة تميّزه من النثر وتمنح الخطاب هويّته الشعريّة، فلا يكون الشعر دونها شعرا. وهي عناصر أربعة: النظم (تقسيم الكلام إلى صدر وعجز وانتهاء كلّ بيت بقافية متواترة من بيت آخر)، والوزن (وهو أشكال مجرّدة رمزيّة جمعها العرب في بحور يتقيّد بها الشاعر ويجري الكلام مجراها)، والحسن (وتجسّده الأساليب البيانيّة والحسنات البديعيّة والإيقاع الداخليّ والخارجيّ)، وموضع العجب (وهو ما يوقعه الشعر في نفس سامعه من أثر وما يبعث فيه من مشاعر وما يوقظ فيه من أفكار ورؤى لا يحققّها المعنى الأوّل للقصيدة بل معانيها الثواني التي لا تحدّ).

لا سبيل إذن إلى ترجمة الشعر لاستحالة بلوغ الهدف الذي تسعى إليه كلّ ترجمة: وهو مطابقة النصّ الأصليّ في مبناه ومعناه. فلا إمكان البتّة لأن يكون النصّ المترجَم وفيّا لبنية القصيدة العربيّة ووزنها وقافيتها ووجوه المجاز فيها فضلا عن عنصر آخر أهمله الجاحظ وهو السياق الثقافي والحضاريّ الذي يفعل فعله في النصّ ويصوغ معجمه ومعانيه. والمعضلة الكأداء الأخرى هي كيف نترجم ما لا يُرى في القصيدة وهو جوهر الشعر ذاك الذي يصطلح على تسميته بـ"الشعريّ"، أي كيف نترجم ما يسمعه متلقّي النصّ في صمت وما يراه قارئ القصيدة في بياضها، كيف نترجم ما لا يقوله النصّ؟ كيف نترجم المعاني الثواني؟ وكيف نترجم التفاعل الوجداني مع النصّ؟ وكيف نترجم ما تنقله القصيدة الواحدة من أصداء خفيّة لآلاف القصائد من جنسها؟ كيف نترجم التناص؟ وكيف ننقل إلى الآخر روح الشعر؟

ثمة سبيل واحدة حسب الجاحظ لنقل الشعر هي تحويله إلى نثر بإعادة صياغة معاني القصيدة صياغة نثريّة مرسلة لا نظم فيها ولا وزن ولا حسن ولا موضع تعجّب. وهذا الحلّ مستهجن عند الجاحظ مرذول لسببين: أوّلهما أنّ النثر في لغته الأصليّة أجمل وأوقع أثرا منه في لغة مترجمة، وثانيهما أنّ الآخر عندما يقرأ معاني الشعر مترجمة نثرا سيجدها تكرارا لما ألف من معاني في النثر الذي يُكتب في لغته، ذلك أنّ المعاني حسب الجاحظ شائعة بين الأمم ولا يقوى العرب على منافسة العجم فيها.

واضح من قول الجاحظ أنّ رفضه نقل الشعر يرتبط برؤيته النقديّة الأدبيّة لماهية الشعر. والجاحظ لا يختلف في ذلك عن الأغلبيّة السّائدة من النقّاد العرب قديما وحديثا في تعريف الشعر بالتركيز على جانب واحد منه هو الوزن. كما يرتبط هذا الموقف برؤية الجاحظ للترجمة، إذ يعتبرها نقلا وفيّا للنصّ الأصليّ يحقّق به المترجم تطابقا كاملا مبنى ومعنى مع نصّ من ترجم له. ولكن هيهات بلوغ ذلك والشعر العربيّ موزون مقفّى ولغات الآخرين في رأي الجاحظ، لا تعرف الوزن والقافية، بل هي جاهلة بالشعر إذ هو مقصور على العرب.

ومن الطريف أنّ أبرز المدارس والاتّجاهات النقديّة في القرن العشرين كالإنشائيّة واللسانيّات والبنيويّة قد وقفت من ترجمة الشعر بل من الترجمة الأدبيّة عامّة موقفا شبيها إلى حدّ بعيد بموقف الجاحظ. فرأى ياكوبسون بناء على التمييز بين لغة الشعر ولغة النثر والتسليم بأنّ الشعر قائم على الإحالة الذاتيّة ومفهوم العدول، أنّه تستحيل ترجمة الشعر.

ذلك أنّ نقله سيمثّل تعسّفا على طبيعته الإنشائيّة (الإحالة الذاتيّة) وسيفقده أبرز سماته (العدول)، ولن يجد قارئ النصّ المترجم ما ينسيه النصّ الأصل. يقول ياكوبسون "والشعر بحكم تعريفه لا يُستطاع أن يترجم وليس بممكن إلاّ نقله نقلا خلاّقا" (ذكره محمد عجينة: الترجمة الأدبيّة، رحاب المعرفة، السنة 4، عدد 21، مايو- يونيو 2001، ص 92).

وذهبت اللسانيّات استنادا إلى أبرز مبادئها، مبدأ الفصل بين الدّال والمدلول، واعتبار العلاقة بينهما علاقة اعتباطيّة، إلى القول باستحالة الترجمة الأدبيّة عامّة. ذلك أنّ ترجمة ملفوظ النصّ (الدّال) لا تضمن بأيّ حال من الأحوال ترجمة المضمون (المدلول) لما بينهما من تباعد أوّلا، ولأنّ النصّ المترجَم سيخلق علاقة جديدة في اللغة المنقول إليها بين دال ومدلول جديدين. وبذلك فالنصّ المترجم هو نصّ قائم بأصله لا علاقة له بالنص الأصل.

الكتاب الأكثر سحراً

ألف ليلة وليلة التفاعل الثقافي

ياسمين فيدوح
باحثة من الجزائر

❏ تقف نظرية الترجمة اليوم على النقيض من كل المعايير وهي تشدد على امتلاك الأداة المثلى والمقدرة على التوصيل، وتهدف في جوهرها إلى تفسير عمليات النقل بالاعتماد على مبادئ ألسنية. ويشغل هذا التوجه جزءا كبيرا من اهتمام المترجم الذي لا يكتفي بوصف تلك العمليات، وربما لن يجد في بعض التنظيرات الحديثة أكثر من مجرد افتراضات.

ومن المؤكد أنه تم الاتفاق على مجموعة من المبادئ والشروط التي ينبغي للمترجم الالتزام بها، غير أنه من الخطأ الحكم على ترجمة ما بمقتضى تلك المبادئ وحسب. فالترجمة الأدبية -مثلا- تتطلب وعيا بالأنساق الثقافية للمجتمعات، من حيث كون الترجمة تتم بين ثقافتين، كما يفترض من المترجم مراعاة الكثافة الإيحائية للدلالات والرموز، والأهم من ذلك عليه أن يدرك العلاقات الخفية التي تنشأ بين المحتوى والتعبير. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الترجمة الأدبية تراهن على حس المترجم، وذوقه، وتكوينه، وتمرسه بالفن الذي يترجمه، وتفاعله معه. وينتج من هذه الطروحات جدل حاد قد يقلل من جدوى الاعتقاد في نظرية الترجمة، والسعي المتواصل إلى البحث عن جسر تواصل، غير أن ذلك يضاعف جهد السؤال، ويزيد من بشأنه، فائدة ونفعا.

لقد برزت الترجمة دائما على أنها الميدان الشامل للتواصل، واكتسبت في ضوء المعارف الجديدة مفاهيم عدة، ترمي في أساسها إلى تحديث المناهج الترجمية التي يظهر أن أغلبها يتجه إلى المترجم له ضمانا بحصول الإفهام وإيصال الرسالة.

ومن هنا ألجأتني هذه الدراسة إلى تصور الآليات الترجمية التي اعتمد عليها الغربيون في نقل تراث الشرق القصصي العظيم، ألف ليلة وليلة، ورحلة شهرزاد إلى الغرب، التي كانت مدخلا مهما للعالم الشرقي في نظر الغرب، وانبهار الآخر -في الثقافة العالمية- بسحر طرائق سردها الغرائبي.

ولا ريب في أن تلك الجهود لم تكن على قدر مشترك من الدوافع والنوايا، فانبهار الغرب بألف ليلة وليلة جعلهم يحصرون اهتمامهم الأكبر بموضوعاتها في عصر عقلاني طغت فيه الكلاسيكية، واستبد فيه العقل. ومع ذلك فقد كرسوا جهودا مماثلة لمعرفة أصول هذا التراث الذي زعزع كيانهم، وأحدث انقلابا في أذواقهم، حتى قال عنه غوستاف لوبون Gustave LeBon في كتابه حضارة العرب، ص 450، " تعد ألف ليلة وليلة من أكثر الكتب التي وضعها الإنسان إمتاعا مع ما فيها من نواقص واضحة جدا، وأضيف إلى ما فيها من متعة ما في قراءتها من فائدة، فبها ينال القارئ معارف صحيحة عن طبائع العرب، ومشاعرهم، ووجه تفكيرهم في بعض الأدوار".

فالنص يتضمن أنثروبولوجيا ثقافة الانتماء العربي لألف ليلة وليلة بأوجهه المختلفة، الإبداعي والفكري والثقافي، وأساليب حياة المجتمع وسلوكياته، فهي ليست حديثا غثا وباردا، وإنما هي رصد شامل للطبائع والمشاعر والأفكار.

ما من ثقافة تتجرد من وجدانها إلا ويكون مصيرها الزوال. جَرَّدْ أمة ما من رومانسيتها وانظر بعد ذلك ماذا عساها أن تكون؟ لقد تعهدت الرومانسية بإعادة الكائن إلى ينبوعه الفطري، وقد يعد الحكي من أروع الممارسات الرمزية جمالية وتعبيرا عن الحس الفطري للإنسان على نحو ما ذكره محمد رجب النجار (التراث القصصي في الأدب العربي، ص3) بقوله فـ"الحكي، أسطوريا -كان أو أدبيا- هو ميراث الحضارات الأول، وقد واكب الإنسان منذ أقدم العصور التي كان يحبو فيها خطواته الأولى على مدارج الحياة البشرية، إبّان طفولتها الشعرية، ليس لأن الحكي كان آنذاك الأداة المعرفية الأولى التي عرفها الإنسان القديم سبيلا إلى صوغ الفكر الديني، والثقافي، والعلمي، أو لأنه الأداة الأبلغ أثرا، والأقوى تأثيرا في تشكيل الوعي الإنساني، بل فوق هذا كله؛ لأن الإنسان كائن قصصي بالخِلقة، وبالفِطرة الطّبيعيَّة، ليس لأنه كائن ثقافي، بالفعَل، بل لأن الحكي نفسه جبلّة طبيعية فيه، تلبي نزوعا إنسانيا يستحَيل تجاهله، في كل العصور التاريخية والمراحل العمرية للإنسان"، فمهما ادعت العقلانية استبدادها بالكائن فإنها لا تمتلك إزاء السيطرة البدئية للخيال أية قوة لمواجهتها، بدليل انفلات المخيلة من عقالها في أوج العصر الكلاسيكي عندما تفتح وعي القارئ الأوروبي على كنوز الشرق بكل ذلك التدفق الخلاق من لا محدودية التصوير إلى لا معقولية التخييل، فكان حضور ألف ليلة وليلة في الغرب بداية عهد رومانسي طمس برودة الأشياء، وبعثها من جديد، باعتراف الغربيين أنفسهم، فقد ذهب محمد جاسم الموسوي (ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنكليزي، ص22) إلى القول إنه "في هذه المجلدات يرقص السحرة، والجن، والمصابيح، والخواتم، والطلاسم، بوفرة تجعل القارئ يتعجب ويندهش مستغربا، هذا القارئ الذي لم يتعرف من قبل على غير ساحرات يمتطين المكانس، أو جني قزم يرقص بعض الأحيان في ضوء القمر".

> انبهار الغرب بألف ليلة وليلة جعلهم يحصرون اهتمامهم الأكبر بموضوعاتها في عصر عقلاني طغت فيه الكلاسيكية، واستبد فيه العقل

إن ما نعثر عليه في الأساطير هو الجانب النقي في حياتنا، غير أننا لسنا مفعمين بذلك الفيض من النقاء؛ لأننا نفتقد إلى الإحساس بحرارة ما يربطنا به. وربما كان فعل الحكي -بوصفه ممارسة طقسية تتشكل عبرها علاقة الإنسان بوجوده الفعلي والرمزي- امتدادا لجوهر الأسطورة في اختبار الوعي البشري، "فالقصد من الأساطير القديمة هو أن تناغم بين العقل والجسد، بإمكان العقل أن ينطلق بعيدا وبأساليب عدة. ويبتغي أشياء لا يريدها الجسد، والأساطير والشعائر كانت وسائل من شأنها أن تضع العقل في انسجام مع الجسد، وأن تجعل أساليب الحياة متوافقة مع ما تمليه الطبيعة" (جوزيف كامبل: قوة الأسطورة، ص106). ضمن هذا التناغم يمكننا اعتبار ألف ليلة وليلة أسطورة الشرق بما تولد عنها من رؤيا كونية رافقت تجربة الإنسان التأملية، ولما كان التأمل أرقى من الفهم فقد تهافت عليها القراء من مختلف أرجاء المعمورة.

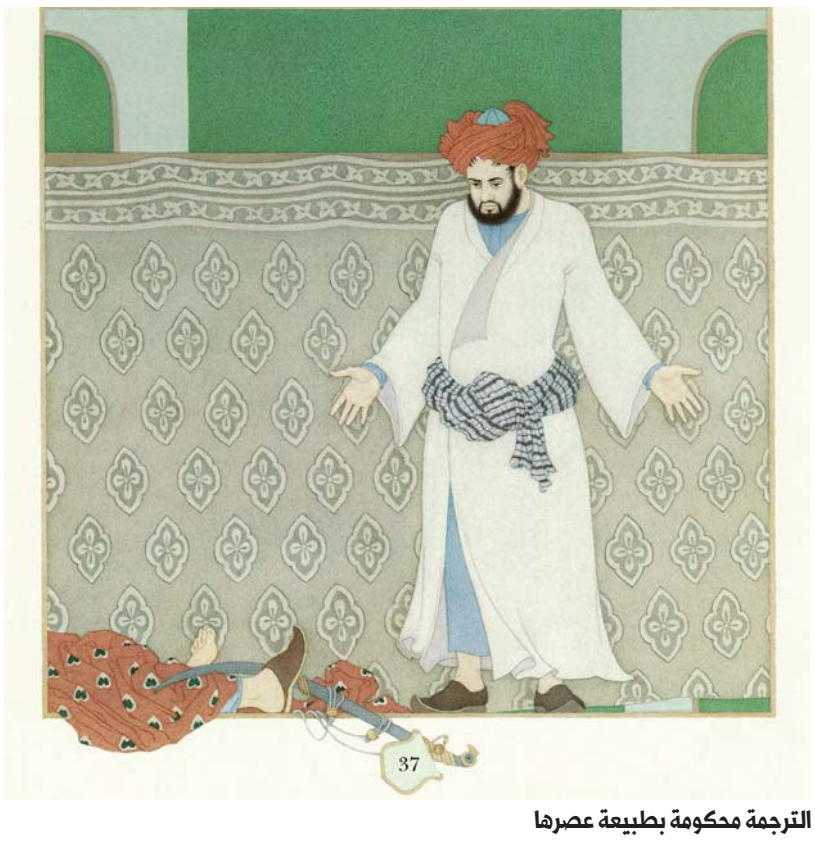

الترجمة محكومة بطبيعة عصرها

برزت الترجمة دائما على أنها الميدان الشامل للتواصل

لقد طورت ألف ليلة وليلة، في وقت مبكر، الإحساس بلذة النص، فاستحوذت على أذواق المتلقين، بما في ذلك النخبة والعامة، لا سيما وقد أحدثت هزة جمالية في التلقي الأوروبي، فانتقلت به من سكونية القوالب الكلاسيكية إلى حركية التحرر من قيودها، وما مهد لهذه السيطرة والسيادة هو الإثارة، والخيال الخصب، والسلاسة، والمرونة، "فالحكايات الشعبية هي عبارة عن نماذج قصصية مجردة غير معقدة، وسهل على الإنسان أن يتذكرها ولا تعيقها حواجز من اللغة والثقافة" (نور ثروب فراي: الماهية والخرافة، ص44). وليس غريبا في مثل هذه الحالة أن تتخطى الليالي العربية حدود الزمان والمكان فتخترق جملة من المعارف والآداب ومن ضمنها الأدب الروسي، والإنكليزي، والألماني، بما في ذلك الأدب الفرنسي الذي كان بوابة المرور إلى الشرق. وقد صاحبت تلك التأثيرات مجموعة عوامل أهمها تجديد الأدب الأوروبي في التعامل مع روح الشرق في ضوء ما ذكرته (نادية سلطان: تأثيرات ألف ليلة وليلة على الأدباء الروس في القرن التاسع عشر، عالم الفكر، 18–1987) "باستخدام الشعر الغنائي الرقيق، والأسلوب الشرقي المنمق، والخيال، والهجاء، والسخرية التي تهدف إلى تهذيب الصغار والكبار على السواء، وكذلك عالم السحر الخارق والبذخ الشرقي بوجه عام وبساطة الشرق وسحر لياليه".

ولقد أظهر القارئ الأوروبي ترحيبا لا مثيل له بألف ليلة وليلة حيث وصلت إلى كل الطبقات، وتغلغلت في أذهان معظم الكتاب والروائيين والشعراء، وباعتراف هؤلاء أنفسهم جرى الاهتمام بألف ليلة وليلة على الصعيدين الأكاديمي والثقافي، والفضولي، واستمر تأثيرها أجيالا متلاحقة، ولا تزال تثير حولها التساؤلات إلى يومنا هذا. وكانت بداية اقتحامها عوالم الغرب الأدبية ذات صلة بخرق ألفة التلقي حيث تقول مارثا بايك كونانت Martha Beck Conant إن "مجرد الرغبة الهروبية لتجاوز القواعد المحددة للكلاسيكية الجديدة قد حققت نفسها في مطالعة هذه الحكايات العجيبة الغريبة عن المخاطر والسحر" (محمد جاسم الموسوي).

ولما كان النزوع إلى الخارق والمذهل أمرا عاديا فقد توسل القارئ الأوروبي في الليالي العربية انقلابا وجدانيا لامس ذلك النزوع الفطري الذي احتلت الكلاسيكية جزءا كبيرا منه، وفي تطلعه إلى تفجير رتابة تلك النمطية وجد هذا القارئ خلاصه في جو الليالي حيث استعاد طبيعة الأشياء وبساطتها "ومن هنا قوبلت ألف ليلة وليلة بحماسة فائقة في عصر ساده تململ الهيمنة الصارمة للعقلانية، ونزوع إلى الترويح عن النفس في فسحة من الخيال بعيدا عن تلك الرصانة الطاغية" (رنا قباني: أساطير أوروبا عن الشرق، ص55).

إن القول بفكرة قيام ألف ليلة وليلة على تفعيل الخيال السحري وتوسيع رمزية ذلك الخيال إلى أقصاه، أمر لا يمكن استبعاده. غير أن المغالطة التي قد يقع فيها البعض هي الغلو في تأكيد السمات السحرية من دون غيرها مما تنفرد به الليالي من قيم فنية وجمالية وإنسانية، "وبكلمة موجزة فإن قارئ هذا القرن قد وجد المتعة في متابعة هذه الحكايات، وسحرته أجواؤها بلذة غريبة، لكنه يمكن أن يكون قد اتفق مع السندباد في استنتاجه بأن لا تحصيل دون مشقة، وأن السماء تكافئ النشيط الشريف"، (محمد جاسم الموسوي، ص22).

لقد أحدثت ألف ليلة وليلة هزة جمالية وفلسفية، فعلى المستوى الجمالي أضافت إلى الخيال الأوروبي أبعادا رمزية، وفجرت لديه طاقة لامتناهية من الإيحاء، وخلقت في وجدانه إيقاعا رومانسيا حالما، وزودته بروحانية الشرق.

أما على المستوى الفلسفي فقد شكلت الليالي سؤالا أنطولوجيا يشتبك بأسباب الوجود، وامتحان الذات، سواء تعلق الأمر بما تصرح به الكلمات أو بما تضمره. ويعد الزمن أحد أعظم تجليات تلك الرؤية الفلسفية، "فصراع بينلوب pénélope كان ضد وقت ما، فهي في انتظار رجوع مخلصها وزوجها عوليس Ulysses.

أما شهرزاد فهي تصارع ضد مفهوم الوقت، وبهذا تطرح ألف ليلة وليلة معضلة فلسفية من أعقد ما يكون وهي معضلة مفهوم الزمن المجرد" (فريال جبور غزول: البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة، مجلة فصول 4–1994).

ونكاد نجزم بتلاحم الرؤيا بين الأساطير اليونانية وألف ليلة وليلة، ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا بفاعلية التناص، فحتى وإن لم تكن لدينا الحجة على إثبات ذلك التلاحم، فلا أحد يجزم بانفصال الثقافات ●عدا بابل■ حيث تفرق اللسان بعد توحد من أجل حصول الاتصال مجددا عن طريق المثاقفة Acculturation. وقد رصد إحسان عباس مجموع الرؤى المشتركة لما أثارته الملاحم اليونانية من موضوعات وما تطرقت إليه الليالي: البطل، الحب، الجمال... حيث أورد أوجه التشابه بين تلك الموضوعات بحسب ما يراه غرونباوم G. Von Grunbaum، على سبيل المثال كل أبطال الحكايات اليونانية والقصص العربية في ألف ليلة وليلة يتمتعون بقسط وافر من الجمال والحب من أول نظرة مشتركة بين القصص اليونانية والعربية، (إحسان عباس: ملامح يونانية في الأدب العربي، ص182)، ناهيك عن تقارب الخصوصية التعبيرية في النسيج البنائي، والاتفاق في الغاية من الفعل (في الحكايات) والوصول إلى الهدف.

وقد أولت الدراسات المقارنة في الآداب الغربية عناية مبكرة بألف ليلة وليلة نظرا إلى ما حققته من انتشار عالمي. ومن الطبيعي ألا يقتصر اهتمامهم على الجوانب الإيجابية لهذا الفن، غير أن الذي حدث هو وقوع القارئ الأوروبي في شرك الخلط بين الواقع والخيال لعدم تمكنه من الفصل بين الفن والتاريخ؛ في حين سعت بعض الفئات إلى تكريس صورة الشرق ●المنحرف■، وبالغت في تضخيم ظاهرة الحريم.

وتبقى حقيقة الليالي راسخة في تفوقها الفني، فلا أحد ينكر ما لها من الفضل في تفسير مسار الأدب الأوروبي، حتى إن أحدث الدراسات الغربية تصر على انبثاق أولى النوى الروائية عن روائع الشرق مثل ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وحكايات الشطار، والمقامات، ومن ثمَّ "فإن هذه الآثار العربية لم تكن إلا ذروة جبل جليدي ضخم ينبغي للغرب أن ينقب فيه عن أصل جنس الرواية، كما تشير إلى ذلك الباحثة الروائية الأميركية مارجريت آن دودي Margaret Anne Doddy في كتابها الضخم "القصة الحقيقية للرواية" The real story of the novel الذي صدر عام 1997، (عبدالنبي أصطيف: بين المركز والمحيط- الأدب العربي في دائرة الأدب العالمي، مجلة المعرفة 440– 2000). وعلى الرغم من تطور البحوث والدراسات إلا أن فكرة تأصيل كتاب الليالي ما تزال تلقى بعض الاعتراضات، فالبعض يعده تراثا عالميا، ملكا لشعوب الأرض قاطبة، بسبب ما لحقه من التغييرات عبر قرون من الرواية والنقل والنسج، بينما تتمسك الثقافة العربية بشدة بانتماء هذا التراث المتجذر فيها، والمنبثق عنً جدليات سوسيو- لغوية تسمح بتعميق هذا الأثر وترسيخه في منظومة الفلكلور العربي بكل امتداداته الحضارية بما في ذلك المعتقد، أما الدراسات التي حاولت التوفيق بين الأصول الفارسية والعربية لألف ليلة وليلة.

> طورت ألف ليلة وليلة، في وقت مبكر، الإحساس بلذة النص، فاستحوذت على أذواق المتلقين، بما في ذلك النخبة والعامة، لا سيما وقد أحدثت هزة جمالية في التلقي الأوروبي، فانتقلت به من سكونية القوالب الكلاسيكية إلى حركية التحرر من قيودها، وما مهد لهذه السيطرة والسيادة هو الإثارة، والخيال الخصب، والسلاسة، والمرونة، «فالحكايات الشعبية هي عبارة عن نماذج قصصية مجردة غير معقدة»

مشكلات ترجمة الأدب العربي

عبدالرحمن الرياني
كاتب من اليمن

قبل ظهور آلة الطباعة بعدة قرون بدأ الأوروبيون بترجمة بعض النصوص العربية وفق رؤية تهدف إلى اكتشاف الشرق العربي وتقديمه بالصورة التي تطغى عليها الخرافة والميثولوجيا.

فكانت أولى الترجمات هي ترجمة حرفية للنص المتعلق بحديث ابن عباس حول كتابه الموسوم بالإسراء والمعراج، و كانت عملية الترجمة أشبه بفعل دنكشوتي باحث عن الخرافة لا عن الحقيقة فالكتاب أساسا لا وجود له في التراث وإنما هو عبارة عن شيء من المخيلة المريضة لدى أعداء الثقافة العربية، بعدها بقرابة القرن الزمني أي في القرن الحادي عشر تمت عملية ترجمة للشعر العربي وبخاصة ذلك المتعلق بشعر الغزل العربي وهو الذي شكل مُدخلات الشعر الأوروبي الحديث عكس ما يحدث اليوم من قبل شعراء الحداثة العرب الذين تأثروا بالشعر الأوروبي المعاصر.

لكن أهم منعطف تحقق في الترجمة وانعكاساتها على مفكري عصر النهضة هو ترجمة كتب الفيلسوف العربي ابن رشد التي أحدثت ثورة في النهج التفكيري والمدرساني في أوروبا في القرون الوسطى، وهي حقائق أكد عليها معظم مثقفي أوروبا وفي مختلف العصور أمثال جورج جوسداروف صاحب كتاب 'نحو عصر آخر وسيط' والإنكليزي ويليم هوويل والباحث الفرنسي آلان دوليبيرا وغيرهم كُثر، لكن الأمر لم يكن في حالات كثيرة يخلو من التجرد فالدافع الرئيس الذي غلب على الترجمة كان مجرد الاكتشاف للآخر الحضاري لمعرفة مكامن الضعف وتضخيمها للمتلقي وفي ذات التوجه الاستفادة من التحولات العاصفة التي أنتجتها حالة الصراع القائمة بين العقلانية المدرسانية وما يمكن توصيفه باللاعقلانية المتمثلة بالكهنوت الديني الغيبي الذي فرض نفسه على الحضارة العربية وعجّل بأفولها عندما بدأ العقل الأوروبي بالخروج من التفكير الكنسي القائم على الغيبيات والبعيد عن تحييد الدين.

المرحلة الثانية هي تلك التي حدثت مع بدايات عصر النهضة الأوروبي في القرن الثالث عشر بترجمة قصة حي بن يقظان في إيطاليا عام 1280 م، وبين هذه الفترة والمرحلة الثالثة كانت هناك أشبه بالقطيعة حتى القرن السابع عشر بداية المرحلة الثالثة مع النص العربي الأدبي عندما تمت ترجمة لاتينية قام بها إدوارد بوكوك لنص أدبي يحمل قصة حي بن يقظان التي نستطيع القول إنها كانت المقدمة لاهتمام الغرب بترجمة الأدب العربي وكان للرواية حضورها المشع في تشكيل المشهد الروائي في القارة الأوروبية، فكانت الأساس للعديد من روائع الفكر والأدب العالمي مثل كتاب "عقيدة القس من جبل السافوا" للفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو، وكذلك نجد الأحداث المشتركة واضحة بينها وبين رواية "روبنسون كروزو" للكاتب دانييل ديفوا، وقصة ماوكلي فتى الأدغال وشخصية طرزان التي تتحدث معظمها عن سلوك الإنسان عندما يجبر على العيش في بيئة لوحده.

معيقات لغوية

النص الروائي في أي لغة يكتسب صوره الجمالية منها، فنحن هنا نؤكد أن النص هو مجموعة أحاسيس ومشاعر تنتج عن تلك الحالة المتناثرة الموسومة بالكلمات والعبارات فائقة التبجيل، وهنا تكون الأحاسيس في النص المترجم بلغة مختلفة تماما عن تلك التي ترجمت إليها، فالنص هنا بفعل الترجمة يفقد معناه وينسلخ تماما عن البيئة التي قيل فيها والمعنى يتغير فيصبح بعيدا عن المتلقي وغريبا عن ذائقته، فالشعوب لا تنسجم إلا مع فنونها وكذلك النص الذي يندرج في إطار فن الكتابة والتعبير أي أن تكنيك اللغة في جميع الحالات لا يمكن أن يتم استنساخه وقولبته بصورة قسرية.

أيضا الملاحظ أن هناك توجها عاما للمؤسسات ودور النشر الأوروبية في ما يتعلق بالترجمة وأهمها حصر الترجمة على الكتابات الروائية السردية المرتبطة بالسيرة الذاتية، وهنا تكمن العقبة في أن حالة التماهي التي أبداها العديد من الأدباء العرب قد تؤسس لنوع من الكتابة وتعيق تسليط الضوء على فضاء واسع من الكتابات الأدبية التي تستحق وفق المعايير والصيغ الجمالية أن تترجم، وهو ما يطرح العديد من التساؤلات حول الجدوى من الترجمة من الأساس.

وفي ذات السياق هناك خلل لا ينبغي تجاهله وهو ذلك المرتبط بكينونة اللغة العربية وتراكيبها في اللغة الإنكليزية؛ على سبيل المثال لا توجد تاء التأنيث والاختلاف الجذري بقواعد النحو يلقي بظلاله على تحريف المعنى الحرفي للكلمة ويجعلها تبدو كما لو كانت عبارة عادية فاقدة لبريقها

النص الروائي في أي لغة يكتسب صوره الجمالية منها

> أولى الترجمات هي ترجمة حرفية للنص المتعلق بحديث ابن عباس حول كتابه الموسوم بالإسراء والمعراج، و كانت عملية الترجمة أشبه بفعل دنكشوتي باحث عن الخرافة لا عن الحقيقة

إذا لم تقد إلى تغيير المعنى أصلا، فهناك كلمات في اللغة العربية لا يوجد لها مرادف في الإنكليزية ويتم التعامل معها من خلال المقاربة اللغوية وهو ما يفقد النص جمالياته وأبعاده الدلالية في اللغة المترجمة، ومن خلال ما سبق أستطيع القول إن جميع الترجمات مهما كانت القدرات لدى المترجم تظل ناقصة ولا تخدم الأدب أو الأديب.

وأمام وضعية كهذه عملت بعض دور النشر على ترجمة الأدب العربي بطريقة جعلته يبدو غريبا حتى عن لغة الكتابات التي تشكل هوية الأديب فعمدت إلى الترجمة التلخيصية الحرة وهي ضارة بالنص وأشبه بنوع من الانتقائية تجعل النص بعيدا كل البعد عن المصدر لكونها في معظم الأحيان تكون مخالفة له وهي أقرب إلى الترجمة الاقتصادية وأبعد ما تكون عن النص الأدبي.

الترجمة اللفظية: وهي أشبه بعملية إفقار للنص من المشاعر والأحاسيس والوصف الدقيق للحظة والمكان، فهو في هذه الحالة يقوم على البحث في القاموس لكل كلمة عما يناسبها من معنى وهنا تتم عملية نقل ونسخ للنص لا نقل التعابير والأوصاف الجمالية!

ينشر الملف بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

الطريق إلى طروادة تبدأ من القاهرة

معالجة مسرحية مصرية للأسطورة اليونانية الأكثر شهرة

شريف الشافعي
كاتب من مصر

العبرة من هذا العرض: النصوص القديمة ليست وسيلة مضمونة لعمل مسرحي ناجح

❏ تتقصّى مسرحية "طريق طروادة"، التي عرضت في القاهرة قبل أيام، تضحيات البشر، وتستحضر أحداث الأساطير اليونانية وأجواء إلياذة هوميروس ومسرحية يوربيديس الشهيرة "إفيجينيا في أوليس". ويثير العرض المصري سؤالا هو: هل تكفي النصوص القديمة لصناعة مسرح جديد؟

لا تزال الأعمال المسرحية الجيدة في مصر تتحسس طريقها في الوجود من خلال الاتكاء على نصوص عالمية بوصفها "طوق نجاة"، في ظل أزمة الورق (التأليف) وضعف الإنتاج وسوء حالة المسارح وفقر العناصر الفنية المؤهلة لبناء عمل محلي متكامل.

وفي هذا الإطار، جاء العرض المسرحي "طريق طروادة" الذي استند إلى الملاحم والأساطير اليونانية القديمة، متخذا من حرب طروادة نقطة انطلاق، ولكن المعالجة المصرية لم تكن بمستوى غزوة القائد أجاممنون لاستعادة هيلين أميرة أسبرطة.

منذ الدقائق الأولى من عرض "طريق طروادة"، الذي انطلق على مسرح ساقية الصاوي في حي الزمالك بالقاهرة، مساء الاثنين 6 أغسطس يجد المشاهدون أنفسهم في مفترق طرق؛ بين نصوص كلاسيكية محبوكة وأحداث أسطورية شيقة وحروب وملاحم ساخنة من جهة، وبين صياغة مفككة ولغة ركيكة ووقائع غير مترابطة ومبارزات مضحكة بسيوف خشبية من جهة أخرى.

افتراض ساذج

بنى المعدّ الدرامي والمخرج نور عفيفي معالجته لمسرحيته "طريق طروادة" (70 دقيقة) على افتراض ساذج، هو أن النصوص القديمة تكفي وحدها لصناعة مسرح جديد، ونسج خيوط عرضه المصري من عملين عالميين كبيرين؛ الأول "الإلياذة" لهوميروس، والثاني مسرحية "إفيجينيا في أوليس" ليوربيديس.

أفسحت سينوغرافيا حسن عادل وعلي سماني المجال لأعضاء فرقة "شظايا" المسرحية ليكونوا آلهة وربات جمال وكهنة وسحرة ويونانيين متنوعين؛ بين ملوك وأمراء وقادة جيوش وجنود ورعية، وتهيأ المسرح بإضاءة متميزة لوليد درويش ليكون مكانا مثيرا من خلال المصابيح التي تنير وتنطفئ على نحو متتال، بالتوازي مع دقات الطبول وآلات الإيقاع الصاخبة.

هكذا، احتبست أنفاس الحضور مع رفع الستار وظهور الحشود البشرية على المسرح، بما يوحي ببدء معركة أو الإعلان عن حدث جلل. وتبدأ الشخصيات في الظهور تباعا، وتتوالى الأحداث في التكشف واحدا تلو الآخر، ليتجلى أن "الشظايا" لا تشير فقط إلى اسم الفرقة التي تؤدي العرض، بل تسم هذه الشظايا العرض المسرحي نفسه، الذي لا يعدو أن يكون نثارات منتقاة من روائع الماضي بصياغات هشة متكلفة.

من روح الدراما والأساطير اليونانية، يستحضر العرض من بين ثنايا الأدب والتاريخ انطلاق أجاممنون قائد جيوش اليونان إلى طروادة لاستعادة هيلين ملكة أسبرطة وزوجة منيلاوس شقيق أجاممنون، التي أغواها باريس باسم الحب، فهربت معه، أو خطفها، وصار لزاما على اليونانيين تحريرها، ثأرا لشرفهم، وتمثيلا لشجاعتهم.

وعلى الجانب الآخر من الحكاية، التي يختلف أدباء اليونان ومؤرخوها في سرد تفاصيلها الدقيقة، ينخرط العرض المصري في إبراز مأساة إفيجينيا العذراء، ابنة القائد أجاممنون، وتطلب منه الآلهة ذبحها كي تُطلق الآلهة الرياح وتُمكّن الجيش اليوناني من شق عباب البحر نحو طروادة. وبعد صراع نفسي مرير، ومواجهة بين الأب وزوجته وابنته، توافق الابنة على التضحية وفاء وحبّا لبلادها.

سعى العرض، قدر جهده، إلى محاولة تعميق الحوار، وتحليل الشخصيات، للوصول إلى ما وراء هذه الأحداث من رؤى وفلسفات ووجهات نظر مغايرة، فواقعة هروب هيلين مع باريس (أو اختطافها بواسطته) تخفي بين طياتها عشقا صادقا متبادلا بينهما، وتعكس تضحية الأميرة بعرشها إرضاء لقلبها.

كذلك، فإن تضحية إفيجينيا ابنة القائد الشجاع أجاممنون بنفسها كهبة للآلهة من أجل الوطن، تصوّر قسوة الأب في تعامله مع ابنته، وتفضيله المجد على المحبة والأبوة، وتكشف الابنة عن حقيقة شعورها نحو أبيها وهو يسوقها إلى الموت "لماذا أضحّي بحياتي في حب هيلين، وأنا لم أجد الحب معك يا أبي؟".

مشاعر مشحونة

هذه الشذرات الإنسانية الصغيرة، النادرة، التي التفت إليها عرض "طريق طروادة" بعفوية، أفضل ما فيه، وتخرج من السياق الحكائي العام المستهلك لتقدم كبسولات انفعالية خاصة من المشاعر المشحونة التي برع في تجسيدها بعض الممثلين الموهوبين، منهم الفنان أحمد مؤيد (أجاممنون)، كما في لحظات ندمه على قتله ابنته وثورته على نفسه، والفنانة نيرة (إفيجينيا)، كما في لحظات اتخاذها قرارها الصعب بالموافقة على الموت من أجل بلادها "جئت أضحي بنفسي لحفظ كرامة اليونان".

لا يتشكل العرض من جسد مسرحي واضح، وبخلاف هذه اللقطات القليلة التي تتجلى فيها بعض العناصر المسرحية من صراع وحوار وحركة وأداء تمثيلي وعقدة يتم حلها سريعا، فإن بقية العرض لم تسلم من الفجوات والترهلات والتفكك، حتى على الصعيد اللغوي.

يمر العرض سريعا على أحداث كثيرة، يصعب إدراجها كلها خلال مدة العرض، وكأن المراد هو حشو أكبر عدد من صفحات التاريخ والأدب العالمي دون تحليلها والتعمق فيها، ودون ربطها بما يجري على المسرح.

من ذلك الأسطورة التي تعيد اندلاع حرب طروادة إلى نزاع بين آلهة الأوليمب، وصراع بين ربة الجمال أفروديت وربة الصيد هيرا وربة الحروب أثينا حول من فيهن الأجمل؟ حيث أدرج العرض هذا المشهد على نحو عابر، دون شرحه وتبريره وتوظيفه فنيّا.

أما في الأصل اليوناني، فإن صراع الربات الثلاث هو حدث جوهري، وقد كان الصراع مقدمة للاحتكام إلى أول غريب يرينه، وهو باريس. وقد ارتأى باريس في حكمه أن أفروديت هي الأجمل، فوعدته بأن تهبه أجمل نساء الأرض مكافأة له، وأرسلته إلى أسبرطة، حيث أغوى هيلين جميلة الجميلات.

أسلوب الراوي للتعريف بالشخصيات في بداية العرض جاء مدرسيًا بدائيًا، وأدى إلى إرباك المشاهدين، فالشخصيات متعددة فوق ما يتحمل العرض، والأسماء صعبة، وأغلبية الشخصيات بلا دور حقيقي. ويستند الراوي إلى أن المشاهدين لديهم خلفيات عن هؤلاء الشخصيات من خلال اطلاعهم على التراث اليوناني، الأمر الذي زاد من حدة الفجوات الدرامية في العرض، الذي يُفترض أنه ذو بناء مستقل.

ومضات نادرة

ينتصر العرض على طول الخط لإرادة الآلهة التي لا تتغير، في مواجهة إرادة البشر المحدودة والمحكومة، وهو ما يتنافى مع تلك الومضات النادرة التي يعلن فيها الإنسان عن نفسه، مطلقا طاقته السحرية من قلبه الصغير النابض.

أما حالة "الفخامة" التي حاول العرض رسمها، من خلال ضخامة الأحداث وجلجلة الحروب وفحولة الرجال وطنطنة الشعارات الحماسية والوطنية، فإنها جاءت مفتعلة حد الهزل، فاللغة العربية التي تمسّك بها العرض ركيكة ومليئة بالأخطاء النحوية على طول الخط، والمتحدثون لا يجيدون نطق الحروف بمخارجها الصحيحة، والأصوات ضعيفة وغائبة خلف زعيق الطبول والموسيقى التصويرية.

> يمثل عرض «طريق طروادة» التفاتة متعجلة إلى صفحات الأدب والتاريخ، ينقصها الكثير كي تصبح بناء مسرحيا مستقلا محكما

هذا "العبث" في نطق الإلقاء، وطريقته المنبرية، اتسق مع الفتور الانفعالي الذي لا تخفيه المبالغة في الأداء، وتقنية صدى الصوت السيئة التي حجبت سلاسة الاستيعاب. أما الحركة، فقد سادها البطء وعدم الاتساق مع الشخصية والحالة التعبيرية، فضلا عن النمطية في تمثيل شخصيات الكهنة والسحرة والجنود وغيرهم.

ويجسد مشهد المبارزة الختامي ذروة هذا الافتعال، وجرت المبارزات الثنائية بين المتحاربين بسيوف خشبية، وبأسلوب تلاميذي مضحك لا يليق بفرسان من بينهم القائد أجاممنون نفسه، الذي انتصر على الجميع، ثم لقي حتفه على يد زوجته، انتقاما منه على ما بدر منه بحق ابنتهما، لتنتهي المسرحية بالغياب الكامل للإنسان.

يمثل عرض "طريق طروادة" التفاتة متعجلة إلى صفحات الأدب والتاريخ، ينقصها الكثير كي تصبح بناء مسرحيًا مستقلا محكما.

مشهدان من مسرحية فشلت في أن تكون عرضا ناجحا

محترفون وهواة في هواء طلق

سعد القرش
روائي من مصر

❏ لقيام ضباط، تتزين أكتافهم بنجوم يحرسها نسور، باقتحام منزل، يلزم التسلح بخبراء المفرقعات وجنود يضحى بهم إذا فاجأهم مسلحون. ويحدث أن يتمكن من دخول المكان نفسه لص غير مسلح إلا بالحيلة والذكاء. لا فرق بين الضباط واللص إلا الاطمئنان والقلق، ثنائية يمكن أن تنتقل إلى المجال الإبداعي والبحثي، مع الاعتذار عن تشبيه قد يسيء إلى كبرياء محترفين أكاديميين مسّتهم طائف من الإبداع لا يصمد كثيرا بعد موتهم.

لثنائية الموت والبقاء علاقة بمحترفي الإبداع والهواة. ومنذ زمن، قرأت ما كتبه فاروق عبدالقادر عن مسرحيات كتبها أكاديميون من تلاميذ الأكاديمي رشاد رشدي المقرب من أنور السادات، كتابة مثيرة للشفقة، عمدية مفتعلة منزوعة الروح، منتزعة من برودة القواميس، إنه «مسرح زائف» يكتبه «الفرسان الصاعدون إلى الخشبة المنهارة». ومنذ عقود لا يكاد الجمهور يذكر رشاد رشدي، غابت نصوصه بموته، ولا يعنى باستعادته مسرحيون يتحمسون لتقديم معالجات جديدة لمسرح صلاح عبدالصبور وسعدالله ونوس ونجيب سرور ومحمود دياب وغيرهم. وكانت بضع مسرحيات لرشدي «تقدم على المسرح فور كتابتها، ما يكاد ينتهي عرض واحدة حتى يبدأ عرض الأخرى»، كما قال عبدالقادر في كتابه «في المسرح المصري تجريب وتخريب». في ذلك الوقت استدفأ عموم اليمين، وليس الديني وحده، بحضن السادات، وكان الزمن ينتظر مرور تلك المرحلة؛ لكي يعيد ترتيب الأوراق، ويصطفي ما يستحق البقاء.

إحاطة الأكاديمي بقواعد كتابة المسرح والشعر، وتمكّنه من امتلاك الأدوات، لا تثمر إبداعا، ما لم تسعفه موهبة فطرية، والموهبة هبة إلهية، قسمة لا تكتسب بالتعلم وهو عدة الناقد وأدواته، تفيده وأحيانا تقيّده حتى في مجال الدراسات. لم يدّع محمد حسنين هيكل أنه مؤرخ، واعتز بلقب «جورنالجي». ولم يقل طارق البشري إنه مؤرخ، ودراساته تلهم المحترفين، ومنها «الحركة السياسية في مصر 1945-1952»، و«المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية»، و«الديمقراطية ونظام 23 يوليو.. 1952–1970». ولم يزعم صلاح عيسى أنه مؤرخ، وتكفي أعماله لكي تحمله إلى مقعد المؤرخ الفنان. كما لم ينشغل تشرشل بتوصيف مكانه وهو يكتب «حرب النهر»، عن الثورة المهدية واحتلال بريطانيا للسودان.

لا تتوقع أن يهتم المحترفون باجتهادات «هواة» لا يقيد خيالهم الطليق صرامة المنهج، يتجاهلونهم حسدا من عند أنفسهم. ولا ينتظر العاشقون جزاء ولا اعترافا، يكفيهم اتباع أشواقهم للمعرفة، فيواصل الشاعر زكريا محمد تقصي جذور الأمثال في الجاهلية، وفك رموز تخطيطات وحروف ورسوم حفظتها الحجارة، للتوصل إلى منابع الأساطير والقصص الديني.

في أغسطس 2015 نشر الشاعر أسامة عفيفي في مجلة «الهلال» دراسة عنوانها «فؤاد أفندي عبدالملك أيقونة الثقافة الوطنية»، عن عبدالملك (1878-1955) وأدواره الرائدة في حركة الفن التشكيلي، إذ أنشأ عام 1919 «دار الفنون والصنائع» أول مؤسسة وطنية للفنون بمصر، واقترح عام 1921 إنشاء أول جمعية أهلية للفنون، وهي الجمعية المصرية للفنون الجميلة التي أقامت عام 1921 صالون القاهرة الأول بدار الفنون والصنائع، وأسس متحف الشمع عام 1934.

وفي سبتمبر 2015، نشرت الكاتبة شذى يحيى دراسة غير مسبوقة عنوانها «الاستشراق عبر بوابة الرقص الشرقي» عن الهوس بالرقص الشرقي في معرض باريس 1889، وكيف انتقل إلى أميركا قبل معرض إكسبو شيكاغو 1893، وجلب راقصات من مصر ولبنان لتقديم عرض «شوارع القاهرة»، وقلدتهن راقصات أميركيات فصارت كاثرين ديفين تسمى عائشة وهبي، وقدمت رقصة «مصر الصغيرة».

كنت رئيسا للتحرير، واكتشفت مفاجأة المتخصصين في التاريخ والفنون بما كان يجب أن يتوصلوا إليه، لو منحهم الله قلقا إيجابيا يختلف عن قلق بدأت به المقال، لذا لزم التنويه.

العمل الفنّي بين الترميم والتخريب

تمثال إسبانيّ من العصور الوسطى ضحيّة لأعمال الترميم الهاوية

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❏ اعترى الغضب الساحة الفنيّة الأوروبيّة، إثر عملية ترميم فاشلة لتمثال القديس جورج والتنين الذي يعود إلى القرن السادس عشر، فالمنحوتة الموجودة في كنيسة سان ميغيل دي استيل في مدينة نافار الإسبانيّة، فقدت رونقها وألوانها الأصليّة، وتحولت إلى ما يشبه لعبة أطفال أو تمثال كيتش استهلاكي، وذلك بسبب قلة خبرة المرمم، الذي اتهمه البعض بالتخريب، كونه مثلا طلا سرج الحصان بالأحمر مخفيا تفاصيله ونقوشه المميزة.

> تهديد وحدة العمل الفني وتماسكه الفيزيائي، لا يقتصر فقط على جهود الفنان أو المؤسسة، بل قد يكون العمل الفني مصمما بحيث يتلاشى مع الزمن، وتتغير خصائصه في كل مرة يخضع لشروط «المشاهدة»، وهذا ما نراه مع الفنان السوري فادي الحموي

ليست هذه المرة الأولى التي يتعرض فيها عمل فني للتخريب، إذ اشتهرت عام 2012 كنيسة الرحمة في قرية بورغوس في إسبانيا، والتي تحوي جدارية باسم "ما وراء الإنسان" رسمها الفنان إلياس غارسيا مارتينز في ثلاثينات القرن الماضي، ويحضر فيها وجه السيد المسيح، الذي تحول حين قامت امرأة مجهولة بمحاولة "ترميمه"، إلى ما يشبه شخصيّة كرتونيّة، ما أفقد الوجه ملامحه وأطاح بأي جهود مستقبليّة للترميم.

محاولات الترميم والتخريب السابقة تحيلنا إلى تساؤلات علم الجمال حول طبيعة العمل الفني ومدى استقلاليته، وخصوصا الآراء المثاليّة التي ترى أن هناك أصلا فريدا للعمل الفني، وجوهرا لا يمكن المساس به، هذه التساؤلات مرتبطة بسياسات إنتاج العمل الفني وطبيعة الجهود المبذولة لجعله "فريدا"، إلى جانب الجهود اللاحقة للحفاظ على هذه "الفرادة"، والتي بدأت بالتلاشي مع بداية القرن العشرين وظهور مدرسة فرانكفورت، وتقنيات الاستنساخ وإعادة الإنتاج التي جعلت "الأصل" هشا من السهل استبداله.

انهيار العمل الفنّي

برزت في القرن العشرين الكثير من المحاولات التي استفادت من "التخريب" لانتقاد مفهوم الجوهر الفريد للعمل الفني، إذ قام الفنان السويسري جان تينغلي بتصميم آلة عملاقة/ تجهيز في الفراغ بارتفاع ثمانية أمتار، باسم "تكريم لنيويورك"، وعرضها في حديقة متحف الفن المعاصر في نيويورك عام 1960، وبعد أن حضر الجمهور إلى الافتتاح، شغل الآلة /عمل التجهيز، الذي ما لبث أن تدمر آليا واحترق ولم يبق منه إلا الخردة، هذه السخرية والسينيكيّة تنقد مفهوم الكلّ المتماسك، إذ أن العمل الفني هنا لا اقتصادي، ويخرب ذاته بذاته نافيا الجهود التي أنتجته، ومصادرا سلطة المؤسسة التي تحاول جعله أيقونيا، وثابتا في لحظة من الزمن، وهذا ما دفع متحف الفن المعاصر في نيويورك إلى عرض البعض من أجزاء التجهيز بوصفها "عملا فنيا"، ما يتركنا أمام تساؤلات حول قيمتها، وإن كانت فعلا "قطعا فنيّة" أو مجرد خردة لا قيمة لها.

يأخذ التخريب شكلا آخر مع الفنان الفرنسي غيلبيرت بيار، الذي نرى آلاته تتحطم مع الزمن، ليقوم بإعادة بنائها وترميمها وتغيير قطعها كل فترة، فهي قابلة للتعديل الكلي، وتنتصر للمفهوم والمهارة التي يمتلكها الفنان على حساب المكونات اليومية والاستهلاكية والخردة التي تكوّن العمل، والتي تعتبر منفيّة كفضلات لا بد من التخلص منها و"عزلها" في حال كانت "خارج" العمل، وهنا تبرز أهميّة الفنان بوصفه "صانعا" معترفا به، لا مجرد نبي أو مخلص بانتظار أن يتجلى الجمال أمامه.

الجمهور كمخرّب

تهديد وحدة العمل الفني وتماسكه الفيزيائي، لا يقتصر فقط على جهود الفنان أو المؤسسة، بل قد يكون العمل الفني مصمما بحيث يتلاشى مع الزمن، وتتغير خصائصه في كل مرة يخضع لشروط "المشاهدة"، وهذا ما نراه مع الفنان السوري فادي الحموي، الذي قام في العام الماضي بإنتاج منحوتة أسمنتيّة على شكل سجادة، يمشي عليها الجمهور، وتتلاشى تدريجيا مع مرور الناس فوقها، جاعلا وحدة العمل الفني وأجزاءه مهددة، بسبب فعل "التلقي" ذاته، ليكون "المشاهدون" مشاركين في صناعة العمل الفني الذي يتغير دوما، كونه لا شكل ثابتا له، وهنا يتحول احتمال الترميم، في حال حصل، إلى تخريب، فمحاولة استعادة "الشكل" الأصلي أو إعادة البناء، تفقد العمل قيمته الأدائيّة، بوصفه يتأسس أثناء تلقيه، بصورة مادية لا فقط رمزيّة.

خاصية التلاشي المرتبطة بالعمل الفني اكتسبت بعدا سياسيا مع الفنان الفرنسي إيف كلان، والذي في محاولة منه لتفكيك مفهوم العمل الفني، أقام عام 1958 معرضا باسم "الفراغ"، حيث انتظر الناس خارج الصالة الباريسيّة طويلا، ليدخلوا نهاية ليجدوا جدرانا فارغة لا تحوي شيئا، بالرغم من ذلك نال المعرض شهرة كبيرة، فكلان يراهن على "الطقوس" التي تجعل من العمل الفنيّ حاضرا، حتى لو لم يكن موجودا بالمعنى "الفيزيائي"، وهذا من وجهة نظر سوسيولوجيا الفن، يجعل القيمة الفنيّة وليدة سياسات المعارض ورأس المال الرمزي الذي يمتلكه الفنان، لا قيمة العمل نفسه ومكوناته الماديّة.

بالعودة إلى الترميم والتخريب اللذين شهدهما التمثال في إسبانيا، يمكن النظر إلى ما حصل بوصفه إعادة إنتاج لعمل فنّي جديد، أو نوعا من "التنديس"، وخصوصا أن عملية "التخريب" السابقة تنزع القدسيّة والشكل "الأصيل" عن العمل الفنّي، وتحرره من تاريخه، فـ"المثاليّة" المرتبطة بالفنون الدينيّة، وليدة نظرة أحاديّة للكون بوصفه ذا جوهر صرف، والأهم أن الكثير من المقاربات المعاصرة والتي تنتمي إلى ما بعد الحداثة، ترى أن أشكال التمثيل الحديثة والفنون المرتبطة بها ليست إلا محاولات لمراكمة تاريخ جديد، ينمحي فيه الأصل، ويفقد قيمته، لنرى أنفسنا غارقين في نسخ "مرممّة" و"مخربة" لا أصل لها، نسخ تتكرر إلى ما لا نهاية، تاركة وراءها فصاما في المعاني، وتلويحات نوستالجيّة إلى زمن متخيّل كان "الفنّ" فيه ربانيا، والعمل الفني لا شبيه له.

تمثال القديس جورج من أيقونة إلى شخصيّة كرتونيّة

البحث عن الصمت المستحيل

فنان فرنسي-صيني يحاول التقاط مساحات اللا ضجيج الخفيّة

❏ **باريس** – سعى المؤرخ الفرنسي آلان كوربان في كتابه الأخير "تاريخ الصمت"، للبحث عن المساحات الصامتة التي تفلت منا دوما، والتي تختفي تدريجيا مع التطور الحضاري، المرافق للظاهرة البشريّة التي تتصف بالضجيج، بوصف الأخير انعكاسا للحضور الإنسانيّ.

فالأصوات تحيط بنا من كل جانب، وحتى المساحات التي نظن أن الصمت مطبق فيها، تحوي ضجيجا من نوع ما، فالأمواج الكهراطيسية تعبر أجسادنا دون أن يسمعها الكثيرون منا، إلا أن البعض وعددهم ضئيل جدا، يصابون بفزع منها، وكأنهم ضحايا الضجيج الصامتون، لنرى أمامنا جماعة بشريّة تسعى لأسباب طبيّة وفنيّة لخلق مساحات من الصمت المستحيل، لتستريح فيها إلى الأبد.

يقيم متحف الفن المعاصر في العاصمة الفرنسيّة باريس معرضا استرجاعيا للفنان الصيني-الفرنسي زاو واو كي (2013–1920) بعنوان "الفضاء هو الصمت"، وفيه نشاهد لوحات كي الذي اشتهر بتجريديّته، ومزجه تقاليد الشرق الأقصى مع المدارس الغربيّة، كالتعبيرية والانطباعيّة، فلوحات كي الذي تنقل بين أنحاء العالم، واستقر في فرنسا لأول مرة عام 1948، أشبه بانفجارات لونيّة، اسم كل منها هو تاريخ انتهائه منها، جاعلا مهمة التفسير تقع بشكل كلي على عاتق المشاهد.

يفضل كي استخدام كلمة "طبيعة" لوصفه أعماله، لا "المشاهد الطبيعيّة"، كون الأولى تحيل إلى الشعر والموسيقا والعناصر الصرفة، لا إلى زاوية نظر محددة ومكان جغرافي مضبوط ومؤطر كما في الثانيّة، وهذا ما نختبره في الأعمال الأربعين التي يحويها المعرض، والتي تتجاوز مساحة بعضها المترين طولا، وأربعة أمتار عرضا، إذ لا جغرافيا واضحة، بل مجرد حضور لوني صرف.

يفخر القائمون على المعرض باستضافتهم أشهر لوحات كي، والتي يعود تاريخ إنجازها إلى عام 1968، إلى أن اشترتها مدينة باريس عام 1971، وأصبحت جزءا من المجموعة الدائمة لمتحف الفن المعاصر، وحين يقف المتأمل أمامها تداهمه أحاسيس مختلطة، إذ تبدو كأنها تصور عاصفة على استعداد لاقتلاع ما حولها، تتداخل فيها ألوان الأرض البنيّة مع السماء البيضاء، وكأن الطبيعة تصرخ بوجه المشاهد، الذي يتجمّد صامتا دون كلمات، وكأنه أمام لحظة بداية الخلق، حيث صمت مطبق تتحرك ضمنه العناصر.

لا يمكن فهم تجربة كي دون العودة إلى تاريخه الشخصي، فلوحاته انعكاس لما يختبره من تجارب فنيّة أخرى، فعلاقته الوطيدة مع الموسيقا، كان لها دور في إيقاع ريشته، فالضربات السوداء الصغير مثلا أشبه بالنوتات الموسيقية، ويتضح ذلك أكثر في اللوحة التي أنجزها احتفاء بذكرى الموسيقي إدغار فيرسية، إذ حاول أن يلتقط حساسيته الموسيقية، وتجسيدها بصريا ولونيا، فالانقطاعات والاضطرابات، والكتل اللونية المتحركة التي تحويها اللوحة التي يعود تاريخها إلى عام 1964، تشابه تلك التي نسمعها في موسيقا فيرسية واضع أول الأسس للموسيقا الإلكترونيّة.

نتلمس في لوحات كي أيضا علاقته مع الفنانين الآخرين، إذا نشاهد لوحات له يحتفي بها بمونية، ولوحاته التي شاهدها كي في باريس، كما نشاهد أيضا لوحة أخرى له يحتفي بها بماتيس، وعمله "شباك مفتوح على ممر"، إذ يحاكي كي تكوينات ماتيس الأساسية، تاركا الألوان تتدفق بحرية بشكل عامودي، وكأنه يفكك عناصر لوحات من سبقوه، باحثا عن مكونات لونية جوهرية، يقوم بعدها بنفي الحدود عن هذه التكوينات لتكتسح القماش، محررا الجوهر اللوني من قيوده.

تركت أعمال كي أثرا كبيرا على الشاعر والرسام هنري ميشو، الذي كتب عدة نصوص عن كي، واصفا الأخير بأنه يكتب تشكيليا، فلوحاته أشبه بالشعر، ولا بد من الاستغراق بها لفهمها، أو قراءتها بصورة أدق، ومن هنا يأتي اسم المعرض، المستوحى من نص لميشو مطلعه "الفضاء هو الصمت، صمت يتناسل بكثرة ويقع ببطء في ماء ساكن".

* ع.م

عاصفة الخلق الصامتة

جداريات الألوان الصرفة

تأثير الأدب على السينما في فيلم «عصافير النيل»

مفارقات ومقابلات بين «خلطة فوزية» ورواية إبراهيم أصلان

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❏ جاءت الأفكار الكبيرة في السينما المصرية من الأدب، أي من عالم الرواية، من أعمال طه حسين ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وإحسان عبدالقدوس وفتحي غانم ويحيى حقي ولطيفة الزيات، وغيرهم، وتركت تأثيرها على الفيلم المصري، سواء في مضمونه الاجتماعي ودلالاته النقدية، أو في أشكاله السردية، حتى أنّ المرء يخال أنّ نجيب محفوظ كان يكتب وعينه على السينما، أي أنه كان يتأثر كثيرا في كتابة رواياته، بالسيناريو السينمائي.

المخرج مجدي أحمد علي، صاحب "يا دنيا ياغرامي"، "البطل"، "أسرار البنات"، "خلطة فوزية" عاد إلى الأدب للمرة الأولى في فيلمه "عصافير النيل" (2009)، الذي اقتبسه عن رواية إبراهيم أصلان وكان يأمل من وراء ذلك، أن يقدم رؤيته السينمائية للرواية.

للوهلة الأولى يمكن القول إن هناك علاقة ما بين فيلم "عصافير النيل"، والفيلم السابق لمجدي أحمد علي "خلطة فوزية"، وربما يكون ممكنا رصد ملامح هذه العلاقة في النقاط التالية:

1 – يدور الفيلمان حول شخصية فردية، ريفية أو شبه ريفية، تعيش على هامش المجتمع، في الأحياء العشوائية القريبة من نهر النيل بكل ما يجسده النيل من انسيابية وتدفق، كما لو كان في سرمديته وامتداده الذي يبدو موغلا في أعماق التاريخ، شاهدا على ما يقع فوق ضفتيه من أحداث. الشخصية الأساسية في الفيلم الأول هي "فوزية"، وفي الفيلم الثاني "عبدالرحيم"، وكلاهما يعاني من الإحساس بانعدام الأمان، بالرهبة من المدينة، والرغبة في إقامة علاقة جسدية مع الآخر، لعلها يمكن أن توفر نوعا من "الأمان" والدفء المفقود. ولا شك أن هذا الشعور، بكل ما يعتريه من اندفاع وتهور أحيانا، يمكن أن يؤدي إلى صدام بين الشخصية والواقع.

2 – الحضور القوي للموت في مجاورته للحياة في كلا الفيلمين. وعلى الرغم من قسوة الموت، ورغم الإحساس الشجي بالحزن الذي يغلف دواخل الشخصيات في الفيلمين، إلا أن الرغبة في الاحتفال بالحياة تظل رغبة دائمة ممتدة تحمل في داخلها القدرة على التجدد لبطلي الفيلمين، كما تبث للمشاهدين الأمل. هنا تتجلى قدرة مجدي أحمد علي كمخرج، في التعبير عن ذلك التناقض بين الحياة بكل عنفوانها، والموت في سكونه كنهاية للجسد.

3 – الحبيب الأكثر تأثيرا يظل في الفيلمين هو الأقرب إلى الشخصية الرئيسية، لكنه يبتعد عنها بعد أن تفقده: في "خلطة فوزية" هو السباك (عزت أبوعوف) أحد أزواج فوزية السابقين، لكنه يغيب بعد وفاته المفاجئة، ويظل يتراءى لها شبحه طوال الوقت، فقد كان الأقرب إلى عقلها وربما أيضا إلى قلبها رغم خياناته الصغيرة لها. وفي "عصافير النيل" تظل شخصية "بسيمة" هي الشخصية الآسرة، التي لا تفارق خيال البطل، فهي المرأة الأولى التي التقاها في القاهرة وتعرف عليها وأنس لها، ثم هجرته بسبب تردده في حسم موقفه تجاهها: هل يشترك مع أهل الحارة في اعتبارها امرأة "منحرفة" بالمعايير الأخلاقية السائدة، أم يستمع إلى نداء قلبه الذي يقول له إنها المرأة النظيفة الجميلة التي يمكنها أن تعيش له فقط؟

4 – التقلب بين الرجال بحثا عن الشريك المكتمل الذي يمكنه أن يستوعب طاقة وحيوية وعنفوان البطلة في "خلطة فوزية"، أو بحث البطل الدائم عن المتعة الأبدية مع المرأة، وهو ما يجعله ينتقل من واحدة إلى أخرى في "عصافير النيل"، مما يعكس أيضا فكرة النهم إلى الاستمتاع بالحياة، والتي تتجسد عن طريق الجنس، بغرض الارتواء، والإشباع النفسي، والتعويض عن الإحساس الدائم بالخسارة عند البطل في "عصافير النيل".

ورغم هذه التقابلات إلا أن هناك أيضا فروقا جوهرية بين الفيلمين ذات علاقة بالفرق بين المرأة والرجل في مجتمعاتنا المحافظة بطبيعتها في نظرتها إلى المرأة التي لا يمكنها التعبير ببساطة عن مشاعرها أو الظهور بالمظهر الذي تحبه.

في "عصافير النيل" مثلا هناك مشهد نرى فيه أحد المتشددين الأصوليين يعترض سبيل "بسيمة" في الشارع وينهيها عن تناول الطعام علانية في الطريق العام، بدعوى أن هذا "حرام".

وفي الفيلم الكثير من المشاهد التي تتميز بالحس الرفيع، مثل مشهد اللقاء في بداية الفيلم، بين بسيمة وعبدالرحيم، ثم مشهد اصطياد العصفور بسنارة صيد السمك، ثم مشهد عبدالرحيم بعد إعفائه من العمل كساعي بريد وهو يعود إلى قريته التي جاء منها للقاهرة، وهناك يجلس في ظل شجرة، ويناجي نفسه بينما يبدو الأفق أمامه متسعا، وهي من المشاهد التي تتيح للمتفرج مساحة للتأمل والتفكير والمتعة.

ولا شك أن أداء فتحي عبدالوهاب للدور الرئيسي لا يهبط أبدا إلى مستوى محاكاة الريفيين بطريقة مفتعلة بل يسيطر بقوة على الشخصية حتى أنه يساعد الممثلين الذين يقفون أمامه، على الارتفاع إلى مستواه ومجاراته في إبداعه.

تجسيد الأفكار

نجح المخرج في التعبير عن التناقض بين الريف والمدينة، عن فكرة تجاور الموت والحياة، والبحث الدائم عن الحب ولو من خلال الجنس، وفكرة الجنس كرغبة تعكس القلق وانعدام الثقة، وربما أيضا كتجسيد لتلك الفكرة الشائعة عند الريفيين عن "نساء المدينة" الشهيات اللاتي يقدمن أنفسهن بسهولة. ومن أكثر العلاقات في الفيلم تجسيدا لهذا التناقض بين الشاب الريفي ونساء المدينة، تلك العلاقة بين "أشجان".. الأرملة الأربعينية، والشاب الريفي عبدالرحيم، المندفع الذي لا يهدأ له بال في بحثه القلق عن السكينة.

"أشجان" تعرف كيف تغويه بعد أن تدرك أنه النموذج المستعد للوقوع في يدها بسهولة، لكنها تستدرجه وتوقع به لمصلحتها وطبقا لشروطها. إنها نموذج لامرأة المدينة، التي تعرف كيف تتحكم في الريفي المتدفق العاطفة، وتدفعه للسير إلى الوجهة التي تريدها، فتجعله يتزوجها رغم أن لديها ثلاثة أبناء، ثم هي التي تقرر في ما بعد، أن تنهي زواجها منه بالطلاق عندما تجد أن زواجهما يتعارض مع مصالحها المادية المباشرة، فربما تفقد بسببه، منحة تقاعد زوجها الراحل.. وهو ما يدفعه إلى العودة إليها بعد وقوع الطلاق، لكي يغتصبها، يريد أن يقول لنا إنه كريفي خشن، لا يقبل أن تلتقطه امرأة على هذا النحو، ثم تلقي به إلى الخارج وقتما تشاء، وكأنه يريد أن يحقق معها لحظة النشوة التي انقطعت، بالمفهوم الحسي المباشر، كما أنها، بسبب قوة شخصيتها، تظل في خياله المرأة الأكثر إثارة من الناحية الجسدية، وهو ما يؤكده لنا الراوي من خلال التعليق الصوتي من خارج الصورة.أما "بسيمة" المطلقة الشابة التي كانت تجاورهم في السكن (عبدالرحيم يقيم مع شقيقته نرجس وزوجها البهي أفندي، موظف البريد) فهي تظل مثل الفاكهة المحرمة، رغم أنه نالها أيضا من البداية، لكنها حرمته من نفسها بعد أن تردد في الثقة بها. وظل يعتبرها رمزا للجمال والرقة والأنوثة والدفء الذي كان يحتاج إليه. لكن الاثنين يلتقيان مجددا في المستشفى بعد أن تكون الشجرة قد ذبلت، أي بعد أن يصيب المرض العضال عبدالرحيم، وتكون بسيمة بالفعل قد سكنت المستشفى بعد إصابتها بالسرطان. يموت زوج شقيقة عبدالرحيم، أي "البهي"، وتموت "نرجس" بعد ذلك، ولكن تظل الأم: أم عبدالرحيم ونرجس، التي تقيم في القرية، تحلم بالأرض التي ربما تكون قد ضاعت بالفعل إلى الأبد، وتتذكر أشخاصا رحلوا عن عالمنا، لكنها لا تزال، بعد أن أصبحت طاعنة في السن، تتشبث بالحياة، في الوقت الذي تستعد فيه لاستقبال الموت. وعندما يصحبها عبدالرحيم للعيش في المدينة، لا يمكنها أن تتحمل، بل نراها في المشهد الأخير من الفيلم تغادر المدينة عائدة إلى القرية، لكي تموت هناك.

التأثير الأدبي

الرؤية الأدبية تلقي بظلالها على فيلم "عصافير النيل"، تمنحه الكثير من قيمته، وفلسفته ورؤيته وصوره الآخاذة بفضل مدير التصوير الكبير رمسيس مرزوق، الذي يعرف كيف ينتقل من النهار إلى الليل، ومن الليل إلى النهار، وكيف يستخدم ببراعة المصادر الطبيعية للضوء. ورغم ذلك، يعاني الفيلم من الترهل في الإيقاع لولا أن مجدي يتمكن بحرفيته العالية، من شد المتفرج مجددا إلى الشاشة.

والمشكلة أن سيناريو الفيلم استسلم كثيرا لسطوة الأدب، والرغبة في التعبير عن الكثير من الأفكار الأدبية الكامنة في الرواية، مما أدى إلى شيوع بعض الاضطراب في الفيلم. وليس كل ما يرد في العمل الأدبي من "أفكار"، يصلح بالضرورة لكي يدخل إلى سياق الفيلم، ما لم تتم معالجته بطريقة لا تفقده قيمته البصرية وعلاقته "الخارجية" مع الصور واللقطات والمشاهد الأخرى في الفيلم، كما لا تفقده علاقته "الداخلية" بالفكرة الأساسية التي تدور حولها الدراما.

إلا أن الفيلم كثيرا ما ينحرف خارج الفكرة الرئيسية، إلى أفكار فرعية لا تضيف جديدا، بل تساهم في تشويش الرؤية عند المتفرج: من هذه الأفكار مثلا: فكرة التطرف الديني وتأثيره على الشارع، والتي يعالجها الفيلم بطريقة ساذجة.

في الوقت نفسه، هناك ابتسار كبير في تقديم الشقيقين، أي ابني البهي ونرجس وهما: سلامة وإبراهيم، والمفترض أن أحدهما، أي إبراهيم، يتجه يسارا (لا أعرف إلى أين تحديدا.. فالفيلم لا يقول لنا شيئا عن نشاطه ولا حتى عن مواقفه الفكرية مما يحدث، بل هو صامت معظم الوقت، وعندما يتكلم يلقي بتعليقات عامة وسطحية)، في حين يختفي الابن الثاني من الفيلم تماما لكي يعود قرب النهاية، ونفهم أنه مرتبط باليمين الديني، وأنه يمكن حتى أن يشي بشقيقه للشرطة، مما يصيب أمه بصدمة توقعها مريضة إلى أن تغادر الحياة.

الواضح أن الرغبة في "الإخلاص" الشديد لما ورد في الرواية، أدى إلى التشتت في البناء، والهبوط في الإيقاع العام للفيلم. ومن بين العناصر الفنية الجيدة في الفيلم استناده إلى نسيج أفقي من الشخصيات والأحداث، تلتقي وتفترق، كما يجسد الفيلم فكرة مرور الزمن التي تبدو على ملامح الشخصيات وتنعكس مثلا على نرجس مع تقدمها في السن، وزوجها البهي، الذي يصل إلى مرحلة الهلوسة التامة قبيل موته، كما أن الأطفال يكبرون، وعبدالرحيم يصاب بالمرض وتبدو عليه آثار الزمن، وكذلك بسيمة.

من عيوب الفيلم المشهد الذي يخصصه مجدي أحمد علي للبهي أفندي، موظف البريد المتواضع المستوى، حياتيا وتعليميا، وهو يندفع فجأة ويهتف وسط أهل منزله بمونولوغ هاملت الشهير في مسرحية شكسبير، وباللغة الإنكليزية (أكون أو لا أكون)، في حين يتابع الجمهور المشهد الطويل (حوالي 5 دقائق) عن طريق الترجمة المطبوعة. وهذا المشهد تحديدا كاد يقضي على الفيلم كله، كما يضر بإيقاع الفيلم، بل ويبدو خارج السياق تماما، بل وخارج طبيعة الشخصية وطبيعة الفيلم نفسه.

من ناحية اللغة والشكل والأسلوب: يستخدم مجدي في فيلمه ثلاثة أصوات للراوي: صوت الراوي المحايد الذي يبدو مطلعا على كل ما يقع للشخصيات، وهو هنا صوت المؤلف، وهي وسيلة أدبية قديمة معروفة، أضفت طابعا أدبيا تقليديا على الفيلم، كما يستخدم صوت عبدالرحيم نفسه، الذي يروي أيضا ويعلق على بعض المواقف والأحداث من وجهة نظره الذاتية، ويستخدم بدرجة أقل، صوت بسيمة، التي تروي وتعلق على بعض ما يخصها من خارج الصورة.

ويستخدم مجدي ببراعة القطع في شريط الصوت قبل الانتقال في شريط الصورة، أي قبل أن ننتقل من مشهد إلى آخر، وهي وسيلة معروفة تزيد من تكثيف الموضوع، وتجعل المشاهد ينتبه، وينتقل من الاستغراق إلى المتابعة الذهنية، كما أنها تمهد نفسيا للانتقال إلى مشهد آخر.

الفيلم بكل اضطرابه وميزاته نموذج للميل التقليدي في السينما المصرية للتأرجح بين السينما السائدة، والسينما الفنية، بين سينما تريد أن تعبر بشفافية وشاعرية عن المشاعر الإنسانية، وسينما أخرى، تريد أن تغازل متفرجي السينما السائدة بتقاليدها المعروفة!

النشر في العراق

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ طالما احتكرت العاصمة العراقية بغداد وعلى مدى طويلة من الزمن، عملية نشر وتوزيع الكتب والمطبوعات، وتحكمت، سواء عن دراية واستحقاق أم عن تعال وهيمنة، بمفاصل الحركة الثقافية وآلياتها ومجرياتها، فانعزلت المحافظات العراقية أو كادت عن الحركة والفعل الثقافي، على الرغم من أن أغلب المفكرين والمثقفين والمبدعين العراقيين من تلك المحافظات، حتى صار انتشار المبدع الذي يقيم فيها، مشروطا بهجرته إلى العاصمة ونقل مشروعه الإبداعي إليها. أما هؤلاء الذين ظلوا أوفياء لمدنهم البعيدة ولم يحبذوا الهجرة إلى بغداد، فقد حرموا من تسليط الضوء على منجزهم وما حققوه من إبداع ثرّ وغزير وعميق.

لقد بقي الأمر على ما هو عليه حتى بعد التغيير الذي حصل في العام 2003، بعد أن تجاهلت أغلب الجهات الداعمة للثقافة العراقية تلك المحافظات والحياة الثقافية فيها وركزت على العاصمة بغداد وحسب، على الرغم من أن البعض من أدباء البصرة والناصرية وكركوك والموصل، قد تمكنوا في مرحلة من المراحل وبطريقة ما، من اختراق هذه العزلة والانتقال بمشاريعهم إلى الفضاء العربي، إلّا أنهم قليلون جدّا، في حين ظلت الأغلبية الساحقة من أدباء المحافظات يعانون التهميش والعزلة.

لقد تأسست في بعض المحافظات العراقية الكثير من المكتبات العريقة التي لعبت دورا مهما في تنشيط الحياة الثقافية هناك على مدى سنوات طويلة، لكنّ عملها ظل في الغالب مقتصرا على التوزيع وتوفير الكتاب لجمهور القرّاء ولم تدخل عالم النشر إلّا في نطاق محدود جدّا، ولعل الأمر نفسه ينطبق على إصدار الصحف والمطبوعات الثقافية التي صدرت بشكل محدود في كل من البصرة والنجف والموصل وظلت تعاني الانتشار، على الرغم من ثرائها وجدّيّة محتواها الرصين، مثل جريدتي "المرفأ" في البصرة و"الرأي" في النجف وغيرهما.

وعلى العكس من إصدار الصحف والمجلات التي شهدت انفلاتا غير مسبوق في المحافظات بعد الاحتلال، ظلت الحاجة لتأسيس دور نشر رصينة واحترافية ومثقفة تنافس مثيلاتها في العاصمة حاجة ملحة للغاية، ولا سيّما في المحافظات التي عُرفت بغزارة إنتاجها الإبداعي كالبصرة والناصرية والعمارة والنجف والحلة وكركوك والموصل، ولعل الأمر المفرح في السنتين الأخيرتين هو تأسيس دار شهريار للنشر والتوزيع في مدينة البصرة على يد الشاعر والناقد والناشر العراقي المجتهد صفاء ذياب، تلك الدار التي ولدت كبيرة ومنتشرة واحترافية ومدروسة منذ وهلتها الأولى، لكونها تستند إلى رؤية ثقافية وتسويقية مدروسة وواقعية إلى حدّ ما، لتكسر احتكار العاصمة بغداد على صعيد النشر، بعد أن تجاوزت الكثير من دور النشر العراقية المعروفة وحققت حضورا لافتا في معارض الكتاب العربية.

وعلى الرغم من اشتراطاتها الفنّية الصعبة وغير المتساهلة، إلا أنّها استطاعت أن تستوعب، إلى حدّ ما، أغلب العطاء الإبداعي للمحافظات الجنوبية، بل وتنفتح إلى الفضاء الإبداعي العراقي كله. ولم يقتصر تميز دار نشر شهريار بالغزارة واستراتيجية التوزيع الممتازة وحسب، بل تجاوزه إلى الشكل على صعيد تصميم الأغلفة المتميز والتصميم الداخلي ومتانة التدقيق اللغوي، الأمر الذي منح إصداراتها طابعا مميزا خاصّا بها عجزت عن تحقيقه أغلب دور النشر العراقية.

وإذا كانت الحياة الثقافية في البصرة وبعض المحافظات القريبة منها زاخرة بالعطاء الثرّ والعميق على مرّ السنين، فإن قربها وانفتاحها على دول الخليج العربي يشكل فرصة مثالية لدار شهريار الرائدة في مجالها، للتواصل مع دور النشر الخليجية وربط مشروعها بمشاريع النشر والتوزيع الفاعلة في تلك المنطقة من عالمنا العربي، بالاستناد إلى التأسيس الثقافي البصري الذي تجمعه العديد من المشتركات مع ثقافات الخليج.

المهدية وجهة سياحية تجمع بين جمال الشواطئ وأصالة العمارة

الطابع التقليدي يطبع أرجاء المدينة التونسية ويوفر لزائريها الراحة والسكينة

يبحث الراغبون في الاستمتاع بموسم صيفي هادئ على شاطئ البحر عن وجهات سياحية بعيدة عن الضوضاء، فتوفر مدينة المهدية التونسية المتميزة بطابعها الأصيل الذي تغلب عليه العمارة التقليدية، الراحة والسكينة لزائريها إلى جانب روعة شواطئها.

رؤى خليفي
كاتبة في العرب ويكلي

❑ **المهدية (تونس)** – تقع محافظة المهدية، الجنة الخفية للبحر الأبيض المتوسط، على الساحل الأوسط الشرقي لتونس، وتوفر للزائرين أجواء تأخذهم بعيدا عن صخب العالم من حولهم.

تتميز قرية الصيد الهادئة بكونها وجهة مثالية لأولئك الذين يبحثون عن الهدوء في الشواطئ الساحرة.

وتعد المهدية، التي تبعد 200 كلم جنوب تونس وجهة متجذرة في التاريخ، ففي عام 920م، كانت عاصمة تونس التي حكمها الفاطميون، بعدما شيّدها الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي مؤسس الدولة.

إن إرث الحقبة الفاطمية يكمن في العمارة الإسلامية المعقدة للمدينة القديمة، فأزقة المهدية الساحرة مليئة بالحياة، حيث يعرض التجار كمًا هائلا ومختلف الألوان من الملابس التقليدية والفخار.

وعلى الزوار لدخول المدينة القديمة، المرور عبر بوابة ساحرة بطول 33 مترا، أطلق عليها اسم "السقيفة الكحلة" (البوابة السوداء). ويعود تاريخ تشييد هذه البوابة إلى عام 916م، وكانت جزءا من القلعة المحيطة بالبلدة الفاطمية، مما يجعلها من المعالم المعمارية التاريخية الهامة.

> المهدية تقدم ميناء صيد يحافظ على طابعه التقليدي، ومن هناك، يمكن للمرء الاستمتاع بقهوة أثناء مشاهدة القوارب

قال محمد حواس، أمين متحف المهدية "تتميز مدينة المهدية عن غيرها من المدن الإسلامية بمحافظتها على مواقعها التاريخية منذ العهد الفاطمي وخاصة البوابة الرئيسية

معالم تكشف سحر الماضي

التي مازالت تقف حتى اليوم شاهدة على الدور المهم الذي لعبته المدينة على مرّ العصور".

وأضاف "أراد مؤسس الدولة الفاطمية عبيدالله المهدي بناء مدينة عسكرية تكون عاصمة لخلافته ويمكن من خلالها إطلاق غزواته إلى الشرق، فقام بجولة على طول السواحل لانتقاء موقع استراتيجي يكون موقعا مناسبا لبناء مدينته، حتى وقع اختياره على مكان به ميناء يرجع تاريخه إلى العصر البونيقي. فكانت المهدية (نسبة إلى لقبه المهدي) هي المكان الذي بدأ فيه الحكم الفاطمي، ما أعطاها قيمة تاريخية فريدة".

والبوابة التاريخية هي نصب تذكاري تجب زيارته ومشاهدته في المهدية وهو متصل بمتحف البلدة.

وتابع أمين متحف المهدية "إن المتحف له قيمة كبيرة في مدينة المهدية لأنه يعرض مجموعة غنية من التراث التاريخي والثقافي للمدينة"، مضيفا "تشتهر المدينة بتراثها الثقافي المتنوع ومبانيها التقليدية الفريدة، بالإضافة إلى تاريخ يعود إلى العصور البونيقية". وواصل "بالإضافة إلى الحضارة الإسلامية الحاضرة من خلال التراث الفاطمي، (هناك) القطع الأثرية التي تعود إلى العصر البونيقي والعهد الروماني وخاصة لوحات الفسيفساء. كل هذه الشواهد تدل على ثراء مدينة المهدية والمنطقة المحيطة بها".

إن مسجد المهدية الكبير هو شهادة على العمارة الرفيعة في العصر الفاطمي، ويعود تاريخ بناء المسجد إلى عام 921م، وقد تعرض للتداعي لكن تم ترميمه وفقا للنموذج الأصلي.

وأوضح حواس "المسجد فريد من نوعه، وكان من المفترض أن يكون مثل معابد الإمبراطورية الرومانية مكانا للعبادة واجتماعا للناس"، مضيفا "على عكس المساجد السنية، التي تستخدم الزخارف الزهرية، يعرض هذا المسجد زخارف مجردة وهندسية تشبه هندسة المعابد الرومانية..

أراد مؤسس الخلافة الفاطمية أن يكون له مسجد يمكن أن يستضيف كل سكان المدينة وينشئ مسجدا يعطي قيمة ومجدا للمدينة.

إنه واحد من تلك الأماكن المشتركة التي تُظهر عظمة الهندسة المعمارية وتضفي على المدينة قيمة اجتماعية أيضا". ويمكن لزائر المدينة رؤية قلعة "برج الكبير" (البرج الكبير) على طول الواجهة البحرية من المسجد الكبير. وتم بناء القلعة في عام 1595، وتقع على أعلى نقطة في المهدية، مما يجعلها أكثر المعالم التي يمكن أن يتعرف عليها للزوار.

وتقدم المهدية ميناء صيد رائع يحافظ على طابعه التقليدي، ومن هناك، يمكن للمرء الاستمتاع بقهوة أو شاي بنكهة النعناع أثناء مشاهدة القوارب التي تدخل إلى الميناء أو تخرج منه، حيث يبيع الصيادون والتجار الأسماك الطازجة، وهي مصدر رئيسي لكسب العيش للسكان المحليين.

ويمكن للزوار على طول الساحل، استكشاف موقع أثري رائع تحت الماء فيه حطام سفينة المهدية؛ لقد اكتشف الغطاسون في عام 1907، حطام السفينة، الذي يعود إلى سنة 80 قبل الميلاد، وكانت تحتوي على منحوتات ومصنوعات يدوية معروضة حاليا في متحف باردو الوطني بتونس.

وسواء كنت تمشي في أزقة المدينة أو تتسلق السلالم إلى البرج أو تستمتع بالبحر أو تشاهد الميناء، فإنك تتمتع بجمال المهدية المليئة بالسحر والصفاء والتاريخ.

أهم المواقع الأثرية والتاريخية

- باب الفتوح أو باب زويلة أو "السقيفة الكحلة" كما تسمى حاليا: وهو يمثل البرج الرئيسي للسور البري لمدينة المهدية، أدخلت على هذا المعلم العديد من التحويرات آخرها سنة 1893.
- قصر القائم بأمر الله: مكنت الحفريات الجارية بهذا المعلم من اكتشاف لوحة فسيفساء تفوق مساحتها 60 م2 ومن الأرجح أنها كانت تزين أرضية القاعة الكبرى للقصر.
- الجامع الكبير: وقع تجديده سنة 1962 مع احترام مساحته الأصلية والإبقاء على واجهته الرئيسية ومدخله الذي يشبه قوس النصر الروماني. ومن خصائصه أنه لا يحتوي على مئذنة.
- مصنع السفن (أو دار البحر): كان يعتبر خلال القرن السادس عشر الميلادي من أهم المصانع إلى جانب مصنعي تونس وبجاية.
- الميناء القديم: أثبتت البحوث الحديثة أن هذا الميناء المنقور في الحجارة يعود إلى العهد البوني وتواصل استعماله كمرسى للسفن التجارية والحربية إلى العهد العثماني (أواسط القرن 18 الميلادي). وبإمكانه احتواء 30 مركبا. لا تزال آثار الأسوار المحيطة به والبرجين اللذين يحرسان مدخله بارزة.
- البرج العثماني: وقع بناؤه في أواخر القرن السادس عشر الميلادي من قبل الأتراك العثمانيين عندما استقروا نهائيا بالمهدية.
- المدينة العتيقة: تمثل المدينة العتيقة بالمهدية عاملا من عوامل تركيز السياحة وتطورها بالمنطقة وذلك لثراء مخزونها التراثي والتاريخي والثقافي، هذا إلى جانب مساهمتها في استقطاب الوافدين إلى المدينة باعتبارها مسلكا سياحيا فريدا من نوعه.
- جامع الحاج مصطفى حمزة: يعتبر هذا الجامع من أهم المعالم الدينية الموجودة بمدينة المهدية نظرا لأنه يضم كل المقاييس المعمارية المميزة للمسجد الجامع في الفترة العثمانية. وقد شهد هذا المعلم عمليات توسعة وترميم عديدة خاصة في القرن العشرين.

الإمارات تستفيد من رسم درجات الحرارة لخارطة سياحة صيفية جديدة

❑ **أبوظبي** – تسعى الإمارات من خلال برنامج سياحي متكامل بين مختلف إماراتها إلى الاستفادة من إعادة الارتفاعات المتواصلة في درجات الحرارة حول العالم لرسم خارطة مناطق ووجهات الجذب السياحي الصيفية.

واستفاد القطاع السياحي في الإمارات بشكل مباشر من تقلص الوجهات السياحية التقليدية حول العالم خصوصا مع تنامي قطاع السياحة الترفيهية محليا حيث كشفت إحصاءات حديثة نمو عدد السياح محليا في شهري يوليو وأغسطس مقارنة بالفترة ذاتها قبل خمس سنوات.

وتلعب سياحة الترفيه والتسوق الدور الأبرز في ارتفاع أعداد السياح للإمارات في الصيف خصوصا بعد افتتاح سلسلة طويلة من مراكز التسوق العملاقة والعديد من المشاريع العالمية في مجال الترفيه. وتتعدد وجهات جذب السياحة الداخلية في دولة الإمارات العربية المتحدة حيث تسعى كل إمارة إلى توفير باقة متنوعة من الخيارات أمام السائح الداخلي تتيح له قضاء إجازة ممتعة بأفضل الأسعار وأرقى الخدمات.

وتعتبر جزيرة ياس المركز السياحي والترفيهي الأول في أبوظبي مستفيدة من موقعها المتميز بين أبوظبي ودبي إذ تقدر مدة قطع المسافة بينها وبين أبوظبي بـ25 دقيقة فيما تستغرق الرحلة منها إلى دبي أقل من 45 دقيقة.

وتضم الجزيرة العشرات من الفنادق والمطاعم ومجموعة كبيرة من أماكن الترفيه والنوادي فضلا عن قاعات للاحتفالات والعروض وتزخر بمعالم ترفيهية عالمية مثل عالم فيراري- أبوظبي حيث توجد أسرع أفعوانيه في العالم وياس "ووترورلد" أبوظبي أكبر حديقة ألعاب مائية في الإمارات وفيها 43 لعبة ومنزلقة مائية إضافة إلى خدمة "سي وينجز" التي توفر للزوار فرصة ركوب الطائرة المائية والاستمتاع بمناظر تحبس الأنفاس فوق جزيرة ياس.

وشهدت الجزيرة مؤخرا افتتاح "عالم وارنر برادرز أبوظبي" المدينة الترفيهية المغلقة الأولى على الإطلاق في العالم التي تحمل علامة "وارنر برادرز" وتضم جميع شخصيات القصص والرسوم المتحركة المفضلة عند الأطفال تحت سقف واحد لتقدم تجربة فريدة من نوعها لجميع أفراد العائلة. وتعتمد إمارة دبي خطة لتنشيط السياحة الداخلية قائمة على تنويع عناصر الجذب ما بين التاريخية والمعاصرة فيها وهي معروفة بأنها عاصمة التسوق في الشرق الأوسط كما أنها تمتلك أفخم الفنادق والمنتجعات على مستوى الشرق الأوسط بالإضافة إلى الكثير من مناطق الجذب ذات الشهرة العالمية.

ويعتبر برج خليفة أحد أبرز المعالم السياحية التي يقصدها الزوار من مختلف مناطق الدولة إلى الآن حيث يعتبر أسطورة هندسية رائعة نظرا لارتفاعه المذهل الذي يصل إلى 829.8 مترا مما يجعله أطول تصميم من صنع الإنسان في العالم.

ويقدم خور دبي لزواره فرصة الاستمتاع برحلة في المراكب الشراعية التقليدية للتعرف على أهمية هذا الخور في حين تعتبر نخلة جميرا إنجازا ملموسا خلفته الهندسة الحديثة إذ تعد سلسلة الجزيرة الصناعية المترابطة تتويجا لأحد مشاريع استصلاح الأراضي كما تحفل نخلة جميرة الآن بمركز للترفيه والتسوق في دبي.

وأنعشت الحدائق المائية في دبي السياحة الداخلية وأضحت من عوامل الجذب التي تتميز بها الإمارة إذ أن النشاطات التي تتوفر فيها لا تستقطب سكان الإمارة فحسب بل آلاف الزوار من مختلف مناطق الدولة ومن أبرز هذه الحدائق مدينة "أكوافنتشر" المائية وحديقة الألعاب المائية "وايلد وادي" إضافة إلى حديقة الألعاب المائية ليغو لاند.

وتشكل إمارة الشارقة بمعالمها السياحية الرائعة مكان جذب مميزا للسائحين المقيمين في دولة الإمارات من منطقة المنتزه إلى جزيرة النور ومن منطقة مليحة الأثرية إلى متاحف الشارقة التاريخية ومن القصباء إلى واجهة المجاز المائية حيث يجد الزائر كل ما يلبي حاجياته من متعة وترفيه وتسوق.

الهدوء وصفاء الماء يستقطبان الزائرين

الترفيه سمة غالبة على كل مكان

أجهزة تكنولوجية صغيرة ومرنة متعددة الوظائف

روبوتات بحجم حبة الدواء تتجول بحرية داخل جسم الإنسان

لم يعد بعيدا ذلك اليوم الذي يمكن فيه أن تتجول الروبوتات بحرية داخل أجسادنا؛ والمقصود بذلك نوع من الروبوتات حجمها صغير جدا ويمكن تناولها في شكل حبوب ثم ترسل داخل الجسم لتؤدي عدة أغراض ووظائف. هذه الروبوتات هي اليوم في مرحلة التطوير والتجريب ومن المتوقع أن تستخدم في العديد من المجالات العلمية مثل الطب والبصريات والفيزياء والإلكترونيات والكيمياء وغيرها من المجالات الصناعية والبيئية.

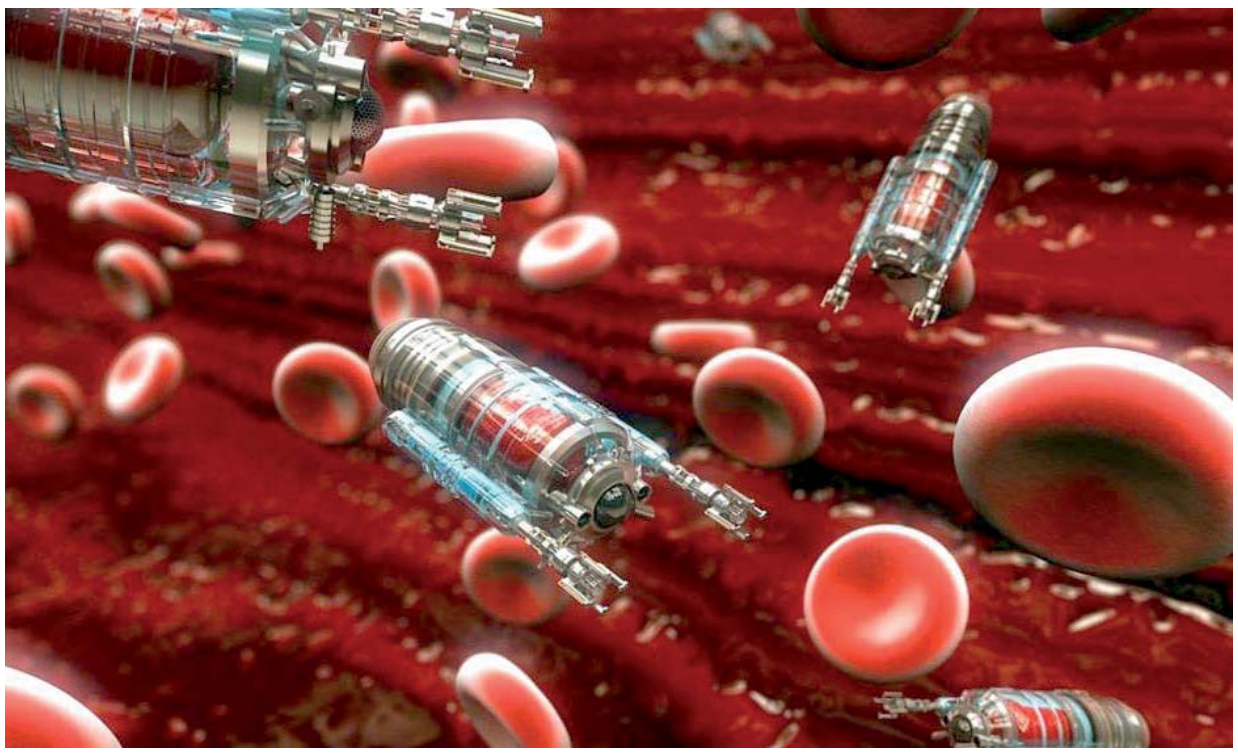

العجز عن السيطرة على الروبوتات داخل الجسم يثير المخاوف

❏ **بوسطن** – يعدّ مجال الروبوتات الطبية المصغّرة من الاكتشافات الواعدة، لأنها تدخل إلى جسم المريض وإجراء جميع أنواع العلاجات، فالهدف الأول للطبيب هو معرفة المرض الذي يعاني منه مريضه، وفي حين كان ذلك يتضمن بعض التخمينات في الماضي، فإن الروبوتات المصغّرة داخل الجسم ستجعل منه إجراء أكثر دقة عما قريب. ويمكن لروبوتات صغيرة بحجم الذبابة أو حبة الدواء أن تدخل مباشرة إلى الجسم وهي تحمل مستشعرات وأدوات تشخيصية يمكنها الكشف عن علامات المرض.

وعلى الرغم من تصنيع روبوتات لا يتجاوز طولها بضعة سنتيمترات، لم نصل حتى الآن إلى تصنيع روبوتات في شكل حبوب مرنة متعددة الوظائف يمكنها التحرك والعمل على مقاييس أصغر.

ونجح فريق مشترك من معهد ويس للهندسة المستوحاة من البيولوجيا التابع لجامعة هارفارد وجامعة بوسطن في التغلب على هذا التحدي بتطويره آليةً جديدة تفسح المجال لتصنيع روبوتات مرنة بمقاييس مليمترية. ولإثبات جدوى تقنيته الجديدة، صنع الفريق عنكبوتا مرنا مستوحى من عنكبوت الطاووس الأسترالي الملون، الذي لا يتجاوز حجمه بضعة مليمترات، من مادة مرنة واحدة، ويمتاز بقدرته على تشكيل الجسم والحركة واللون.

> روبوتات صغيرة جدا تدخل مباشرة إلى الجسم لتشخيص الأمراض وحقن الأدوية في خلايا يصعب الوصول إليها

وقالت الدكتورة شيلا روسو، إحدى المشاركات في الدراسة، إن "أنظمة الروبوتات الصغيرة المرنة ما زالت بسيطة جدًا، بدرجة واحدة فقط من الحرية، إذ بإمكانها القيام بتغيير واحد في شكل الحركة أو نمطها".

وأضافت "من خلال تطوير تقنية هجينة تدمج ثلاث تقنيات تصنيع مختلفة، تمكنا من تصنيع عنكبوت روبوتي مرن من السيليكون فقط، يتمتع بـ18 درجة من الحرية تتراوح ما بين تغييرات حركية وبنيوية ولونية مع تفاصيل دقيقة في نطاق الميكرومتر".

وقال الدكتور روبرت وود المشارك في الدراسة إن "مقاربة التصنيع الجديدة في مجال الروبوتات المرنة تمهد الطريق لتحقيق مستويات من التعقيد وأداء المهمات على المقاييس الصغيرة، تماثل تلك التي تظهرها نظيراتها الصلبة".

وأضاف أن "الروبوتات المرنة ستساعدنا مستقبلا على محاكاة علاقات الوظيفة البنيوية في الحيوانات الصغيرة وفهمها بطريقة أفضل بكثير من الروبوتات الصلبة".

واستخدم الفريق للمرة الأولى تقنية الطباعة الحجرية لتوليد 12 طبقة من السيليكون المرن لتشكل معًا أساس مادة العنكبوت المرن؛ عبر تقنية القطع الدقيق بالليزر وربط كل طبقة بالطبقة التالية لتكوين البنية الخام ثلاثية الأبعاد للعنكبوت المرن.

ومفتاح تحويل التركيب البسيط إلى شكله النهائي هو إنشاء شبكة قنوات ميكروية مجوفة للسوائل، مدمجة ضمن الطبقات المفردة، مع تقنية ثالثة تعتمد الطي الذاتي عبر حقن سائل الريزين في مجموعة واحدة من القنوات الميكروية المجوفة، ما يحفز الطبقة المحقونة والطبقات المجاورة على الانحناء بصورتها النهائية، لتثبت في مكانها بعد تصلب الريزين، ويمكننا بهذه الطريقة جعل بطن العنكبوت مثلا وأرجله المنحنية صفات دائمة.

وقال الدكتور توماسو رانزاني المشارك في الدراسة "يمكننا التحكم في عملية الطي الشبيهة بفن طي الورق من خلال تغيير سُمك وتماسك المادة السيليكونية القريبة من القنوات المجوفة أو عن طريق القطع بالليزر، وأثناء الضغط تعمل القنوات كمحركات تساهم في التغيير المستمر". واستثمر الفريق المجموعة المتبقية من القنوات كمحركات إضافية لتلوين العيون ومحاكاة لون بطن عنكبوت الطاووس عبر تدفق السوائل الملونة وحث بنية ساق الروبوت على القيام بحركات مشابهة للمشي.

وأضاف رانزاني أن "النموذج الأولي صنع في عملية واحدة متجانسة قابلة للتنفيذ في أيام قليلة ويمكن تكرارها بسهولة لخدمة جهود تحسين التصميم".

وأشار الدكتور دونالد إنجبر مدير معهد ويس إلى أن "النموذج الأولي للروبوتات المرنة يفتح آفاقا جديدة كليًا أمام الباحثين الذين يركزون بالدرجة الأولى على التطبيقات الطبية مستفيدين من أحجام الروبوتات الصغيرة ومرونتها في عمليات الجراحة المجهرية واستخدامات التنظير الطبي".

ويعتقد الباحثون أيضا أن الروبوتات الصغيرة يمكن تحويرها ليسهل ابتلاعها كالحبوب لتتمكن من إيصال الأدوية إلى داخل الجسم وإجراء عمليات جراحية في المناطق التي يصعب الوصول إليها في المعدة والأمعاء وغيرها من أجزاء الجسم. ويجري تطوير روبوتات صغيرة لمهاجمة البكتيريا التي تنقل الأمراض ولإزالة البقايا التي تسدّ الأوعية الدموية.

وهناك روبوتات صغيرة أخرى تشبه الغواصات الصغيرة بإمكانها أن تزيل انسداد شرايين القلب، حيث يمكن لتراكم الدهون والكوليسترول أن يعيق تدفق الدم مما يؤدي إلى الإصابة بالنوبات القلبية أو السكتات الدماغية. إلا أن هذه "الحبيبات الدقيقة" تقوم بتفكيك الدهون والكوليسترول مما يسمح للمثقب الجراحي بالقضاء عليها.

إن أحد الاستخدامات الواعدة للروبوتات المصغّرة إعطاء الأدوية، مما يسمح للأطباء بإيصال الأدوية إلى مناطق محددة أو إلى خلايا يصعب الوصول إليها وتحتاج إلى هذه الأدوية.

ويتم تطوير أحد هذه الروبوتات لعلاج السرطان، حيث إن هناك مشكلة كبيرة ناتجة عن العلاج الذي يستهدف السرطان وهي أن حقن الأورام بالأدوية يؤدي إلى تمزّقها وبالتالي تنتشر الخلايا المريضة في الأماكن القريبة.

ويمكن للروبوتات الصغيرة تقديم الأدوية بأمان دون استخدام الحقن التي تثقب الأورام.

ويجري أيضا تصميم روبوتات الأسماك الدقيقة التي تتحرّك في محيطها بحركة تشبه حركة الأسماك، ويمكن للأطباء توجيه هذه "الأسماك الدقيقة" باستخدام حقول مغناطيسية نحو خلايا معينة، لتقديم الأدوية أو نقل الخلايا المنفردة في طريقها.

ويقول العلماء إنه من المثير حقا أن نرى الروبوتات الصغيرة هذه تقوم بالمهام الطبية الصعبة، لكنهم في المقابل يشككون في السيطرة على وضع هذه الروبوتات داخل جسم الإنسان.

غالاكسي أس 7 عرضة للاختراق

❏ **فيينا** – اكتشف باحثون من جامعة غراتس التقنية في النمسا أن هواتف سامسونغ غالاكسي أس 7 تعاني من ثغرة أمنية ضمن وحدة المعالجة المركزية، قد تُعرض عشرات الملايين من الأجهزة لخطر الاختراق من القراصنة.

كان يعتقد سابقًا أن هواتف غالاكسي أس 7 والهواتف الذكية الأخرى التي تصنعها شركة سامسونغ محصنة ضد الثغرة الأمنية المعروفة باسم "ملتداون" –التي تم الكشف عنها في وقت سابق من هذا العام– وتؤثر على معظم أجهزة الكمبيوتر والهواتف الذكية والأجهزة المحمولة الأخرى، حيث يمكن أن تسمح للقراصنة بالوصول إلى البيانات وكلمات السر ومفاتيح التشفير وغيرها من المعلومات.

وقال باحثون من جامعة غراتس التقنية في النمسا إنهم اكتشفوا طريقة يمكن بها استغلال الثغرة الأمنية "ملتداون" للهجوم على هواتف غالاكسي أس 7.

وقال الباحث مايكل شوارتز "إنهم يدرسون تأثير ثغرة 'ملتداون' على الموديلات والنماذج الأخرى للهواتف الذكية ويتوقعون الكشف عن المزيد من الأجهزة الضعيفة في المستقبل القريب".

وأضاف "هناك احتمال وجود مئات الملايين من الهواتف التي تتأثر بثغرة 'ملتداون'، وحتى الآن لم يتم تصحيحها لأن الموردين أنفسهم لا يعرفون".

وأعلنت سامسونغ سابقا أنها أطلقت تحديثات أمنية في شهري يناير ويوليو لحماية هواتف غالاكسي أس 7 ضد ثغرة "ملتداون"، وأكدت الشركة في بيان لها "أن الأمن أهم أولوية في منتجاتنا وخدماتنا التي نقدمها للمستخدمين".

وقالت متحدثة باسم سامسونغ "إنه لم يتم الإبلاغ عن أي حالات تم فيها استغلال ثغرة 'ملتداون' للهجوم على هواتف غالاكسي أس 7، وأنه لا توجد هواتف سامسونغ أخرى معرضة لهذا الخطر".

غوغل تعيد تصميم منصتها التعليمية

❏ **كاليفورنيا** – أعلنت شركة غوغل عن إطلاقها مجموعة من التحديثات الجديدة لمنصتها التعليمية، قائلة "إن هذه التحديثات تأتي بناء على توصيات من المعلمين؛ إذ أنهم اكتشفوا أن بعض الميزات معقدة الاستخدام، لذلك عملنا على تبسيطها بحيث يمكن للمدرسين والطلاب تحقيق أقصى استفادة ممكنة عبر هذه المنصة التعليمية".

من هذه التحديثات خدمة كلاسروم، وهي خدمة ويب تعمل على إدارة الفصول الدراسية من خلال ربط المدرسين والطلاب بغرض مشاركة المعلومات والواجبات والتواصل العام، ومن أهم الميزات الجديدة التي أعلنت عنها غوغل إنشاء صفحة جديدة تُسمى كلاسووورك وتتيح للمعلمين تنظيم المهام والأسئلة بشكل أفضل عن طريق تجميعهم في وحدات منفصلة، مما يساعد على عزل محتوى الفصل عن المحادثات داخل "ستريم".

وهناك أيضا ميزة أداة تقدير جديدة تمكّن المعلمين من حفظ وإعادة استخدام التعليقات الشائعة بسهولة، ويمكنهم أيضا التبديل بسرعة بين ملفات الطلاب وعمليات الإرسال عند التقدير، دون الحاجة إلى فتح كل ملف على حدة.

وقالت شركة غوغل إن الهدف من هذه الأداة هو تشجيع التفاعل المدروس بين المعلمين والطلاب، حيث يمثل تقديم تعليقات متكررة وقابلة للتنفيذ جزءًا أساسيًا من دورة التعلم، ولكن قد يستغرق الأمر وقتًا طويلاً لتقديم تعليقات مدروسة ومخصصة لكل طالب، لذلك يمكن للمعلمين الآن إنشاء "بنك تعليقات" حتى يتمكنوا من إعادة استخدام التعليقات الشائعة.

أخبار التكنولوجيا

هواتف آيفون لا تتجسس على المستخدمين

❏ ردّت شركة أبل بشكل رسمي على مخاوف أثارتها لجنة الطاقة والتجارة في مجلس النواب الأميركي، وأوضحت بالتفصيل التزامها بالخصوصية، وأن هواتف آيفون لا تستمع إلى المستخدمين دون موافقتهم ولا تسمح لتطبيقات الطرف الثالث بإنجاز ذلك.

وذكر مسؤول في الشركة، أن أبل تعتقد أن الخصوصية حق أساسي من حقوق الإنسان، وهو ما يعكس التعليقات التي قدمتها شركة أبل في الماضي.

الحد من استخدام أجهزة تعقب اللياقة البدنية

❏ حظرت وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) على الجنود وغيرهم من الأفراد المتمركزين في قواعد حساسة ومناطق الحرب استخدام ميزات الموقع الجغرافي المضمنة في أجهزة تتبع اللياقة البدنية وغيرها من الأجهزة، وذلك لأن البيانات يمكن أن تحدد المكان الذي تتواجد فيه هذه القوات.

وبالرغم من أن البنتاغون لم يصدر حظرا تاما على أجهزة وتطبيقات نظام تحديد المواقع العالمي، فقد أعلن أنه يجب إيقاف تشغيل ميزات الموقع في مناطق معينة.

هوائي تلفزيون يساعد على ردع اللصوص

❏ يمتاز الهوائي ANT1487 من تومسون بتقوية إشارة التلفزيون ويوفر استقبالا خاليا من التشويش للبث التلفزيوني، بالإضافة إلى أنه يمكن أن يخدع اللصوص من خلال الإيحاء بوجود أحد الأشخاص في المنزل يشاهد التلفزيون.

وتتم محاكاة أضواء التلفزيون المشغل من خلال وجود لمبات ملونة بالهوائي، وهو ما قد يساعد على ردع المجرمين واللصوص. ومن المقرر إطلاق الهوائي الجديد م نهاية شهر أغسطس.

فيسبوك تشارك البنوك بيانات الزبائن

❏ تناقش شركة فيسبوك البنوك الأميركية للوصول إلى بيانات الزبائن، حيث طلبت الشركة من البنوك مشاركة المعلومات المالية عن زبائنها.

وبحسب ما أفادت به صحيفة وول ستريت جورنال، فإن الشركة تدرس ميزة خاصة بمنصة ماسنجر تدمج من خلالها المعلومات البنكية الخاصة بالمستخدم، وتنطبق هذه الميزة على منصة التراسل ماسنجر فقط، وليس على كامل منصة فيسبوك.

الرياضات الهوائية تجمع بين المتعة والفائدة

تمارين تسرّع حرق الدهون وتدعم التوازن العقلي والعضلي

التأرجح يشعر المتدرب بالتحرر

تجمع الرياضات الهوائية بين المتعة والإفادة ويشعر المرء أثناء ممارستها بالحرية عندما يكون مرتفعا عن الأرض وفي نفس الوقت يتمكن من المحافظة على صحته ولياقته. وتعمل تمارين هذه الرياضات على تعزيز قوة الجسم ومرونة العضلات وتدعم التوازن والتناسق العضلي والعقلي، الأمر الذي جعل خبراء اللياقة والصحة ينصحون الجميع بممارستها وفق إمكانياتهم البدنية.

❑ **برلين** – يختار الكثير من المهتمين بلياقتهم البدنية الرياضات الهوائية التي تجمع بين العديد من الفوائد في آن واحد؛ فهي تحسن المزاج وتحافظ على صحة الجسم كما تنمي قدرات العقل في التركيز والتوازن. وينصح خبراء اللياقة البدنية باختيار التمارين التي تتماشى مع الوضع الصحي للجسم ومع الهدف المراد منها.

أحد أبرز هذه الرياضات الهاموك الهوائي إذ تستهوي تمارينه عشاق الرقص بصفة خاصة، فإلى جانب تمارين القوة والمرونة تضم هذه الرياضة رقصات قصيرة أو طويلة مع عناصر بهلوانية وأكروباتية.

وأوضحت أنا لينا بوتماير، من أستوديو الرقص إكسكويسويت، قائلة "يعمل الحزام القماشي على مساعدة المتدرب في أداء تمارين التمدد والإطالة بشكل محكم يرتكز على تعزيز القوة".

وأضافت هولبيرت أن الإمساك بالحزام القماشي يحتاج إلى بعض الوقت للتعود، كما أن التعامل معه أصعب من حلقة الهوب؛ حيث قد تظهر هنا مشكلة الدوار، ويمكن للمتدرب في البداية إجراء كل التمارين باستثناء تمارين التمدد والإطالة، حتى يعتاد عليه تدريجيا.

أما البيلاتس الطائر فيعتبر من التدريبات الجديدة التي لم تنتشر على نطاق واسع حتى الآن، وعادة ما يتم إجراء التدريبات في استوديوهات خاصة، وكذلك في مراكز الرقص وقاعات اللياقة البدنية. وأوضح أندريا بري ديلينبرجر، من أستوديو الرقص دانس لاين بمدينة فيسبادن الألمانية، أن مبدأ البيلاتس يرتكز على دقة الحركة، ومن خلال الحزام القماشي يعرف المتدرب ما إذا كان يؤدي التدريبات بطريقة صحيحة.

وتمتاز تمارين البيلاتس الطائر بأنها أكثر ديناميكية من السوينغ يوغا، وتعمل على تقوية العضلات العميقة في الجذع والذراعين والكتفين، وقالت سيمونا كيلتيكا، الخبيرة الألمانية من معهد الرقص والثقافة الحركية بالجامعة الرياضية في كولن، "يمكن توزيع الوزن بصورة أفضل على الحزام القماشي"، فيما أوضحت نيلي سيرت، من مركز الرقص آيريال دانس شنتر، قائلة "عند مراعاة مواقف اليد، سيصبح الحزام القماشي داعما أكثر أمانا".

ويقول الخبراء في اللياقة البدنية أن العديد من الناس يمارسون البيلاتس لصقل الجسم في فترة وجيزة، حيث تركز تمارينه أساسا على تقوية عضلات البطن والظهر وتساهم في تشكيلها ومنحها شكلا جذابا كما تساعد على تنشيط الدورة الدموية.

> هذه التمارين تقوم بتنشيط العمود الفقري من خلال الحركة المتأرجحة التي تُسهم أيضاً في تدريب عضلات التناسق العضلي الداخلي والخارجي

ويوضح مدربو اللياقة أن تمارين البيلاتس الطائر تناسب جميع الأوزان والأعمار وأشكال الأجسام ويمكن لكل شخص تعديل التمارين بالشكل الذي يناسبه وفق تحديد المناطق المراد تنحيفها للحصول على أفضل النتائج.

من جانبها تعمل تمارين السوينغ يوغا أو يوغا التأرجح على تخفيف الضغط عن اللفافات، وهي عبارة عن أنسجة ضامة تحيط بالعضلات والمفاصل والأعضاء. ومن خلال الحزام القماشي تصبح وضعيات اليوغا المعروفة أسهل، وحتى الأشخاص الذين يعانون من زيادة الوزن أو قصور في الوظائف البدنية يمكنهم التغلب على الصعوبات في أغلب الأحيان والقيام بالوضعيات المجهدة والصعبة في اليوغا.

وذكرت سيمونا كيلتيكا أن الراحة التي تنشأ عندما يتعلق المرء بالحزام القماشي رأسا على عقب تلعب دورا كبيرا، ولا يتم ذلك دون جهد عند أداء تمارين السوينغ يوغا.

وأردفت إلكه راسور -مدربة في السوينغ يوغا في استوديو الرقص اكسكيسويت بمدينة بيليفيلد الألمانية- قائلة "نظرا إلى أن الحزام القماشي يتأرجح دائما فإنه يدفع الجسم إلى البحث عن التوازن باستمرار".

وشهدت يوغا التأرجح رواجاً واسعا على مدى السنوات الأخيرة الماضية. وتشكل هذه الرياضة، التي تجمع بين حركات اليوغا التقليدية و"الهاموك" أو الأرجوحة الشبكية المعلقة في الهواء، المدخل الأمثل للراغبين في البدء بممارسة اليوغا.

ويؤكد ساتيش ثيرومورثي راماسوامي، المدرّب في نوادي فيتنس فيرست وصفوف يوغا التأرجح، أنه بالرغم من أنها قد تبدو صعبة في بداية الأمر، تعتبر يوغا التأرجح الأساس والطريقة الأمثل للبدء بممارسة اليوغا بطريقة صحيحة.

وحسب قول راماسوامي، أحب كثيرون الشعور بالحرية خلال التأرجح وقالوا إن هذا ساهم في تحسين مزاجهم، فيما قال آخرون إن يوغا التأرجح تساعد على دعم التوازن والاستقرار وتعزيز النشاط اليومي.

أما تمارين الهوب الهوائي فلا يتم استعمال الأحزمة القماشية فيها، ولكن يتم الاعتماد على حلقة كبيرة معلقة في السقف، وأوضح أندريا بري ديلينبرجر قائلا "أشعر عند القيام بتمارين الهوب الهوائي كأنني طفل؛ حيث تتشابه حركات التأرجح الحر أو التعليق رأسا على عقب مع الحركات التي يمارسها الأطفال في الملعب"، وتشتهر هذه الحركات في السيرك، وهناك العديد من مراكز الرقص وقاعات اللياقة البدنية التي توفر هذه التمارين.

ووفقا لما أوضحته أنا هولبيرت، من أستوديو الرقص شويرلوس في مدينة مونستر، من المهم مراعاة تصنيف المستوى مع المبتدئين، وأضافت "في البداية ينبغي ألا تكون الحلقة مرتفعة للغاية؛ لأنه سيكون من الصعب على المتدربين الوصول إلى الحلقة دون تجربة سابقة"، ولكن مع مرور الوقت سيتمكن المتدرب من تطوير قوة كافية للحفاظ على جسمه داخل الحلقة وحولها.

وتساهم تمارين الهوب الهوائي كغيرها من التمارين الهوائية في حرق الدهون في وقت قصير كما تساعد على شد البطن وتقوية العضلات خصوصا عضلات اليدين، مثل تمرين الأرجحة على حلقة واحدة بحيث يعلق بها الجسم ويركز التمرين على القيام بحركات مع التمسك بالحلقة لتجنب السقوط ثم القيام بتحريك أجزاء الجسم والعضلات المراد دعمها وتقويتها أو شدها. وتشبه تمارين الهوب الهوائي بحلقة واحدة معلقة تمرينات الحلقات الحديدية المعلقة التي تستهدف بالأخص تقوية عضلات اليدين والذراعين واكتساب عضلات قوية وبارزة.

وتعزز تمارين الهوب الهوائي التناسق العصبي العضلي لدى الإنسان وتُكسبه قواما مثاليا لأنّ الحلقة المحيطة بمنطقة الخصر والبطن تعمل على تدريب عضلات البطن بشكل مكثّف وعلى تدليك الأنسجة والأعضاء الداخلية، مما يحفّز عملية التمثيل الغذائي في الجسم.

وتقوم هذه التمارين بتنشيط العمود الفقري من خلال الحركة المتأرجحة التي تُسهم أيضاً في تدريب عضلات الظهر وتحسين التناسق العضلي؛ ومن ثمّ يتمتّع العمود الفقري بقدرة أكبر على التحمل وتُصبح حركات المتدرب أكثر قوة وثباتاً ويقي نفسه من آلام الظهر، هذا مع ضرورة وضع العمود الفقري في الوضع الصحيح.

وبالنسبة لجميع الرياضات الهوائية يتعين على الأشخاص، الذين يعانون من نزلات برد حادة أو انزلاق غضروفي أو مشاكل في الركبة، استشارة الطبيب قبل ممارسة التمارين، كما ينبغي توخي الحذر في حالات ارتفاع ضغط الدم أو ارتفاع ضغط العين؛ لأن المتدرب غالبا ما يكون رأسه في اتجاه الأسفل، بالإضافة إلى ضرورة استشارة الطبيب أولا إذا كان المتدرب يعاني من الصداع أو الصداع النصفي بشكل متكرر، وكذلك في حالات الحمل.

العزوف عن ممارسة الرياضة بسبب انخفاض ضغط الدم خطأ شائع

يفضل الأشخاص المصابون بانخفاض ضغط الدم تجنب التمارين الرياضية والابتعاد عنها لاعتقادهم بأنهم بذلك يحافظون على صحتهم ويجنبون أنفسهم الإرهاق الذي قد يعكر وضعهم الصحي، غير أن مختصين في الصحة وفي اللياقة البدنية حددوا تمارين رياضية بعينها يمكنها أن تساعد المصابين بانخفاض ضغط الدم على مراقبة وتحسين الدورة الدموية وبالتالي المحافظة على لياقتهم البدنية.

> خبراء الصحة ينصحون مرضى انخفاض ضغط الدم بعدم التخوف من ممارسة الرياضة لأنها تظل ضرورية لمساعدة الدورة الدموية على العمل بشكل صحيح ومنتظم

❑ **لندن** – عندما تكون الدورة الدموية ضعيفة بحيث لا تصل كميات الدم الكافية إلى الدماغ تصبح ممارسة بعض التمارين الرياضية معقدة وصعبة على المصابين بانخفاض ضغط الدم بالرغم من أن الرياضة تظل عاملا أساسيا لمراقبة انخفاض ضغط الدم وهو ما يجعل اختيار تمارين رياضية بعينها مهم جدا وهو بمثابة قواعد الحماية التي يجب تطبيقها.

ويفسر خبراء الصحة ذلك بأن انخفاض ضغط الدم يجعل بعض الحركات الرياضية صعبة وتتسبب في الشعور بالدوار والغثيان وباضطراب في البصر والضعف والإغماء أيضا، وليس من السهل على المصابين بانخفاض ضغط الدم ممارسة تمارين حركية من بينها التمارين التي تعتمد على خفض الرأس مثل بعض تمرينات اليوغا لكنهم في الوقت ذاته لا ينصحون بالانقطاع عن ممارسة الرياضة.

ويقول خبراء الصحة بأنه ليس على مرضى انخفاض ضغط الدم التخوف من ممارسة الرياضة لأنها تظل ضرورية لمساعدة الدورة الدموية على العمل بشكل صحيح ومنتظم. وينصح خبراء اللياقة البدنية الأشخاص الذين يعانون من انخفاض ضغط الدم باعتماد التمارين الرياضية التي تحفز نظام القلب والأوعية الدموية مثل السباحة والركض وألعاب الجمباز وركوب الدراجات الهوائية.

ويرجح الخبراء أن أعراض انخفاض ضغط الدم تنتج عن التغيير الفجئي لوضع الجسم وخصوصا عندما يوضع الرأس في مستوى منخفض مقارنة بالقلب مثل بعض وضعيات اليوغا لأن دوران الدم ليس قويا كما يلزم لإيصال كميات الدم الكافية إلى الدماغ وهو ما يخلق الشعور بالدوار والدوخة وتكمن الخطورة في الإغماء والإصابة جراء السقوط مثلا. لذلك يجب أخذ بعض الاحتياطات في التمارين التي يمكن ممارستها. ويحدد المختصون في اللياقة البدنية والتمارين الرياضية العديد من الخطوات الواجب اعتمادها من قبل المصابين بانخفاض ضغط الدم لضمان سلامتهم أثناء ممارسة الرياضة وينصحونهم أولا بالتركيز على تغيير وضعية الجسم بهدوء وبطء خصوصا عندما يتعلق الأمر برفع الرأس. ويجب عدم التوقف ومواصلة الحركة فور انتهاء التمرين خصوصا بعد الانتهاء من التمارين التي تتطلب جهدا وتؤثر على الدورة الدموية وعلى القلب مثل تمارين المشي والركض باستخدام جهاز الركض لأن الدم يحتبس حينها في القدمين في حين أن القلب يحتاج إلى حركتيهما لكي يتمكن من ضخ الدم ليصل إلى الرأس.

كما يوصي خبراء اللياقة البدنية مَن يشتكون من انخفاض ضغط الدم باعتماد تمارين استرخاء تجمع بين الحركة والتدرج. ويجب على مريض انخفاض ضغط الدم في حال شعر بالدوار أن يسترخي ويجلس ليرتاح إلى أن تمر فترة الدوخة. وعليه أن يأكل خلال اليوم وجبات خفيفة ومتعددة وأن يعمد إلى الجلوس أو الاستلقاء على الظهر بعد الانتهاء من الأكل مع زيادة شرب المياه.

وإذا استمرت أعراض انخفاض ضغط الدم فيجب على المريض استشارة الطبيب الذي سينصحه برفع استهلاكه لمادة السوديوم كما يمكن أن ينصحه بممارسة التمارين الرياضية المناسبة لحالته الصحية والتي تساعده على علاج انخفاض تدفق الدم في الشرايين.

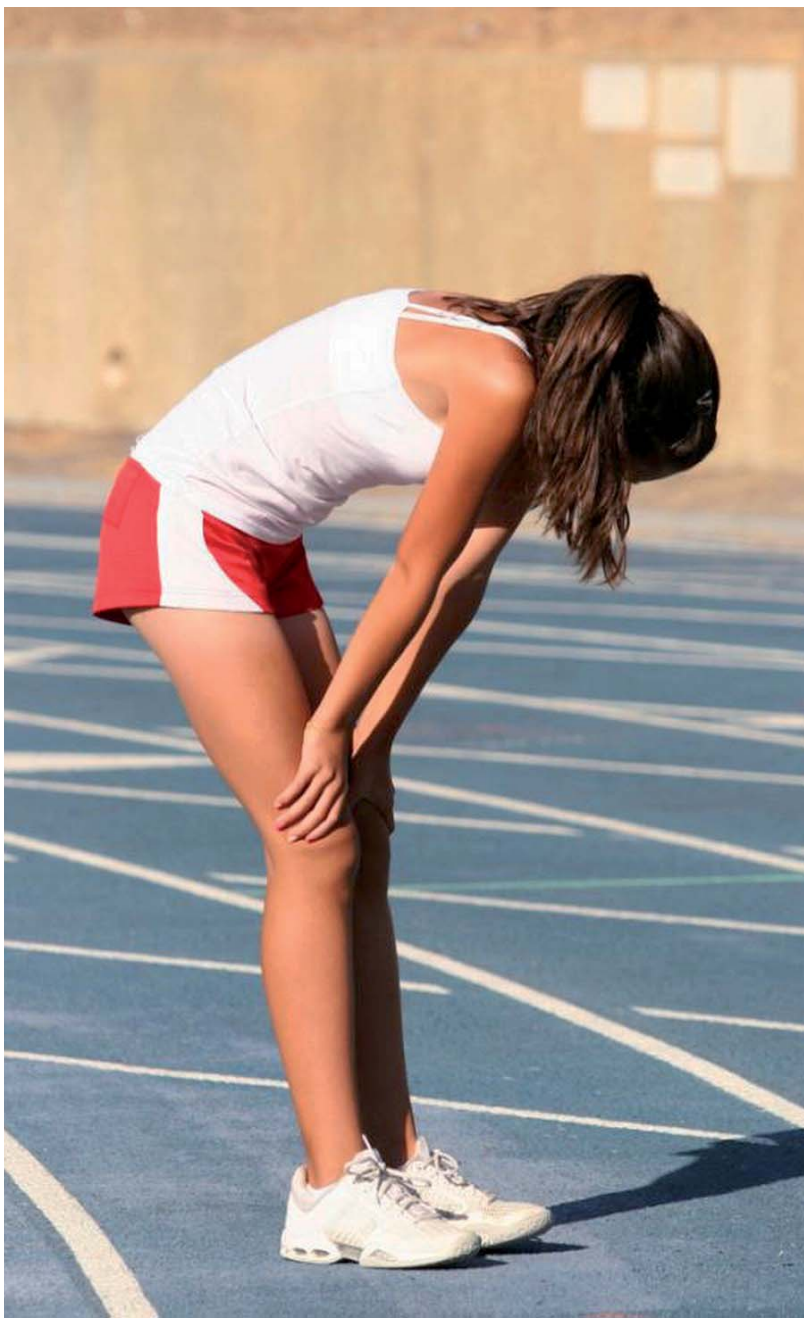

الخوف من المتاعب لا يعني التخلي عن الرياضة

التسرب من التعليم تيار يجرف المراهقين نحو الانحراف

واقع المتسربين من التعليم يكشف الخلل في السياسات الحكومية تجاه الشباب

تطلعنا الإحصائيات الرسمية في غالبية الدول العربية على أن أعداد المراهقين والشباب المتسربين من التعليم في تزايد مطرد، وتقول الأرقام أنهم يمثلون النسبة الأكبر من ضحايا الآفات والظواهر الاجتماعية مثل الجريمة والإرهاب والانحراف والبطالة والانتحار وغيرها الكثير، لكن هذا الارتفاع العددي لم تواكبه زيادة في الاهتمام بهذه الفئة سواء بالبحث والدرس أو باعتماد ووضع استراتيجيات تستهدف احتواءها وإيجاد حلول تخرجها من دوامة التهميش بغرض الاستفادة من طاقاتها كقوة عاملة ودافعة نحو التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

السير نحو المجهول

سماح بن عبادة
صحافية تونسية

❑ **تونس** – لا جدال في أن وضع الشباب في جل الدول هو المرآة العاكسة لواقعها ومستقبلها، فالشباب هو مخزون الطاقة والقوة لكل المجتمعات وإن لم يتم الاستثمار فيه واستغلال طاقاته فإنه يعد من موارد القوة المهملة وغير المستغلة على النحو السليم.

ويعيش الشباب في الدول العربية واقعا يتسم بالتهميش والإهمال فلا نراه اليوم في مواقع القيادة والقوة والسلطة، ويكافح الشباب من حاملي شهائد التعليم العالي ليجد عملا يؤمن له العيش الكريم بالرغم من أن بيده سلاح العلم والمعرفة فما بالك بالشباب الذي ترك التعليم وخرج لمعترك الحياة من دون شهادة علمية لعلها تكون مفتاح النجاح في حياته.

فئة الشباب المتسرب من التعليم والتي تمثل نسبة هامة من الشباب والمراهقين تعد بحسب خبراء علم الاجتماع الحلقة الأضعف في الشباب العربي وبالرغم من كونها كتلة هامة عدديا إلا أنها تعيش على الهامش في غالبية الدول العربية خصوصا منها تلك التي تشهد حروبا ونزاعات واضطرابات سياسية واقتصادية وأمنية واجتماعية على غرار دول ما يسمى بثورات الربيع العربي، حيث يجد المتسربون من التعليم أنفسهم خارج دوائر السياسة والاقتصاد والمجتمع وأحيانا خارج الإطار الأسري.

وتردد جل الحكومات في الدول النامية أن أهم مواردها هي الطاقة البشرية وأنها تراهن على الشباب وتعتبره ثروتها فهو من يحمل آمال المستقبل وهو العنصر الاجتماعي القادر بطاقاته وقدراته على العمل والإنتاج. وهو برغبته في التطور قادر على التغيير وتحقيق الأفضل له ولأسرته ومجتمعه لكن الواقع المعيش يكشف عكس ذلك.

وبحسب قراءات وأرقام البحوث الاجتماعية والدراسات والإحصائيات الرسمية، فإن هذا الكلام ليس إلا شعارات يرددها قادة الدول وأصحاب القرار كنوايا ووعود سياسية بأغراض انتخابية وغيرها.

ووفق المختصين في الاقتصاد فإنه بجانب تغييب الشباب سواء كان من خريجي التعليم العالي أو المهني أو من المتسربين من التعليم من سياسات هذه الدول فإنه غائب عن خطط التنمية والمشاريع المستقبلية، وإن ذُكر كرافعة للاقتصاد فإن ذلك يظل حبرا على ورق.

ولا نرى في أكثر الدول العربية خططا واضحة ومتبعة تسعى لترسيخ دور الشباب كقوة إنتاج تدفع نحو التقدم والتطور مثلما لا نجد الدراسات والأبحاث التي ترصد وضعه الراهن بشكل تفصيلي وتخصص حيزا من الاهتمام لكل فئاته فتقدم تحليلا عميقا ومحايدا عن واقعه وتدرس أسباب وتداعيات حضوره الكبير في جميع أنواع الآفات الاجتماعية كالإرهاب والجريمة والبطالة التي تؤرق هذه المجتمعات.

غياب الدراسات والبحوث العلمية التي تهتم بالمراهقين والشباب عموما وبالمنقطعين منهم عن التعليم خصوصا يجعل التعاطي مع قضاياهم شموليا واعتباطيا، حيث تنجم عنه استراتيجيات تنموية مختلة التوازن وخطط للإصلاح فاقدة للمصداقية لأنها لم تؤسس (إن وُجدت) على بحث دقيق للأسباب التي تدفعهم نحو الانقطاع عن التعليم ولم تبحث في نمط عيشهم بعد أن يغادروا مقاعد الدراسة.

وتهمل كيفية التعامل معهم من الجهات الرسمية كمصدر للثروة يمكن الاستثمار فيه والاستفادة منه بتوفير بدائل تمكنه من بناء مستقبله دون شهادة علمية.

وبحسب مختصين في علم النفس يواجه المتسربون من التعليم نقصا في الإحاطة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من طرف حكومات بلدانهم، فالشاب بعد أن يغادر مقاعد الدراسة في تونس مثلا لا يجد أمامه بديلا عن الشارع بكل ما يحمله من ضغوط وظروف قاسية ومن مخاطر وآفات.

وهو عرضة كذلك للتمييز والرفض من أسرته ومن المجتمع ككل ومن المشغلين، فينظر إليه نظرة دونية عند مقارنته بأقرانه ممن تابعوا تعليمهم. كما يلقى اللوم عليه منذ البداية دون تفهّم ويصبح موضع اتهام وإقصاء كونه تخلى عن التعليم وتطلق عليه أحكام مسبقة مثل فاشل ومتمرد وأحيانا منحرف، فقط لأنه ترك الدراسة دون فهم ومعرفة الدوافع الحقيقية والتي قد تكون خارجة عن نطاقه واضطرته إلى تركها.

وتقول الدراسات الاجتماعية إن التمييز والإقصاء اللذين تلقاهما هذه الفئة لا يصدران فقط عن المجتمع بل أيضا عن المقربين والأسرة وهو ما من شأنه أن يعقد وضع المراهق أو الشاب المنقطع عن التعليم ويغذي مشاعر النقمة والإهمال والنبذ لديه فيكون فردا منعزلا أو معزولا عن المحيط الأسري والمجتمعي.

ولا يجد بعد النبذ بديلا لحاجته في التواصل والتفاعل المباشر مع محيطه سوى التقوقع في مجموعة تتكون من أفراد إما متسربين من التعليم مثله أو عاطلين عن العمل أو منحرفين، وهو ما يجعله فريسة سهلة للانحراف كما للتطرف والجريمة والانتحار، إلى جانب ضعف مستواه المعرفي والعلمي.

وتؤكد الدراسات الاجتماعية والاقتصادية أن غياب العمل الفعلي من أصحاب القرار على تغيير وضع الشباب المتسرب من المدارس من خلال البحث في الدوافع التي تجعله يختار أو يضطر إلى ترك الدراسة أولا، ومعرفة كيف يعيش حياته اليومية ثانيا، وتحديد المخاطر التي تحدق بمستقبله إن بقي فاقدا للبدائل والخيارات لتأمين مورد عيشه في غياب الشهادة العلمية ثالثا، لن يتيح لها وضع استراتيجيات وخطط كفيلة بإصلاح وضعه بشكل صحيح.

> غياب الدراسات العلمية التي تهتم بالشباب المنقطعين عن التعليم يجعل التعاطي مع قضاياهم اعتباطيا وشموليا

ومن شأن هذه البحوث إن أنجزت أن تفضي لاستراتيجيات فعالة تجعل هذ الشباب عنصرا فاعلا ومنتجا وقادرا على المساهمة في تطوير ذاته وفي بناء مجتمع سليم وتحقيق تنمية اقتصادية لبلاده.

احتواء عدوانية المتسربين يبدأ باستغلال طاقاتهم الشبابية

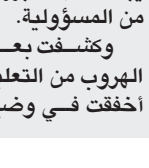

أحمد حافظ
كاتب مصري

❑ **القاهرة** – اعترف عدد كبير ممن تم القبض عليهم في قضايا إرهابية، بأن انضمامهم إلى التنظيمات الإرهابية يعود إلى سهولة إقناعهم بمقولات دينية بأنهم على النهج الخطأ، وإلى رغبتهم في أن يكونوا نافعين وفي أن يحققوا عوائد مالية جيدة. عملية إقناعهم بالدخول إلى هذه التنظيمات تعتبر سهلة على القائمين بها كون نقاط ضعفهم كثيرة ومعروفة.

ولم ينكر أغلب الشباب في التحقيقات التي أجريت معهم أن ثقافتهم المحدودة وضعف مستوياتهم التعليمية بسبب هروبهم المبكر من التعليم، وبسبب الفقر، جعلاهم فريسة سهلة للمتطرفين، وأن عملية إقناعهم لم تستغرق وقتا طويلا، كما أنهم تعرضوا لعمليات غسيل مخ متتالية جعلتهم يؤمنون بما يؤمن به الإرهابيون بلا وعي.

> معايشة المتسربين لظروف صعبة تدخلهم في صراع مع المحيطين بهم، خصوصا عندما يشعرون بالتمييز والعنصرية

هذا من بين المخاطر الناجمة عن التسرب من التعليم، والتي أصبحت من الأزمات التي تواجه الكثير من المجتمعات العربية، ومنها من بدأ يوليها الاهتمام ومنها من لا يزال يبحث عن المبررات التي تسمح له بالتنصل من المسؤولية.

وكشفت بعض الدراسات التربوية أن الهروب من التعليم ينتشر في الدول التي أخفقت في وضع حلول مبكرة لمواجهة مشكلات الفقر والتعليم، ومع الوقت بات المتسربون من المدارس الجزء المظلم في التكوين المجتمعي، نظرا لما ينجر عن تركهم لمقاعد الدراسة وخروجهم إلى الشارع دون مؤهلات من تداعيات خطيرة، تتطلب التعامل بطريقة علمية لاحتوائهم كمدخل للاستقرار والحماية من العنف.

مشكلة بعض الحكومات العربية أنها تؤجل البت في أمر هذه الفئة من المراهقين والشباب، أو أنها تهمل وضع الاستراتيجيات الكفيلة بإصلاح وضعها ولا تبحث بجدية في الأسباب التي دفعتها إلى السير في طريق التسرب، بذريعة أن هناك أولويات أخرى، مثل استقرار الأوضاع السياسية والأمنية، دون إدراك حقيقي بأن السلم المجتمعي يبدأ من توفير وسائل الحماية لهؤلاء الشباب.

ويمكن تفسير تعامل بعض المؤسسات الرسمية مع المتسربين من التعليم على أنهم سقطوا من حسابات حكومات دولهم، بذريعة أنهم اختاروا هذا المسار بأنفسهم، وكأنه يتم معاقبتهم على ذلك بالتهميش، دون النظر والتعمق في دراسة الدوافع التي تقف وراء خروجهم من التعليم، ومن بينها الشعور باليأس والإحباط والفراغ وغياب بوادر الأمل في توفير ضرورات الحياة عبر استكمال التعلم وإيجاد عمل لائق.

وبالرغم من وجود دوافع خارجة عن نطاق الفرد مثل غياب الاستقرار السياسي نتيجة الاضطرابات والصراعات في دول كثيرة حاليا، حيث يكون التسرب نابعا من ظروف قهرية، لكن الخطورة تكمن في اتساعه داخل دول تشهد استقرارا، مثل مصر.

يؤكد البعض من الخبراء أن تردي الأحوال المعيشية وارتفاع نسبة الفقر وصعوبة توفير متطلبات الحياة، في مقدمة الأسباب التي تدفع المراهقين والشباب إلى التسرب، لأن التعليم أصبح في مرتبة لاحقة لدى هذه الفئة وأربابها. وتكمن المشكلة في طريقة التعامل مع الشباب المتسرب، فغالبية الحكومات تتجاهل طاقاتهم ولا تسعى لتوفير وسائل حمايتهم من الانحراف ومن السلوكيات العدائية بسبب الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

وتتشابه السمات الشخصية لهؤلاء الشبان، فأكثرهم يميل إلى التمرد على الواقع، ويتعامل بنقمة مع المحيط والظروف التي أدت به إلى الفقر والتهميش والتسرب ثم البطالة، ولا تكون لديه أهداف ورؤية واضحة لمستقبله، ويعيش حياته بغرض توفير متطلباته اليومية بأي وسيلة.

ويقول خبراء في علم الاجتماع إن اتساع دائرة التسرب التعليمي بين الشباب، يكرس هدر الطاقات البشرية ويوسع دائرة الفقر، ويزيد حالة الاغتراب لديه، ويجعله عاجزا عن توفير احتياجاته الأساسية، وينذر بظهور جيل يتسم بالقسوة والعنف وكل الميول العداونية، ما يعني أن أبناء هذا الشباب سوف يتجهون إلى تكوين أسر على شاكلتهم.

كل ما يهم محمود رمزي (25 عاما)، المقيم في حي المطرية بشمال القاهرة، والذي ترك التعليم من الصف الثاني الثانوي، توفير تكلفة شراء السجائر، حيث لجأ إلى البلطجة على سائقي المركبات في المنطقة، بعدما فشل في العثور على فرصة عمل في شركة أو مصنع، لأنه لم يكمل تعليمه.

ويؤكد محمود لـ"العرب" أنه لا يمانع في الحصول على الأموال بأي وسيلة غير قانونية، ويعتقد أن الحكومة هي التي دفعته إلى ذلك، لأنها زرعت داخله مشاعر الإحباط واليأس منذ الصغر، وجعلت التعليم بلا جدوى، فكان التسرب من المدرسة نتيجة طبيعية لوضعه. ويقول "لن أعلّم أولادي، وكثيرون ممن أعرفهم يفكرون هكذا، لأن توفير متطلبات الحياة أهم من أي شيء آخر، فعملهم يوفر دخلا ماديا. أنا أعرف شبانا يتاجرون في المخدرات وغيرهم يعملون في مهن تبدو شريفة للتغطية على نشاط غير مشروع. نحن لم نجد من يقدم لنا يد العون ويغير مسار حياتنا".

من جانبه يشير أحمد علي، وهو شاب في بدايات العشرينات، إلى أن "أغلب الشبان المتسربين من التعليم ليست لديهم طموحات ويعيشون فراغا قاتلا يدفعهم أحيانا إلى الانحراف ويشعرون بأنهم ضحايا للبيئة التي يعيشون فيها، والتي أهملت قدراتهم وإمكانياتهم ولم تستغلها كما يلزم، كأنهم يريدون عقابنا على ترك المدرسة أو الجامعة".

ويتذكر أحمد أنه عندما تقدم لخطبة فتاة، رفضته أسرتها لأنه لم يكمل تعليمه، ويقول "مشكلة المجتمع أنه يعاقب المتسرب على اختيار مسار حياة مغاير للآخرين، بالاكتفاء بمرحلة معينة من التعليم، وهو ما جعلني أترك المهن الشريفة وأبحث عن المال والثراء بشتى الطرق".

ويجد الشباب المتسرب نفسه ميالا إلى العزلة عن المجتمع، لشعوره بأن المحيطين به يعاملونه كمواطن من درجة ثانية، وينظر إليه أقرانه من المتعلمين على أنه "جاهل ومؤهل ليصبح بلطجيا".

ويقول محمود عبدالفتاح، الذي يعيش في حي شبرا القريب من وسط القاهرة، لـ"العرب"، "نحن لا نخطط للمستقبل، ونعيش حياتنا يوما بيوم، فقط نبحث عن توفير متطلباتنا، مثل السجائر والملابس وغيرها.. مشكلتنا أننا عالة على أنفسنا قبل أسرنا، وفي رأيي إذا أرادت الحكومة احتواء الشباب عليها الاستماع إليه مباشرة".

ويشير علي عبدالراضي، الباحث المصري في علم الاجتماع، إلى أن "عشوائية التعامل مع مطالب الشبان المتسرب، تدفعهم إلى الميل نحو الانحراف وانتهاج سلوكيات خاطئة يشرعونها لأنفسهم، لأن المجتمع جعل خياراتهم محدودة، وبات هؤلاء لا يتعاملون مع الحياة الاجتماعية بمبدأ التعايش، بل بمنطق المصلحة الذاتية والبحث عن المكسب السريع للهروب من دوامة الفقر ومحاولة إثبات الذات وسط شعور بأن كل الأطراف تبادلهم العداء".

ويضيف لـ"العرب" أن معايشة المتسربين لظروف صعبة تدخلهم في صراع مع المحيطين بهم، خصوصا عندما يشعرون بالطبقية والتمييز والعنصرية والتهميش وباستحالة تحسن أوضاعهم وظروفهم المعيشية، وفقدانهم للأمل يجعلهم يلجأون إلى العدوانية والعنف اللفظي والمادي جراء دخولهم في حالة من عدم الرضا على حياتهم تنتج عنها اضطرابات عاطفية.

«ضريبة الزهرية».. معاناة المرأة مع غلاء لا يعرفه الرجال

ارتفاع الأسعار يضع المصريات أمام معضلة مواجهة الدورة الشهرية

الأزمات الاقتصادية العاصفة في مختلف الدول ومن بينها مصر تُخرج المرأة عن صمتها وتدفعها إلى المجاهرة بحاجتها الماسة لإجراءات حكومية عاجلة لتخفيض أسعار الفوط الصحية أو ما يعرف بـ"ضريبة الزهرية"، فالأزمة غذت أزمة وكشفت عن معاناة من نوع آخر تتجدد مع كل دورة شهرية ضحيتها المرأة دون سواها.

سلسبيل صلاح
كاتبة مصرية

❑ **القاهرة** – انتشر على مواقع التواصل الاجتماعي مقطع فيديو أثار جدلا واسعا لمدونة فيديو أوروبية تشكو فيه مما يسمى بـ"الضرائب الزهرية"، وهو مصطلح يستخدمه البعض في وصف تفاوت الأسعار بين منتجات العناية الرجالية والنسائية، وارتفاع سعر الأخيرة فقط لكونها نسائية وزهرية اللون.

أثار المقطع جدلا واسعا بعد انتشاره بين سيدات وفتيات مصريات، وشجع بعضهن للخروج في العلن والإعلان عن سخطهن من ارتفاع أسعار منتجات السيدات الخاصة والأساسية المرهونة بطبيعتهن الفيزيولوجية، والتي يراها المسؤولون ليست سلعا أساسية تحتاجها السيدات بشكل شبه يومي. ويأتي على رأس تلك السلع الأساسية؛ الفوط الصحية للمرأة التي تستخدمها وقت الدورة الشهرية.

ورغم عالمية الأزمة وشكوى الكثير من السيدات حول العالم، تبدو المرأة المصرية، في ظل الظروف الاقتصادية الطاحنة، تواجه التحدي نفسه بشكل أكثر صعوبة، بعد أن ارتفعت أسعار جميع السلع الخاصة بالسيدات، ظنا منهم أنها جزء ترفيهي وتجميلي يمكن الاستغناء عنه.

> المعضلة الحقيقية تكمن في كسر حالة الجمود حول مناقشة قضية تخص الدورة الشهرية للسيدات في المجتمعات العربية، التي ما زالت ترى في ذلك خدشا للحياء

وتظل المعضلة الحقيقية في كسر حالة الجمود حول مناقشة قضية تخص الدورة الشهرية للسيدات، وهي مسألة شديدة التعقيد في المجتمعات العربية، التي ما زالت ترى في مناقشة تلك الأنواع من القضايا أمرا معيبا يخدش الحياء العام.

معاناة متجذّرة

تمتد معاناة النساء على مرّ العصور مع مواجهتهن للدورة الشهرية، فقبل ظهور الفوط الصحية التي تعرفها السيدات الآن، استخدمت النساء أمورا مختلفة لمواجهة دماء الحيض. فاستخدم اليونانيون القدامى الخشب بنفس طريقة السدادات القطنية، لكنهم استبدلوا القطن بقطعة صغيرة من الخشب الملفوفة بالقماش ووضعها داخل المهبل.

أما في العصر الروماني، استعانت السيدات بصوف الخرفان، لكنه كان يسبب العرق والأمراض، فاستبدلوه بأوراق الشجر.

واستخدمت الممرضات أيام الحرب العالمية الثانية الضمادات الطبية كفوط صحية، بعد أن اكتشفن قدرتها الفائقة على الامتصاص. وفي فترات أخرى اُستخدم فراء الحيوانات والأحزمة الملحقة بجزء سفلي والمصنعة خصيصا لدماء الحيض.

وشاع استخدام نبات "الإسفغنون" لأنه يمتص السوائل، عن طريق تجفيفه ووضعه داخل قطعة من القماش. إلا أن الصينيات كن متفردات في محاولاتهن مواجهة مشكلة الحيض، وشاع أنهن استخدمن الرمال والقماش لصناعة فوطة صحية مريحة، بوضع كمية من الرمال داخل قطعة قماش وإغلاقها جيدا واستخدامها، ثم فتحها وإلقاء الرمال وغسل قطعة القماش لإعادة استخدامها.

حملت القصص التاريخية حكايات مثيرة حول سبل مواجهة السيدات لأزمتهن المتجددة كل شهر، كيف عانت المرأة وما زالت من غياب الطريقة المثلى للراحة؟

إعلانات لا تطابق الواقع المادي للمرأة

يعتقد البعض أن تلك الفوط رفاهية يمكن الاستغناء عنها مقارنين إياها بمساحيق التجميل، رغم كون تلك المنتجات الأساسية جزءا من تكوين المرأة ودورة حياتها الطبيعية.

مع ظهور الفوط الصحية بالإضافة إلى التامبونز (السدادات القطنية) المستخدمة حاليا، والتي بدت اختراعا غيّر سيكولوجية الكثير من السيدات في التعامل مع معاناتهن، أضحت النساء يعتمدن عليها كجزء من الاحتياج الضروري الذي لا غنى عنه لمواجهة النزيف الذي يستمر من 3 إلى 8 أيام شهريا.

تحتاج المرأة الواحدة إلى استخدام 3 أو 4 فوط يوميا، على الأقل في خلال اليوم الأول والثاني، ما يعني أنها بحاجة إلى 15 فوطة شهرية أو أكثر، بافتراض أنها سترتدي واحدة فقط يوميا لمدة تمتدّ من 6 إلى 8 ساعات.

تكمن أزمة السيدات المعاصرات مع أسعار تلك المنتجات التي تفرض بعض الدول ضرائب عليها باعتبارها سلعا ترفيهية. ولا تزال نساء كثيرات يخضن المعركة لرفع الضرائب أو لتوفيرها مجانا للنساء غير القادرات.

وتشير إحصائية أجرتها مؤسسة بلان الدولية في بريطانيا أن واحدة من كل 10 فتيات لا يستطعن تحمل تكلفة الأدوات الصحية وقت الدورة. كما أشارت صحيفة "ذا تايمز" الهندية إلى أن 18 بالمئة فقط من النساء الهنديات يستطعن شراء الفوط الصحية.

وحسب صحيفة الغارديان البريطانية، أظهرت دراسة أجريت في أسكتلندا أن النساء يعانين من عدم وجود الفوط الصحية إلى حدّ أنهن يستخدمن الورق والملابس القديمة بدلا منها. ولوحظ في دول عديدة عزوف الفتيات عن الذهاب إلى المدرسة وقت الدورة لعجزهن عن شرائها كالهند وكينيا.

ربما يظن البعض أن المسألة بسيطة بالمقارنة بأزمات اقتصادية أخرى، لكن حجم الاستهلاك اليومي يضع المرأة المصرية في ظل معركتها مع الغلاء أمام تكلفة شهرية لا يمكن تجاهلها. ويبلغ سعر العبوة شائعة الاستخدام، والمكونة من 7 أو 8 قطع، دولارا، وهي أسوأ الأنواع الموجودة، علاوة على حوالي 2 دولار ثمنا للفوط اليومية، أي تحتاج المرأة المصرية العادية محدودة الدخل إلى 4 دولارات شهريا للعناية بجسدها أيام الدورة.

أما أنواع الفوط الجيدة، فضلا عن كونها غير متوفرة في مناطق كثيرة، فهي مرتفعة الثمن نسبيا عن مثيلتها، ما قد يرفع تكلفة الفوط الشهرية إلى حوالي 6 دولارات، دون شراء أي منتجات أخرى، وضعف الرقم في حالة أن تكون الأسرة بها عدد أكبر من النساء، فتصبح الأمور أكثر تعقيدا وتكلفة.

أزمة مصرية

بحسابات بسيطة فإن التكلفة بشكل عام تصل إلى 60 دولارا فما فوق سنويا للمرأة الواحدة، ما يساوي دخل شهر كامل لسيدة متوسطة أو محدودة الدخل في مصر.

كشفت دراسة حديثة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، أن المرأة المصرية أكثر الفئات معاناة من الفقر وتدهور الوضع الاقتصادي.

وأوضحت الدراسة أن معاناة السيدات في مصر نابعة من كون أكثر من 40 بالمئة منهن لا يعملن بوظائف دائمة توفر لهن أموالا خاصة، وهو ما يجعل المرأة الفئة الأضعف لعدم تحقيقها مستلزماتها الأساسية بسبب غياب المادة، كما أن غالبية المطلقات والأرامل يصبحن مسؤولات عن توفير القوت اليومي في حالة غياب الرجل، ما يضعهن تحت ضغط عبء أكبر.

تختار النساء عادة مستلزماتهن الأساسية وفقا لجودة المنتج، ومع ارتفاع الأسعار، تواجه النساء بمفردهن مسؤولية توفير احتياجاتهن الشهرية، وأمام الأزمة الاقتصادية تتضاءل المشتريات.

وكشفت حوارات أجرتها "العرب"، مع عدد من السيدات عن ابتكارات نسائية بدت طريقا لمجابهة ارتفاع الأسعار، فحكت شيماء (27 سنة) عن مراحل تقشفها في شراء الفوط الصحية، وكيف انتقلت من الأنواع المميزة للأصناف العادية في ماركتها المفضلة ثم غيرت النوع الذي تستخدمه بالكامل، ومع موجة الغلاء التالية بدأت في تقليل استهلاكها باستبدال الفوط الصحية في آخر أيام الدورة بقطع القماش داخل المنزل، وهذا ما فعلته مع كل أدوات العناية الأخرى، ماركة أقل ثم تخفيض الاستهلاك.

وقالت تسنيم (32 عاما) إنها استبدلت الأنواع عالية الجودة بالأنواع العادية السميكة، رغم حساسية بشرتها تجاهها، وشعورها بعدم الراحة أثناء ارتدائها، بالإضافة إلى استغنائها عن منتجات الوقاية من الشمس لارتفاع سعرها، واستبدال منتجات العناية والترطيب بنوع واحد من الزيوت المرطبة، والتنازل نهائيا عن المعطرات.

أما صفا (27 سنة) فتوقفت تماما عن استخدام الفوط اليومية داخل المنزل بعد أن اعتادت على استخدامها طوال الوقت، وبالنسبة للفوط الشهرية، بدأت التفكير في استخدام فوط القماش داخل المنزل لكنها لم تبدأ بعد. وبدت طريقة سارة (22 سنة) وهي أم لطفل، الأغرب على الإطلاق من بين جميع السيدات المتقشفات، فقد استعانت بحفاضات الأطفال، بعد أن وجدتها تتحمل لوقت أطول ولا تسبب الحساسية، بالإضافة إلى استخدام المناديل الورقية بدلا من الفوط اليومية.

لم تكن سارة وحدها أول من بدأت تلك الطريقة الجديدة، لكن هناك سيدات اخترن الحفاضات بعد أن وجدن أنها أرخص، مقارنة بالفوط، وأكثرها قربا لراحة وجودة الفوط الصحية.

لم تتوقف الحالة التقشفية التي بدأتها السيدات عند الفوط الصحية، بل امتدت لتشمل كل ما يخص المرأة من منتجات، فوفقا لما صرحت به هبة (27 سنة) لـ"العرب"، فإنها استبدلت أغلب منتجات التجميل والعناية بالبشرة بمنتجات طبيعية مثل قشور الفواكه وزيوت النباتات، واتجهت إلى اقتسام بعض المنتجات مع زوجها مثل غسول البشرة ومعجون الأسنان.

حل الأزمة

تبقى أزمة توفير مستلزمات الدورة الشهرية مشكلة عالمية تؤثر على النساء في دول متفرقة، وباتت أزمة تؤرق مصريات كثيرات في ظل عدم الاهتمام بمشكلاتهن بعد أن طغت الأزمة الاقتصادية على كل المنتجات والسلع الأساسية.

وبدت الاستعانة بتجارب عالمية لمواجهة الأزمة أو التخفيف من صعوبتها، ابتكارا مقبولا بعد أن ظلت الحلول التي سعت إليها السيدات، من تقليل الجودة واستبدال الفوط بأخرى، غير مناسبة وتشي بالكثير من العيوب.

وابتكرت سيليا هودسون فكرة جديدة لتوفير الفوط الصحية لمحدودي الدخل في بريطانيا عن طريق إنشائها شركة هاي غيرلز، لخدمة هدف واحد وهو مقاومة عوز مستلزمات الدورة الشهرية.

وتقوم الفكرة عن طريق بيع منتجات الحيض عبر الموقع الرسمي، وفي مقابل كل عبوة تقوم بشرائها، يتبرع الموقع بعبوة أخرى لصالح امرأة بحاجة إليها في بريطانيا.

وقالت هودسون لموقع "ستاندرد" البريطاني إنه بالإضافة إلى الفوط الشهرية توفر الشركة مصادر تعليمية تهدف إلى مساعدة الفتيات البريطانيات على التعامل مع حيضهن بطريقة سليمة.

وقدمت الهند صورة مختلفة لحل الأزمة، بعد أن قررت الحكومة في يوليو الماضي إلغاء الضريبة التي أقرتها على الفوط الصحية، بعد احتجاجات شعبية دشنها نشطاء وحقوقيون لإلغاء الضرائب، وأطلقوا عليها "ضريبة الدم".

ولقي القرار استحسانا واسعا، واُعتبر خطوة هامة نحو تمكين النساء وإزالة العقبات التي يواجهنها، خاصة فتيات المدارس اللاتي كن يمتنعن عن الذهاب إلى المدرسة لعجزهن عن شراء الفوط الصحية.

وسلكت تنزانيا طريقا شبيها بما فعلته الهند في الشهر نفسه، وفي الخطوة نفسها، حيث قامت بإزالة الضرائب المقررة على سلع الحيض بعد مجهود طويل من المؤسسات المعنية بالأمر. ووعد الرئيس يوري موسيفيني في أوغندا، في خضم سباق الانتخابات الرئاسية 2016 بتوفير الفوط الصحية لفتيات المدارس، لكن وعده لم ينفذ حتى الآن.

تبدو التحركات النسوية العالمية للتوعية بتلك الأزمة والمطالبة بالتسهيل على السيدات، مدخلا لتحريك المياه الراكدة في دولة مثل مصر، تبدأ بالتوعية أولا بأهمية تلك الأنواع من السلع، كونها جزءا من احتياج المرأة الأساسي، الذي يحتاج إلى دعم كامل وسريع.

الفوط الصحية تفضح السياسة الإقصائية للمرأة

شيماء رحومة
كاتبة تونسية

❑ يعتبر الحديث عن بعض المستلزمات النسائية على غرار الفوط الصحية من المحظورات التي تفقد المرأة العربية حياءها وتشبّهها بنظيرتها الغربية. وفي تناقض غريب نجد أن جل المجتمعات تسوق لهذا المنتج عبر ومضات إعلانية منتشرة كيفما اتفق بشاشاتها الصغيرة وعلى طول شوارعها المكتظة.

الإعلانات اعتراف مبيّت يمثل سك عبور للترفيع في أسعار الفوط الصحية مكفول بصمت نسوي يضع المجاهرة بالتنديد بمثل هذه السياسات الاقتصادية في خانة العيب. لذلك كان من بين الإجراءات التي تضمنها قانون المالية التونسي لعام 2018 الزيادة في أسعار عدة منتوجات منها مواد التجميل.

لم يتم تحديد قوائم بهذه المواد أو نسبة الزيادات، إلا أن المرأة التونسية اختبرت هذه الزيادة في أسعار الفوط الصحية واقعا ملموسا في التضارب بين أثمان الفضاءات التجارية الكبرى والمحلات الصغرى.

وصف بعض المحللين الاقتصاد التونسي منذ مطلع 2018 بأنه يقف على صفيح ساخن، نظرا إلى ظهور بعض الحركات الاحتجاجية المنددة بغلاء المعيشة، وهذا ما يضع المرأة تحت طائلة ضغوط أكبر لأنها تحتاج مستلزمات خاصة بمنأى عن بقية العائلة، وهذا المصروف الإضافي أحيانا يمثل عبئا ينضاف إلى أعباء الميزانية العائلية.

هذا العبء قد يشكل مبررا لحصول الأنثى على مساندة ذكورية تقف معها جنبا إلى جنب وتطالب معها بضرورة المقاطعة إلى حين النظر بتمعن عند إعداد قوائم مستقبلية بالمواد التي يتوجب الترفيع في أسعارها، فلا أظن أن مقترح الزيادات دُرس بشكل مفصل أبعاد وخلفيات الزيادة في سعر الفوط الصحية وتبعات ذلك على العائلة.

هناك نوع من المغالطة الذكورية صَاحب الترفيع الذي طال مواد التجميل، عمد إلى التلميح الضمني بأن المرأة التونسية تستهلك كميات كبيرة من المساحيق وهذه العقلية مستهلكة في المجتمعات العربية حد التقصير في حق نسائها.

وعلى الرغم من تميز المرأة التونسية بالانفتاح والوعي، فإنها لا تزال صامتة في وجه هذه السياسات الإقصائية التي لا تُولي اهتماما باحتياجاتها الخاصة.

وفي الوقت الذي تواجه فيه حكومة دولة مثل أستراليا ضغوطا لإلغاء ضريبة السلع والخدمات التي تبلغ عشرة بالمئة على الفوط الصحية، لا تزال عدة دول أخرى غير واعية بعد بحجم الضغوط النفسية التي تواجهها المرأة شهريا مع كل دورة، حيث أصبح هاجس البحث عن متاجر تطرح الفوط بأسعار أقل من نظيراتها بالسوق شغل التونسية الشاغل أكثر من حرصها على اقتناء مثل هذه المستلزمات الخاصة من محلات تشغل موظفين من النساء.

ليس هذا فحسب بل إن بعض القراءات الراهنة للوضع الاقتصادي ككل أظهرت أن المرأة التونسية غير راضية، وبالحديث إلى بعض الصديقات تبيّن أن قضية الترفيع في أسعار الفوط الصحية يعد من ضمن الأشياء التي تورقهن وتشغل بالهن، مؤكدات أنهن صرفن النظر عن شراء الفوط ذات الجودة العالية، وألمحن إلى أن الزيادة في الأسعار صاحبها إغراق السوق بفوط صحية متشابهة فقدت جودتها المعتادة، مما لا يتناسب بالمرة مع ثمنها الحالي.

وهذا ما يكشف أن المرأة التونسية تعاني نوعا من التهميش الضمني لا يكاد يختلف كثيرا عما تعانيه بعض النساء في دول أخرى بشكل علني، فالزيادة مع غياب مراعاة الجودة تفضي إلى نتيجة واحدة عدم الاهتمام بصحة المرأة لأن بعض الفوط الصحية تسبب مشاكل كالحكة والالتهاب وغير ذلك من الإفرازات التي من الممكن أن تعاني منها المرأة بمكان حساس من جسدها، وتجعلها عرضة لعدة أمراض، بالإضافة إلى إرهاق جيبها بمصروف إضافي لشراء الأدوية المناسبة للتخلص من تبعات الفوط غير الصحية.

تكابد المرأة شهريا مخلفات سياسة لم تراع احتياجاتها كفرد أساسي في التركيبة المجتمعية، بالمقابل تبارك النساء هذا الخلل بصمتهن.

هل يمكن المفاضلة بين الزواج الثاني ونزوة الزوج

نزوات الزوج تعرّض جميع أفراد الأسرة للضرر

تطالعنا بين الفينة والأخرى على مواقع التواصل الاجتماعي أخبار عن قيام إحدى الزوجات بمشاركة زوجها اختيار زوجة جديدة له، ومباركتها لكل مراسم هذه الزيجة وحضور الفرح والرقص مع ضرتها، وتؤدي هذه الأخبار إلى تباين آراء الناشطين على الفيسبوك وتويتر واختلاف ردود أفعالهم.

سلمى جمال

شرخ لا يمكن إصلاحه

❏ ترى بعض الزوجات أن الزواج الثاني للزوج يغلق الباب أمام خيانته وما يمكن أن ينتج عنها من آثار تهدد مستقبل وحياة أبنائه وزوجته الأولى، كما يمكنهن استرداد الزوج واعتبار الأمر مجرد نزوة عارضة.

وتقول هالة السيد، موظفة وزوجة "من الصعب جداً أن تقدم أي امرأة تحب زوجها على مثل هذه الخطوة، فكيف تسمح لامرأة أخرى أن تشاركها مشاعره واهتمامه، ولو حدث أنّ زوجي سقط في نزوة، فهذا يدل على تقصيري تجاهه، وهذا التقصير يحتاج مني إلى معالجته بحكمة، لأنني لا أقبل مبدأ انحراف زوجي عن طريق زواجه بأخرى".

وتتفق مع الرأي السابق نبيلة محمود، ربة بيت، حيث تقول "مبدأ الاختيار بين انحراف الزوج أو زواجه بامرأة ثانية مرفوض تماماً، لأنني قادرة على الحفاظ على زوجي واحتواء نزواته أو شعوره بالملل من روتين الحياة الزوجية، من خلال قدرتي على تغيير نمط الحياة الزوجية.

وتضيف لقد مررت بهذه التجربة منذ فترة إذ لاحظت إعجاب زوجي بزميلة جديدة له في العمل، فذهبت لزيارتها وراقبتها جيدا في تصرفاتها وأفعالها وشكلها وغيرها من الأشياء التي قد تكون جذبته إليها، وبدأت أقلدها في تسريحة شعرها وأسلوب حديثها وكان ذلك كفيلا بحل المشكلة دون أي خسائر، والعجيب أن زوجي بنفسه بدأ يطلب مني زيارته في مقر عمله ليعرفني على أي فتاة جديدة من آن لآخر".

> الزوج الخائن يزدريه المجتمع وينتقل هذا الازدراء إلى أبنائه فيلحق بهم عار أبيهم خصوصا عندما يصلون إلى سن الزواج

وترفض محاسن عبدالحليم، أخصائية اجتماعية بشدة الزواج الثاني، لأن ذلك معناه تواجد امرأة في حياة زوجي لها نفس حقوقي ونفس مكانتي عنده، ولكن النزوة شيء مؤقت وسرعان ما يشعر بتفاهة هذا النوع من العلاقات ويعود لي ثانية، ولكن زواجه بامرأة أخرى لا يعني إقلاعه عن هذه النزوات إلى الأبد، وربما يعود إلي مع امرأة ثالثة ورابعة، فهل أزوجه من كل امرأة ينظر إليها. أما ريهام جعفر، محاسبة، فتقول "زوجي من الشخصيات العنيدة فإذا أصر على فعل ما فلا يثنيه عنه أي شيء وتحت أي ظرف، وإذا قرر الزواج من امرأة ثانية فلا بد وأنه سيفعل، ولو أخبرته أنني أقبل نزواته بديلا عن الزواج فلن يستمع إلي، أو ربما يشك في، ومن هنا فالحل الوحيد هو أن أقبل زواجه بأخرى، وحبذا لو سمح لي بأن أختارها له حتى أتأكد من مدى توافقنا معا في ما بعد".

تفيد وفاء نورالدين، زوجة، أن الزواج الثاني كالدواء المُرّ في البداية، ولكنها سوف تعتاد عليه بمرور الوقت، أما عن الخيانة فهي جرح لا ينسى لكرامة الزوجة وشرخ لا يمكن إصلاحه ولا مبرر له؛ لذلك فالزواج أفضل عندي من الخيانة، خاصة للحفاظ على صورة زوجي أمام أبنائي، فالزواج الثاني شرّعه الله، أما الخيانة فلا مبرر لها من الناحية الدينية أو الأخلاقية.

أما ف.م فتقول "الزواج الثاني سكين في قلب الزوجة الأولى لأنه من الصعب على المرأة تقبل فكرة الزوجة الثانية بسهولة وخاصة لو كانت شريرة أو متسلطة، أما النزوة فهي أشبه بوخزة الإبرة تؤلم لفترة ولكن سرعان ما يلتئم جرحها ويطيب.. خاصة وأن أي رجل يحب أن يمارس بعض المغامرات من آن لآخر، وأحياناً يريد بذلك أن يستثير غيرة زوجته".

ولكن السيدة م. س تقول "لو تزوج زوجي من امرأة غيري قد يستسهل لعبة الزواج فيتزوج بثالثة ثم برابعة وخاصة أنه ثري، والمشكلة في ما بعد الزيجة الرابعة فربما تحلو في عينيه امرأة أخرى فيطلقني ويتزوجها وتدور الدائرة بلا توقف وقتها أكون خسرته للأبد، ومن هنا فالنزوة أفضل كثيرا حتى لو تكررت لأنها الأضمن لي ولمستقبل أبنائي".

وتوافقها الرأي ص.أ فتقول "لا أضمن الزوجة الجديدة فقد تمتلك قدرا من الشباب والجمال فتضغط عليه ليطلقني لتصبح هي السيدة الأولى والوحيدة في حياته فكيف أوافق على زواجه أصلاً وأضع نفسي في هذا الموقف أما النزوة، فسوف يخجل من الاعتراف بها أمام الناس والمجتمع وبالتالي تنتهي بمرور الوقت".

وعن تفسير علم الاجتماع لتباين موقف الزوجات يقول الدكتور جمال صبحي الخبير الاجتماعي بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية بالقاهرة "النساء يختلفن في شخصياتهن ولذلك تختلف قراراتهن في هذا الموضوع، فالبعض يفضلن نزوات الزوج دون الزواج اعتقادا بأنّ النزوة عادة ما تحدث في الخفاء، ولا بد أن تنتهي يوماً ما وتزول آثارها نهائياً دون أن تؤثر على الاستقرار الفعلي للأسرة، والبعض الآخر يرى أن هذه النزوات تعرض أفراد الأسرة جميعا للضرر وخاصة الأبناء والبنات، فالزوج الخائن يحظى بازدراء المجتمع وينتقل هذا الازدراء إلى أبنائه وبناته فيلحق بهم عار أبيهم في كل مكان وخاصة عندما يصلون إلى سن الزواج".

ويتابع صبحي "ومن خلال الواقع والتجارب العملية ثبت أن المسألة نسبية ولا يمكن المفاضلة بين الزواج الثاني والنزوة أو تحديد أيهما يؤدي إلى انهيار الأسرة، فكل حالة لها ظروفها المختلفة، فالنزوة ربما لا تنتهي سريعاً كما يتوقع البعض وربما تتحول إلى زواج، وثبت أنّ بعض النزوات كالمخدرات بالنسبة لبعض الأزواج، لا يستطيع بسهولة الإقلاع عنها وتصبح بمرور الوقت عادة بينما الزواج من المرأة الأخرى وإن كان مُرّاً فهو الحل الأكثر قبولا من جانب المجتمع، خاصة وأنه لا يتعارض مع الشرع طالما تحقق شرط العدل بين الزوجات، بينما الزنا فلا خلاف على حرمته بكل درجاته وأشكاله".

كما يرى أنه على الزوجة أن تكون على وفاق مع زوجها وتحيطه بالحب والاهتمام الدائم حتى لا يفكر في نزوة أو زيجة.

المسنون.. الفئة الأضعف والأكثر معاناة

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ كل المراحل العمرية التي يعيشها الإنسان لها دلالات مميزة سواء في حياته الخاصة على مستوى فردي أو حياته الاجتماعية التي تجمعه فيها بمن حوله علاقات عمودية وأفقية في إطار التفاعل وتقاطع المنافع والمصالح. ولكن المقياس الحقيقي لمدى تكاتف وتلاحم النسيج المجتمعي على مستوى الأفراد والأسر والجماعات، يتجلى في مرحلة الشيخوخة والتي يقع وسمها بـ"مرحلة اليأس" على اعتبار أنها المرحلة الأقرب إلى العجز وعدم القدرة الذهنية والنفسية والجسدية.

فمنطق الأمور يحتّم أن أي سياسة أو أي اقتصاد أو أي صحة أو أي رعاية في أي مجتمع كان، لا تعنى بالضرورة عناية شديدة الخصوصية بهذه الفئة العمرية، فهي عقيمة ولا جدوى منها، لأنّ التقييم المنطقي لهذه المرحلة العمرية لهذه الفئة من الناس يجب أن يُثمّن إنجازاتها وتضحياتها ومجهوداتها في إرساء القيم والرخاء المادي.

ما جرنا للحديث عن المسنين معاناتهم الدائمة في مجتمعات أصابها الجحود وطغت عليها المادة والأنانية، حتى استفحلت الظاهرة وأصبحت من المواضيع الاجتماعية التي تثير كثيرا من الجدل في ظلّ تباين المواقف الفردية والأسرية والاجتماعية من الظاهرة، ولعلّ التغييرات التي شهدتها البنى الاجتماعية على اختلافها ساهمت بدرجة كبيرة في معاناة هذه الفئة من الناس.

من الأسباب الرئيسية لمعاناة المسنين الوحدة وفقدان السند المعنوي والمادي، اللذان كانا نتيجة طبيعية لتفكك النسيج الأسري التقليدي الذي كان ينضوي فيه الأجداد والآباء والأحفاد تحت نفس السقف في تآلف نفسي ومعنوي واقتصادي يخضع بالضرورة لكبار السنّ، وهو أمر في غاية الأهمية خاصة على المستوى النفسي بحيث يشعر الشيوخ والعجائز بأنهم الفاعلون في حياة أسرهم بالمشورة أو أخذ القرارات والبرمجة المستقبلية.

فإذا ما استقر الأبناء في أسر فرعية مستقلة استقلالا ماديا ومعنويا فإن الوالدين يعيشان الوحدة المطلقة وخاصة عند وفاة أحدهما، ويضمحلّ التفكير والشحنات الإيجابية التي تدفع إلى الأمل في الحياة، مع تفشي أمراض الشيخوخة أيضا ولعل أبرزها السكري وضغط الدم وألم المفاصل وهشاشة العظام وضعف الذاكرة والمناعة.. وهذا كله يمكن أن يُحتمل إذا ما توفرت الإمكانيات المادية اللازمة لتوفير متطلبات العيش من مأكل ومشرب وملبس وخاصة توفير الأدوية والعناية الصحية.

في ما يخصّ الإهمال الأسري، أصبح من الطبيعي في أيامنا هذه أن يعمد بعض الأبناء إلى إيداع آبائهم أو أمهاتهم في دور المسنين، ليس بسبب العوز وقلة ذات اليد ولكن للتخلّص من أعباء العناية المادية وخاصة العناية النفسية والمعنوية، وكأن كبار السنّ سيعطلون الدورة الطبيعية لحياة أبنائهم. إنهم فقط كانوا جاحدين لحجم التضحيات التي قدموها من أجل رعايتهم والإحاطة بهم ومرافقتهم ليشقوا طريقهم في الحياة. إنهم بكل بساطة لم يستوعبوا أن كبار السن يحتاجون إلى رعاية خاصة جدا كرعاية الأطفال الصغار لسدّ النقص المتأتي عن الضعف الذهني والجسدي وأن نفسياتهم شديدة الحساسية، يتأثرون لأبسط الأشياء سلبا وإيجابا. إن الأولاد يضحون بكل بساطة بآبائهم للتخلص من الأعباء المترتبة عن رعايتهم. وكما يقول المثل الشعبي التونسي "أولهم صغار وآخرهم صغار" حيث تبدأ الحياة بالعجز وتنتهي بالعجز أيضا.

أمّا الإهمال الاجتماعي فهو أشدّ وطأة على نفوس المسنين فاقدي السند العائلي والاجتماعي، فكم طالعتنا صور لهؤلاء تدمي القلوب وهم نيام كالأموات في العراء يتوسدون أديم الأرض ويلتحفون السماء في القيظ الحار أو البرد القارس، فإذا كان هناك أطفال الشوارع بلا مأوى ولا سند فهناك أيضا مسنو الشوارع والفرق بينهما أن الفئة الثانية أقل قدرة على الصمود والتحمّل، في ظلّ انعدام أدنى مقوّمات العيش الطبيعية -لا مأوى ولا مأكل ولا ملبس ولا عناية صحية- كيف بإمكان هؤلاء أن يستمروا في هذا الوضع المزري؟

لا أعتقد في أي مجتمع كان أنه لا وجود لبرامج فعلية لاحتضان المسنين ولكن معاناة هؤلاء لم تنقطع أيضا بل استفحلت في بعض المجتمعات وأعتقد أن الأمر يعود إلى عدم وضوح الرؤية في احتضان المسنين لا داخل عائلاتهم فقط ولكن داخل فضاءات المجتمع بالنسبة للذين يفتقدون إلى أي سند معنوي أو نفسي. يجب على البرامج ذات الأبعاد الاجتماعية والصحية لاحتضان هذه الفئة أن يقع النأي بها عن كل التجاذبات الحزبية والسياسية وألا تكون عنوانا لأي مزايدات أو "أفيش" أو شعارا لأي غايات وأهداف انتخابية من أجل احتلال المناصب.

من الضروري أيضا القيام بحملات توعوية في فضاءات الناشئة كالمدارس لتعليم الصغار، بأن الكبار يمثلون رأس مال من التضحية والتجربة، وأنهم يمثلون الفئة الأضعف في المجتمع وأنهم محتاجون أكثر من غيرهم إلى العناية والرعاية والإحاطة النفسية والصحية والمادية. بذلك فقط تكتسب المجتمعات سمة "التكافل الاجتماعي" وهو ما من شأنه أن يقوي الروابط والعلاقات داخل العائلات وخارجها.

طبق اليوم

معجنات البطاطا والجبن

* **المقادير:**
- العجينة: حبة البيض
- 3 أكواب ونصف دقيق وكوب ونصف حليب
- نصف ملعقة كبيرة سكر
- ملعقة صغيرة ملح وملعقة كبيرة خميرة جافة و3 ملاعق كبيرة زبدة و2 حبات بيض وحبة بصل و3 فصوص ثوم مفروم
- كوب جبنة شيدر ونصف كيلوغرام بطاطا مسلوقة وكوب ونصف جبن موزاريلا.
- نصف ملعقة صغيرة ملح وفلفل أسود حسب الرغبة وربع كوب كزبرة مفرومة.

* **طريقة الإعداد:**
- لإعداد الحشو تجمع مقادير الحشو مع بيضة واحدة، ويحتفظ بالأخرى للدهن.
- لإعداد العجينة يخلط الحليب الدافئ في وعاء كبير مع الخميرة والسكر، ويترك 5 دقائق حتى تنشط الخميرة، يخفق خليط الخميرة مع الزبدة المذوبة والملح والبيض، ويضاف الطحين تدريجياً، حتى تتشكل عجينة ناعمة.
- تدعك العجينة 5 دقائق حتى تصبح مرنة القوام، ثم تنقل إلى وعاء مناسب وتغطى، وتترك ليتضاعف حجمها لمدة ساعة واحدة.
- تعجن العجينة قليلا، ثم تقطع لحوالي 16 قطعة، وتلف بشكل طولي ويوضع فيها الحشو، ويحكم إغلاقها.
- توضع القطع في طبق فرن مجهز بورق الطبخ، ثم يدهن سطحها بمخفوق البيض، ثم تترك ليتضاعف حجمها بين 40 و30 دقيقة.
- تخبز معجنات البطاطا والجبن في فرن على درجة 180 درجة مئوية لمدة نصف ساعة.

موضة

«مرابع العين» يجمع بين الكلاسيكية والحداثة

❏ ساهمت العروض المتنوعة التي تم تقديمها في النسخة الرابعة من المعرض الملكي "مرابع" في مدينة العين الإماراتية على مدار 3 أيام متتالية، بدعم عروض أزياء نخبة من المصممين المعروفين والواعدين من أنحاء الشرق الأوسط.

وحرصت المصممة الإماراتية العالمية منى المنصوري من خلال دار أزيائها على اتباع خطها المرسوم في تصميم عباءات فساتين السهرة، والأعراس، والقفاطين المغربية ورفيعة المستوى كلوحة فنية تحتاج إلى إضافة رتوش جمالية، تعيد نبض الحياة إلى كل قطعة دون أن تفقد ملامحها وهويتها الإماراتية، تتقن مهارة الإبداع والإتقان الحرفي لنسيج تراثي مغرق في السحر، لتحمل بين طياتها، في كل موسم، عباءات عبقة بطعم الأصالة والموروث لأكثر من 25 عاما، وتعكس ذوق المرأة العربية والخليجية.

وتمثل مجموعتها المعروضة احتفاء بالأنوثة الحديثة واستكشافا لمجموعة من الأساسيات الجديدة كخطوة متقدمة من خلال إدخال مجموعة ألوان أكثر عمقا وكثافة، واللعب بالأقمشة للحصول على مجموعة متضادة مبتكرة تتسم بالكلاسيكية والحداثة.

موسم «فضائي» ساخن في الدوري المصري

شوبير يعود إلى الأستوديوهات التحليلية وشلبي نجم الموسم كأغلى صفقة

حركة التغييرات التي طرأت على بعض القنوات بالتعاقد مع مذيعين ومحللين جدد –فضلا عن دخول قناة نادي «بيراميدز» إلى السباق– خطفت الأنظار من المنافسات التي تجرى على المستطيل الأخضر، لأن القناة الجديدة استعانت بمدراء فنيين لأندية منافسة، للعمل في الأستوديو التحليلي، وهو ما أثار جدلا واسعا. لتكون ساحة الإعلام الرياضي مع بداية الموسم الكروي في مصر أكثر جدلا من سوق الانتقالات الصيفية للاعبين.

عماد أنور

صحافي مصري

القاهرة – لم تكن ساحة الإعلام الرياضي مع بداية الموسم الكروي في مصر أقل سخونة من سوق الانتقالات الصيفية للاعبين، بل إن حركة التغييرات التي طرأت على بعض القنوات بالتعاقد مع مذيعين ومحللين جدد –فضلا عن دخول قناة نادي "بيراميدز" إلى السباق– خطفت الأنظار من المنافسات التي تجرى على المستطيل الأخضر. ويوحي أداء القناة بأنها تسعى للسير خلف ركب "موضة الحصريات" التي تسيطر عليها قنوات "بي إن" الرياضية القطرية منذ سنوات، إضافة إلى البحث عن التميز بمشاركة نجوم عالميين في الأستوديوهات التحليلية، ما يرهق القنوات المنافسة، إذا أرادت تقليدها.

وباتت قناتا "أون" الرياضية وبيراميدز طرفين أساسيين في المنافسة في الإعلام الرياضي للموسم الكروي الجديد، ورغم حداثة عهد بيراميدز التي انطلقت مع انطلاق الموسم، فإن ملاكها العرب لديهم من المال ما يمكّن من استقطاب ألمع الأسماء، من مقدمي البرامج والمحللين الفنيين، ما تسبب في حالة من الهجوم على من تعاقدوا للعمل في القناة، بزعم أنه تم شراؤهم بالمال.

وزاد الهجوم تحديدا على من تعاقدوا مع القناة للعمل كمحللين، بجانب عملهم كمدربين لأندية بالدوري الممتاز، أي أنهم يعملون حاليا في قناة تابعة لناد منافس، ما قد يحرمهم من الشفافية المطلقة في عرض وتفنيد الأخطاء في مباراة يكون نادي بيراميدز أحد طرفيها، كما استقطبت القناة عددا كبيرا من الصحافيين العاملين في المجال الرياضي، ما وضعهم في حرج بالغ حتى طالهم الاتهام بأنهم أصبحوا ملكا للنادي. وتعتبر قناة بيراميدز ثاني قناة في مصر مملوكة لناد رياضي، بعد قناة النادي الأهلي، ويواصل نادي الزمالك محاولاته لإطلاق قناته الفضائية، ولو بشراء ساعات للبث على إحدى القنوات الموجودة بالفعل، لإدراك مسؤولي الأندية أهمية وجود ذراع إعلامية، بعد أن أصبحت الصحف المملوكة للأندية وسيلة من الماضي.

وعلمت "العرب" أن نادي الزمالك كان قد اقترب من إطلاق قناته، إلا أن رغبة رئيس النادي مرتضى منصور في الظهور بشكل يومي على الشاشة للرد على منتقديه، كانت مجل خلاف مع معاونيه من الإعلاميين، ما أخّر الخطوة، لأن ما يرغب فيه منصور ليس من مهام رئيس النادي، وبلغة السوق الإعلامية سوف يتحول بمرور الوقت إلى "كارت محروق"، ولم يستفد منصور من درس الرؤساء الذين حكموا النادي

لعل وجود شوبير قطع الطريق أمام الإعلامي سيف زاهر، عضو اتحاد الكرة المصري، في أن يصبح النجم الأوحد بالقناة بعد رحيل شلبي، ومن المنتظر أن تكون المنافسة حامية

مدحت شلبي ينتظر منافسة شرسة

الأهلي، فلم يترددوا على قناتهم منذ تأسيسها إلا في مرات نادرة. وتهتم قنوات الأندية بالدفاع عن وجهة نظر النادي والدفاع عنه ضد أي هجوم، ويتحول دورها في أحيان كثيرة إلى الدور الذي يقدمه اللاعبون داخل الملعب، بالدفاع أو الهجوم، إضافة إلى امتلاكها إذاعة تدريبات فريق الكرة الأول والمعسكرات الخارجية حصريا، وهي مادة تلفزيونية تجذب انتباه الملايين من المشاهدين، ممن يعشقون مثل هذه التفاصيل، خصوصا إن كانت لأندية في حجم الأهلي والزمالك.

تضارب اختصاصات

إذا كانت قنوات الأندية تعتمد في الأساس على فرق عمل من أبناء النادي فليس من الطبيعي أن يعمل أحد المذيعين في قناة تابعة لناد ما ويتقاضى منها أجرا، ثم يقوم بانتقاد أداء فريق الكرة بالنادي، ويزداد الأمر صعوبة إذا كان ذلك المذيع يتولى منصب المدير الفني لفريق منافس، غير أن الأمر يسير بصورة طبيعية في الفضائيات الرياضية بمصر، ويمتلك كل ضيف مبررات تدفعه إلى قبول هذا العمل، متسلحا بإدعاء الحياد في تحليله الفني.

وعوّضت قناة بيراميدز حداثة عهدها وفقدها وجود عناصر من أبناء النادي، الذي تأسس تحت مسماه القديم "الأسيوطي" في عام 2008، وهو ناد ليس له شعبية في الشارع الكروي المصري، أو بالأصح هو أحد أندية الظل، ولجأت القناة إلى استغلال خزانتها الممتلئة لاستقطاب عدد من أصحاب الأسماء الرنانة في الإعلام الرياضي والتحليل الكروي.

وتتنافس بيراميدز حاليا مع القناة الرياضية البارزة على الساحة وهي قناة "أون سبورت"، بينما تبتعد قناة الأهلي تماما عن المنافسة، كونها تقدم برامج خاصة بالنادي، ولا تملك حقوق بث مباريات الدوري، لذا تفتقد ميزة وجود أستوديو تحليلي وهي فقرة يفضلها أغلب الجماهير، ولعل انحصار المنافسة بين أون وبيراميدز دفع كل منهما إلى التعاقد مع نجوم جدد، ما جعل الجمهور في حالة ترقب ومقارنة بين ما يقدمه نجوم كل أستوديو تحليلي.

تعاقدت القناة الجديدة مع الإعلامي مدحت شلبي بمبلغ قدره مليون و250 ألف دولار (أي ما يزيد عن 25 مليون جنيه) سنويا، بعد أن ترك شلبي قناة أون سبورت، في حين استقطبت قناة أون سبورت الإعلامي أحمد شوبير، وهو لا يقل نجومية عن شلبي، بل إن الثنائي هو الأبرز والأكثر مشاهدة في الإعلام الرياضي المصري.

ويفضل نجوم الكرة السابقون العمل كمحللين فنيين لمباريات كرة القدم، وهذا ما دفع أحمد شوبير، حارس مرمى النادي الأهلي ومنتخب مصر سابقا، إلى ترك قناته السابقة "صدى البلد" والرحيل إلى قناة متخصصة، ما يعيده إلى أسلوبه القديم، وقد استغلت القناة أيضا إعلان نجم النادي الأهلي عماد متعب اعتزاله، ووقعت معه عقدا للعمل ضمن طاقة الأستوديو التحليلي، وكلها أمور يتبعها ملاك هذه القنوات أو المسؤولون عن إدارتها لاستقطاب أكبر عدد من المشاهدين وإثبات الأفضلية والتفوق على أي قناة منافسة.

بين نارين

المدهش هو تعاقد القناة مع مدراء فنيين لأندية منافسة، وهم المدير الفني لفريق نادي سموحة علي ماهر، والمدير الفني لفريق نادي المصري البورسعيدي حسام حسن، وشقيقه إبراهيم مدير الكرة بالنادي، وتعاقدا مع القناة بمبلغ مليون ونصف المليون دولار، مقابل تقديم برنامج "التوأم"، إضافة إلى عملهما في الأستوديو التحليلي، فضلا عن التعاقد مع اللاعبين السابقين رضا عبدالعال وأحمد حسام "ميدو"، كما استقدمت القناة البعض من نجوم الكرة العالميين السابقين، للمشاركة في تحليل المباريات مثل النجم الإنكليزي جون تيري.

وهنا يثار سؤالان، الأول حول موقف هؤلاء النجوم عند تواجدهم في الأستوديو لتحليل مباراة يكون بيراميدز أحد طرفيها، والثاني أن وجود نجوم كرة عالميين في أستوديو تحليلي لمباراة محلية في مصر أمر يمكن فهمه ضمن التباهي واستعراض العضلات، لأن هؤلاء النجوم لا يملكون معلومات كافية عن كرة القدم في مصر، وهذا طبيعي لأن مباريات الدوري تفتقد إلى التواجد الجماهيري، وإن كان ذلك لن يشغل بال من يقبعون خارج الحدود.

وليس من المعقول أن يتواجد المحللون داخل الأستوديو للتعليق على مباراة لأنديتهم، لأن مكانهم الطبيعي وقتها هو مقعد المدير الفني داخل ملعب المباراة، إلا أن البعض انتقد موقفهم بزعم عدم تمكنهم من العمل بحياد في المباريات التي يكون النادي المالك للقناة أحد طرفيها، ما يجعلهم كما يقال "بين نارين"، وهو ما نفاه علي ماهر.

قال المدير الفني لفريق نادي سموحة لـ"العرب"، إن عمله كمحلل في القناة لا يتنافى مع عمله كمدير بنادي سموحة، لأنه يعمل على طرح رؤيته الفنية لأي مباراة دون النظر إلى اسمي الفريقين المتنافسين أو لون القميص، والغريب أن علي ماهر نفسه كان يتولى منصب المدير الفني لنادي بيراميدز.

ولفت ماهر إلى أن العمل بالتحليل يكون بالتعليق على أداء اللاعبين وخطة المدير الفني وكيفية تعامله مع المباراة، والثغرات التي تظهر على أداء أي فريق، وهذا لا يعني إطلاقا أنه ينتقد الأداء، بل هو تحليل فني بحت، يسير على كافة الأندية حتى بيراميدز، لذا أبدى تعجبه ممن ينتقدون الجمع بين عمله كمحلل فني بالقناة ومدرب لسموحة.

وأوضح أن هناك بعض الضيوف من المحللين يتقلدون مناصب رسمية في الأندية، والوضع في نادي بيراميدز يختلف تماما عن ناديي الأهلي والزمالك، لأنهما كما يعلم جمهور العالم العربي بأكمله الغريمان التقليديان في الكرة المصرية منذ العشرات من السنين، وهناك حساسية شديدة بين من ينتمون إلى الناديين، لذا ليس من المعقول أن يعمل لاعب أو مسؤول زملكاوي في قناة الأهلي أو العكس.

وكانت هناك منافسة ساخنة في قناة أون سبورت، فقد عوضت القناة رحيل نجمها الأول مدحت شلبي بالتعاقد مع الإعلامي أحمد شوبير، وتقديم برنامج خاص لمدة خمسة أيام أسبوعيا، والتعليق على البعض من مباريات الدوري، خاصة مباريات فريق الأهلي.

منافسة حامية

لعل وجود شوبير قطع الطريق أمام الإعلامي سيف زاهر، عضو اتحاد الكرة المصري، إذ حال دون أن يصبح النجم الأوحد في القناة بعد رحيل شلبي، ومن المنتظر أن تكون المنافسة حامية لأن شوبير وزاهر سيقدمان الأستوديو التحليلي بالتبادل.

وبدا شوبير مشتاقا للعودة إلى الأستوديوهات التحليلية، وهو ما أقره في تعليق عبر صفحته الرسمية على فيسبوك، لأن قناته السابقة ليست متخصصة في الرياضة، ولم تحصل على حقوق بث أي مباراة، ما اضطره إلى اقتصار برنامجه في هذه القناة على القضايا الرياضية.

وعاد سيد عبدالحفيظ مدير الكرة السابق بالأهلي إلى الأستوديوهات بقناة النادي من مقعد المذيع، لأنه أحد أبناء النادي الذين يجيدون الرد على المنتقدين للفريق، خاصة إذا أتى النقد ممن ينتمون إلى الغريم التقليدي الزمالك، وقد يكون هذا أحد الأسباب الرئيسية في عودة عبدالحفيظ إلى القناة.

يعتب بعض النقاد على الحراك الذي تسببت فيه بعض القنوات القضائية، وقال أحدهم لـ"العرب" إن أضواء المال وليس الكاميرات المبهرة هي التي خطفت أعين الكثيرين ممن يعملون في الإعلام الرياضي، من لاعبين سابقين ومحررين ونقاد رياضيين، وبدت الأموال المتدفقة كفيلة باستمالة البعض إلى هذا الفريق أو ذاك، وهو ما كشف عن أحد عيوب العاملين في الحقل الرياضي بمصر.

> المدير الفني لفريق نادي سموحة قال إن عمله كمحلل في القناة لا يتنافى مع عمله كمدير بنادي سموحة، لأنه يعمل على طرح رؤيته الفنية في أي مباراة دون النظر إلى اسمي الفريقين المتنافسين

وباتت الأمور أكثر انفتاحا، تصديقا للمقولة الدارجة التي تؤكد أن الظهور على شاشة قناة فضائية لمدة ساعة واحدة، يوازي عمل شهر كامل في مجلة أو جريدة متخصصة، لذا فالكل يسعى إلى الظهور على الشاشة أو حتى العمل خلف الكاميرات.

وكل همّ القنوات الفضائية وأصحابها زيادة نسبة المشاهدة، وهذا لن يتحقق إلا بوجود أسماء لامعة وتخفيف حدة الانتقادات، وأصبحت هذه القنوات تبحث عن أشهر الأسماء التي تقدم برامجها عبر موقع يوتيوب، للتعاقد معها وتقديم برامج خفيفة لا تتعدى مدتها نصف الساعة.

وهذا الأمر تحديدا دفع عددا كبيرا من الشبان والفتيات إلى الاهتمام بتسجيل فيديوهات تكشف عن مواهبهم في مجالات عديدة، وعرضها على موقع يوتيوب بعد اعتماد بعض القنوات على هذه المسألة، أملا في الخروج من عالم الإنترنت إلى عالم الفضائيات الثري، الذي يجلب لهم الأموال بعد فترة من العمل، والأهم جلب الشهرة.

الفارق بين الأموال التي تضخها الأندية للظفر بالنجوم وبين ما يتقاضاه نجوم الصف الأول في الإعلام الرياضي، ليس ضخما، لذا فإن سعي كل منهما لتقديم الأداء الملفت هو نتاج طبيعي لما يتقاضونه من أموال، ما يجعل المنافسة حامية داخل المستطيل الأخضر أو داخل الأستوديو، لا سيما وأن قناتي أون وبيراميدز أبرز محطتين متنافستين على ساحة الإعلام الرياضي المرئي حاليا، ونالتا لقب "القطبين" مثل الأهلي والزمالك.

توتنهام وتشيلسي يستهلان موسمهما بانتصارين خارج الديار

ليفربول يدخل البريميرليغ آملا في إنهاء عقود من الانتظار

استهل فريقا توتنهام وتشيلسي مشوارهما في الموسم الجديد للدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم بأفضل طريقة ممكنة، وذلك من خلال انتصارهما خارج الديار السبت، على نيوكاسل 2-1 وهيديرسفيلد تاون 3 - صفر على الترتيب.

❏ **لندن** - استهل فريق توتنهام مشواره في الموسم الجديد بالفوز على مضيفه نيوكاسل 2-1 السبت، في المرحلة الأولى من الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم، والتي افتتحت الجمعة بفوز مانشستر يونايتد على ليستر سيتي 2-1.

وتقدّم توتنهام، الذي أنهى الموسم الماضي في المركز الثالث ليتأهل إلى دوري أبطال أوروبا، بهدف سجله يان فيرتونخين بعد سبع دقائق فقط من بداية المباراة.

وأدرك خوسي لويس سامارتين ماتو التعادل لنيوكاسل في الدقيقة 11، لكن ديلي ألي أعاد التقدم لتوتنهام في الدقيقة 18، ولم ينجح نيوكاسل في خطف التعادل حتى نهاية المباراة ليحقق توتنهام الفوز بنتيجة 2-1، ويحصد أول ثلاث نقاط له بالموسم مقتسما الصدارة مع مانشستر يونايتد.

> ليفربول أحرز لقب بطولة إنكلترا للمرة الأخيرة عام 1990، متراجعا على ساحة الألقاب المحلية لصالح مانشستر يونايتد وجاره مانشستر سيتي وتشيلسي وأرسنال

وعلى ملعب "جالفارم ستاديوم" سجل المدرب الإيطالي ماوريسيو ساري ظهوره الأول بالدوري الممتاز مع فريقه الجديد تشيلسي بفوز خارج الديار.

وتقدّم الفرنسي نجولو كانتي بهدف لتشيلسي في الدقيقة 34، ثم أضاف اللاعب الإيطالي الجديد جورجينيو فريلو الهدف الثاني من ضربة جزاء في الدقيقة 45، قبل أن يختتم الإسباني بيدرو رودريغيز التسجيل في الدقيقة 80.

وفي باقي المباريات فاز واتفورد على ضيفه برايتون 2-صفر، وكريستال بالاس على الوافد الجديد فولهام وأيضا بورنموث على ضيفه كارديف سيتي بالنتيجة ذاتها.

ويحاول اليوم الأحد، المدرب الألماني يورغن كلوب إبقاء سقف التوقعات متواضعا بالنسبة إلى ليفربول عشية المباراة الأولى للفريق في الموسم الجديد من الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم، إلاّ أن النادي الذي أنفق مبالغ طائلة على التعاقدات الجديدة، يبدو مرشحا لإحراز اللقب وإنهاء فترة انتظار امتدت لنحو ثلاثة عقود.

وأحرز ليفربول لقب بطولة إنكلترا للمرة الأخيرة عام 1990، متراجعا على ساحة الألقاب المحلية لصالح أندية عدة أبرزها مانشستر يونايتد وجاره مانشستر سيتي وتشيلسي وأرسنال.

ومع ذلك، عاد ليفربول إلى المنافسة بقوة لا سيما في موسم 2017 - 2018، معتمدا على حنكة كلوب الذي تولى مهامه في أكتوبر 2015، وأعاد بناء الفريق بشكل تدريجي وقاده في الموسم الماضي إلى نهائي دوري أبطال أوروبا، حيث خسر أمام ريال مدريد الإسباني، وحظي بالمركز الرابع في ترتيب الدوري الإنكليزي، بفارق نقطتين فقط عن توتنهام الثالث.

وبنى كلوب تشكيلته في الموسم الماضي حول ثلاثي الهجوم، المصري محمد صلاح والبرازيلي روبرتو فيرمينو والسنغالي ساديو مانيه. وصيف 2018 كان الأكثر نشاطا بين الأندية الإنكليزية في سوق الانتقالات، مع إنفاق قدر بنحو 170 مليون جنيه إسترليني (219 مليون دولار).

وقبل خوضه المباراة الأولى الأحد ضد ضيفه وست هام، قال كلوب في مؤتمر صحافي الجمعة "كان واضحا في لحظة ما أننا سننفق الكثير، علينا أن نبني فريقا قويا يستطيع المنافسة في الدوري الانكليزي الممتاز".

وأنفق ليفربول الملايين للتعاقد مع عدد من اللاعبين يتقدّمهم حارس المرمى البرازيلي أليسون (من روما الإيطالي) ومواطنه فابينيو (موناكو الفرنسي)، ولاعب الوسط الغيني نابي كيتا من لايبزيغ الألماني في صفقة أبرمت قبل أشهر مع بقاء اللاعب في ناديه والانضمام إلى النادي الإنكليزي في موسم 2018 - 2019، والجناح السويسري شيردان شاكيري القادم من ستوك سيتي.

وما ساعد ليفربول على القيام بتعاقدات جريئة، كان رحيل لاعبين بارزين عن صفوفه في الأعوام الماضية لقاء مبالغ كبيرة، مثل الأوروغوياني لويس سواريز والبرازيلي فيليبي كوتينيو إلى برشلونة الإسباني.

وعلى رغم التألق اللافت لصلاح في الموسم الماضي وتتويجه هدافا للدوري الإنكليزي بـ32 هدفا، لم يتمكن كلوب بعد من إحراز أي لقب مع ليفربول، إلاّ أنه صنع "توليفة" متناسقة شكلت خطرا في مختلف المراحل.

وشدد كلوب على أن الإنفاق المتنامي للنادي هدفه بناء فريق يستطيع إحراز اللقب الإنكليزي للمرة الـ19 في تاريخه، والأولى منذ اعتماد صيغة "البريميرليغ" في موسم 1992 - 1993.

وقال كلوب، المدرب الذي قاد بوروسيا دورتموند إلى إحراز لقب الدوري الألماني مرتين والكأس المحلية مرة، "يجب أن نمتلك روح الفريق البطل".

بداية الجد

واعتبر أن على فريقه أن يتقدّم على صعيد الهجوم والدفاع على حد سواء إذا كان الهدف إحراز اللقب وعدم إنهاء الموسم الجديد كسابقه، حيث اكتفى بالمركز الرابع بفارق 25 نقطة عن مانشستر سيتي البطل.

وقال "حامل اللقب مانشستر سيتي لم يخسر أي لاعب، لا بل أضاف إلى قائمته الجزائري رياض محرز من ليستر سيتي، وهذا لا يجعله ضعيفا، شاهدنا أيضا تشيلسي يلعب، وقد ترك انطباعا جيدا".

وبعد ارتكاب حارسه الألماني لوريس كاريوس أخطاء قاتلة في الموسم الماضي لا سيما في نهائي دوري الأبطال الذي فاز به الريال بنتيجة 3-1، عزّز ليفربول صفوفه بالحارس البرازيلي أليسون ودفع مبلغا قياسيا وصل 72.5 مليون يورو ليصبح أغلى حارس في العالم، قبل أن يكسر تشيلسي هذا الرقم بدفع 80 مليون يورو لضم الإسباني كيبا أريسابالاغا من أتلتيك بلباو. ويعتبر كلوب أن فريقه لم يكن محظوظا في الموسم الماضي، وقال "نحن بحاجة إلى القليل من الحظ، أحدهم قال لي إننا كنا الفريق الأقل حظا".

وكثرت التعليقات عشية المباراة الأولى لـ"الحمر" في الموسم الجديد، وكتب قائدهم السابق المدافع جايمي كاراغر في صحيفة "ذي تلغراف" أن "ليفربول انتظر 28 عاما.. ليس فقط للفوز بلقب الدوري، بل ليخوض فترة تحضيرية للموسم الجديد يبدي بنتيجتها النقاد والمشجعون ثقتهم بقدرته على ذلك".

وأتت الإشادات بتشكيلة النادي من الطرف الآخر من المحيط الأطلسي أيضا، مع تغريدة للأسطورة البرازيلية بيليه، أعرب فيها عن اعتقاده بأن الموسم المقبل سيكون "سنة ليفربول، أليسون وفيرمينو".

مجد بعد الأربعين

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❏ قبل حوالي أربعة عقود برز حارس مرمى إيطالي تألق كأفضل ما يكون، فساهم بقسط وافر في رفع راية منتخب بلاده عاليا بعد أن قاده إلى التتويج ببطولة العالم. حدث ذلك في مونديال إسبانيا وتحديدا سنة 1982، في تلك البطولة برز دينو زوف، فحقق بمعية زمرة من اللاعبين الإيطاليين ما يشبه المعجزة بما أن المنتخب الآتزوري لم يكن ضمن المرشحين للمراهنة على اللقب.

غير أن زوف حاز الإعجاب واستأثر بالقسط الأكبر من المعجزة، فالمعجزة تكمن أحيانا في بعض التفاصيل، والمجد الأكبر يتماهى مع المعجزات. لكم أن تتخيّلوا أن هذا الحارس رفع اللقب العالمي وهو في سن الأربعين. لم يسبقه في تحقيق هذا الإنجاز أي لاعب، ولم يسر على دربه بعد مرور 38 عاما أحد. كان التتويج ببساطة أسطوريا وخالدا ومن الصعب أن ينتزعه منه أي لاعب آخر.

لقد كتب زوف التاريخ وصنع المجد في وقت كان كل من يبلغ عتبة الأربعين عاما ينعم بامتيازات "المعاش" الرياضي. فالبعض توجه لخوض تجارب في الحقل التدريبي، فيما اختار البعض الآخر التحليل الفني أما النزر المتبقي فقد اعتزل الميدان الكروي وابتعد نهائيا عن الأضواء، لكن زوف صمد وصبر وصابر واستمر، فكان الجزاء على قدر العطاء والولاء.

اليوم تتكرّر الصورة، لقد أطل "زوف" جديد من وراء السحاب، ومن المفارقات أن من تقمص الدور المشابه لأسطورة حراسة المرمى في إيطاليا، هو حارس آخر ومن إيطاليا أيضا، حارس مرمى ألمعي عبقري، حقق بدوره المجد ورفع اللقب العالمي، لكن في سن الثامنة والعشرين ربيعا، إنه ذلك اللاعب المحبوب وصديق الجميع جانلويجي بوفون.

اليوم بدأ بوفون مسيرة جديدة ومغامرة ومختلفة. لقد بدا وكأنه شاب في مقتبل العمر، كأنه لاعب صعد للتو من فريق الشباب، بيد أن المعطيات مغايرة تماما، فبوفون احتفل منذ بداية العام الحالي بعيد ميلاده الأربعين، أي نعم يا سادة، بوفون ذلك الأسد في عرينه بدأ "العمر الثاني"، ففي الوقت الذي توقع خلاله بعض متابعيه أن يترجل ويختار توديع الملاعب أقر العزم على بدء مرحلة جديدة في مسيرته كلاعب محترف ينتمي لنجوم الصفوف الأمامية.

طريق بوفون كانت مختلفة، لكنها مميزة للغاية، ففي الوقت الذي يختار خلاله أغلب اللاعبين الاعتزال أو الانتقال إلى دوريات مغمورة مثلما حصل مؤخرا مع إبراهيموفيتش وروني وإنييستا، ظفر هذا الحارس بعقد مغر للغاية، فقد فتح أمامه باريس سان جرمان أفقا رحبا لاستكمال سنوات إضافية من العطاء واللعب، لقد ضمن له البقاء مع النجوم والمشاركة في البطولات الكبرى.

قبل ثلاثة مواسم تقريبا، بدأ البعض يتكهن بتاريخ اعتزال بوفون، فقد تجاوز سن التقاعد الكروي، لكن هذا الحارس كذّب التكهنات. لقد مرّ إلى السرعة القصوى منذ موسمين وقدّم عروضا قوية للغاية، فساهم بقسط وافر في محافظة اليوفي على لقب الدوري وساعده في الموسم قبل الماضي للوصول إلى المباراة النهائية لدوري الأبطال، وكاد يفعلها في الموسم الماضي، لكن سوء الحظ حرمه من ذلك في مواجهة قوية للغاية ضد الريال.

بوفون صانع المجد وصائد البطولات قدّم كل شيء لليوفي، لقد كان قدوة وقائدا بكل ما للكلمة من معنى، كان مثالا في الوفاء والولاء والتاريخ يحفظ له تعلقه بيوفنتوس، رغم سقوط الفريق إلى الدرجة الثانية سنة 2006 عشية تتويج هذا اللاعب مع منتخب بلاده بكأس العالم.

بوفون حصد تقريبا كل الألقاب ولم يبتسم له الحظ سوى في مسابقة دوري الأبطال، لقد تألق وحصد النجاح لأنه ظل محافظا على موقفه وقوته ولم يتأثر بـ"طعنات" التقدّم في السن.

كان دائما يسير في ظل ذلك الأسطورة زوف، وفي كل مرة تحين ساعة الرحيل إلا وينتفض من جديد ويعود أقوى من ذي قبل، فيحافظ على فصول التاريخ المشرق ويكتب نصوصا جديدة عنوانها المجد الكروي الخالد.

بيد أن لكل قصة مهما "عظمت" بداية ونهاية، فبداية بوفون كانت خيالية عندما قدم في أحلى سنوات عمره إلى اليوفي قادما من بارما، قصة النجاح المستمرة منذ سنوات طويلة ألا لها أن تكتب خاتمة النهاية، فبوفون اختار الرحيل مع نهاية الموسم الماضي، حينها كتبت الصحف الإيطالية وأطنبت الحديث عن نهاية مرتقبة واعتزال وشيك للاعب أسطوري.

غير أن بوفون فاجأ الجميع، بل أذهلهم وأدهشهم، فاللاعب الأربعيني ظفر بعقد مميّز وجيد للغاية، إذ انتقل إلى أقوى فريق في الدوري الفرنسي، لقد أغراه فريق العاصمة باللعب لفائدته، والأكثر من ذلك أن إدارة هذا الفريق أكدت حرصها على إعطاء الحارس الإيطالي مكانة رفيعة، إذ سيكون الحارس الأول خلال الموسم الجديد رغم وجود نخبة من حراس المرمى الشباب الجيدين للغاية.

أي مكافئة تنتظرك يا بوفون؟ وأي مجد ستكون كل أبوابه مفتوحة أمامك، فقدر بوفون كان طيلة 17 سنة اللعب دوما على الألقاب مع "السيدة العجوز"، وقدره اليوم وهو يتأهب بعد أشهر معدودة للاحتفال بعيد ميلاده الحادي والأربعين أن يقود كتيبة الفريق الباريسي في رحلة العمر نحو "غزو" أوروبا، ومعانقة لقب أمجد الكؤوس.. لو كتب لبوفون الحصول على هذا اللقب، حينها ودون أي شك سيستحق مكانة أعلى من زوف بكثير، مكانة في الصف الأول ضمن الأساطير.

رونالدو يسجل انطلاقته مع يوفنتوس بمباراة ودية

❏ روما - سيكون مشجعو يوفنتوس الإيطالي الأحد على موعد مع نجمهم الجديد البرتغالي كريستيانو رونالدو الذي سيخوض مباراته الأولى بقميص نادي السيدة العجوز، وذلك في لقاء ودي قبل أيام من انطلاق منافسات الدوري المحلي.

وعلى مقربة من جبال الألب، يقيم النادي مباراته الودية التقليدية قبل بداية الموسم، والتي تجمع بين لاعبي الفريقين الأول والرديف، في قرية فيلار بيلوسا التي يقطنها نحو 4100 نسمة فقط وتقع على بعد 40 كلم إلى الغرب من تورينو، وتعتبر بمثابة "المقر الصيفي" لعائلة أنييلي مالكة النادي.

وانضم رونالدو (33 عاما) أفضل لاعب في العالم خمس مرات، إلى يوفنتوس هذا الصيف قادما من ريال مدريد الإسباني في صفقة بلغت قيمتها 100 مليون يورو.

وبعدما اعتاد على الملاعب الضخمة من قبيل سانتياغو برنابيو (ريال) وأولد ترافورد (ملعب ناديه السابق مانشستر يونايتد الإنكليزي)، يبدأ رونالدو رحلته الإيطالية من ميدان صغير في قرية متواضعة، عندما يرتدي القميص الأبيض والأسود ليوفنتوس على أرض ملعب فيلار بيلوسا الذي يطلق عليه اسم اللاعب الإيطالي السابق غيتانيو شيريا.

وسيتخطى عدد المتفرجين في المباراة كامل عدد سكان القرية، بعدما بيعت خمسة آلاف تذكرة، بينما يتوقع أن يتجمع مشجعون إضافيون خارج حدود الملعب لمحاولة رؤية نجمهم الجديد بألوان قميص النادي.

وبعيد انتقال النجم البرتغالي تردّد أن المباراة السنوية قد تنقل إلى ملعب "أليانز ستاديوم" التابع للنادي في تورينو، إلاّ أن يوفنتوس حافظ على تقليد إقامة المباراة في مكانها المعهود، وتقتضي تقاليد المباراة قيام المشجعين باجتياح أرض الملعب بعد خمس دقائق من بداية الشوط الثاني لتحية نجومهم المفضلين والتقاط الصور معهم، وهو ما يؤدي عادة إلى وقفها.

مشوار جديد

الكويت في حالة طوارئ.. والسبب عزوف شبابها عن الزواج

عزوف الشباب الكويتي عن الزواج ظاهرة تثير مخاوف من تفاقمها، لا سيما وأن الأسباب جاوزت غلاء المهور والمعيشة، إلى عوامل أخرى من بينها تأثير السوشيال ميديا في حياة الأفراد واختياراتهم، والرغبة في تحقيق الطموح العلمي، بالإضافة إلى اعتقاد الإناث أن الزواج تقييد لحريتهن.

افتقاد طقوس الزواج

❏ **الكويت** – حذر مختصون من تفاقم ظاهرة العزوف عن الزواج بين الشباب الكويتي في ظل تعدد أسبابها، وذلك على خلفية الاحتفال بيوم الشباب العالمي الذي يوافق 12 أغسطس من كل عام.

ولهذه الظاهرة، وفق المختصين، أسباب عديدة، منها: غلاء المهور، ارتفاع تكاليف حفلات العرس، أزمة السكن، الرغبة في تحقيق طموحات، تنامي الأنانية، فضلا عن وسائل التواصل الاجتماعي.

وقال حمود القشعان، عميد كلية العلوم الاجتماعية في جامعة الكويت، "أجريت دراسة (العام الجاري) أظهرت أن 31 بالمئة من الشباب الكويتي ممن بلغوا من العمر 30 عاما وأكثر لم يتزوج حتى اليوم، مقابل 22 بالمئة من البنات ممن بلغن 30 عاما وأكثر".

هذه الدراسة تكشف عن زيادة في العزوف عن الزواج، مقارنة بدراسة أجراها القشعان أيضا، عام 2017، وأظهرت أن نسبة العزوف بين الإناث بلغت 19 بالمئة، بينما بلغت بين الذكور 31 بالمئة.

وأضاف القشعان أن "أول أسباب العزوف الإرادي لدى الذكور هو أنهم لم يحققوا طموحهم، أما الإناث فالسبب يتمثل في عدم تقدم فارس الأحلام المنشود". وتابع أن "الشعور بالفردية وتنامي الأنانية" هو السبب الثاني، والثالث هو "السوشيال ميديا، التي تعتبر فيروسا ورسائل سرطانية لبذور الشك في الحياة الأسرية بالكويت".

وأشار إلى أن "احتمال الطلاق لمن يتزوج وهو فوق الثلاثين سيكون أكبر من الذين تزوجوا في العشرين". وأفاد أن "مقولة إن (الزواج المبكر يؤدي إلى الطلاق) عفا عليها الدهر، ونقصد بالزواج المبكر على تحمل المسؤولية، إذ أن أكثر الذين يطلقون اليوم هم بين 29 و35 عاما".

ودعا القشعان إلى "تأهيل الأبناء للزواج، وجعلهم قادرين على تحمل المسؤولية قبل الانخراط في المشروع الأسري".

ووفقا للأكاديمي صالح الراشد، فإن "العزوف عن الزواج في المجتمع الكويتي ليس بظاهرة جديدة، ولكن المؤرق في الموضوع هو الازدياد بشكل كبير من الجنسين"، مؤكدا "أهمية الإرشاد الإعلامي لتحفيز الشباب على الزواج وبناء الأسرة الكويتية المسلمة المحافظة على العادات والتقاليد الأصيلة".

ويرى أستاذ علم النفس في جامعة الكويت، خضر البارون، أن "البذخ في حفلات الزفاف أدى إلى صرف الشباب نظرهم عن الزواج وتأخيره".

وحذر من أن "تنصل الشباب من الحياة الزوجية ومسؤولياتها يؤدي أحيانا إلى ارتكاب الجرائم وانتشارها في المجتمع".

وقال جابر نايف، شاب كويتي تزوج بعد الثلاثين، إن سبب تأخره في الزواج هو حرصه على إكمال دراسته، واعتقاده بأن الزواج يعوق الحصول على شهادة تليق بشاب يطمح إلى تقلد منصب ووظيفة مناسبة. وأضاف أن "من أبرز المثبطات "تجارب الأصدقاء والأقارب المليئة بالمشكلات الزوجية".

أما هبة عبدالرحمن، وهي مواطنة كويتية، فقالت إن "كويتيات كثيرات يعتقدن أن الزواج مقيد لحريتهن، خاصة وأنهن يرين أن الشباب الحالي لا يعتمد عليه في تحمل مسؤوليات العائلة". وأضافت أن "الكثير من الشباب يترك متطلبات المنزل ومسؤولية الأبناء على عاتق المرأة، وهو ما يساهم في زيادة ترددهن والتفكير مليا قبل الارتباط".

صباح العرب

عدلي صادق

وليد خازندار

❏ كنا طفلين حديثيْ الولادة، ولم تكن قد ارتسمت بعد، ملامح تساعد الوالدتين، على التمييز بيننا، إن غفونا متجاوريْن. ظللنا نكبر معا. هو في ناظر الطفل الذي كنت، الصديق الذي يلتقيني عند باب الخؤولة، وأنا ابن عمته!

أصبحنا يافعيْن. وعند مفترق الطرق. كان يحدثني عن القلم، وكنت أحدثه عن السلاح. سلكنا طريقين متباعدين في الزمان والمكان. أراد له أبوه، جهبذ الكهرباء في غزة، البارع دون تعليم في صنع موتورات كل شيء؛ أن يقتفي أثره وأن يتعلم الصنعة على أصولها عند الألمان. وأبوه المرحوم الذي علّمه الصنعة، كان صعب المراس مُهابا لا يُرفض له أمر. فإن صرخ عليه من أسفل البناية، ارتعدت فرائصه، اخترع الصغير لمخيلته فضاء مريحا، تشف فيه نفسه عن دواخلها، بعد أن ارتجل لها حُبّا عُذريا من ذاك الذي عرفته العرب البائدة، وأنشد له عروة بن حُزام، وأورثته البادية لأسلافها، مع شعرائه ومروياته!

كانت شرفة المنزل، في شارع عمر المختار، تطل على دار سينما النصر. يرقب منها المحب، خطاط السينما البارع، عبد حفني، وهو يتفنن بريشته، في كتابة اسم الفيلم الجديد، على جدار شاسع. ووليد يتخيل وسيلة الربط، بين حكايته وعنوان الفيلم.

غادر غزة، نزولا عند رغبة أبيه. لكنه في الدنيا الأخرى، آنس في نفسه القدرة على اتخاذ القرار. ارتحل من ألمانيا قاصدا بيروت، حيث صخب الفصائل والأحزاب، ورطانات السياسة، ومقاهي الشعراء، وسخونة الصحافة. التحق هناك بالقطاع الثقافي من منظمة التحرير الفلسطينية، واسترسل في محاولاته الشعرية. وفي سياقه ذاك، ظل يلتزم إيقاع تأملاته الأولى في مرحلة الحب العذري: رهافة إحساس تدحض الصراخ المرعب، وإيجاز شديد في العبارة، وانفلات من قيود الأوزان والاكتفاء بموسيقى الكلام، ورقة في الحياة ذات إهاب أروستقراطي. كان المزج في القصيدة بين العاطفة ومقاصدها الدلالية، وكانت المزاوجة بين توتر العبارة الشعرية وتماسك القصيدة. ولما رأى النقاد كل ذلك في قصائده المنشورة في ديواني "غرف طائشة" و"أفعال مضارعة"؛ تذكرت التلازم بين توتر العبارات التي غمرت أوقاته صغيرا، في ورشة الكهرباء، وتماسك الحُلم الذي ظل يتوسل رهافة الإحساس والاقتصاد في العبارة، والتزام الحب العُذري، بتكتمه ورقته!

بعد أن لفظني السجن الإسرائيلي، علمت أنه في بيروت، وشعرت أن المسافات قد اقتربت، والتقينا بانفعال عاطفي.

لا زال وليد خارجا، فلم يعد عندما أتيح له أن يعود، بشفاعة ما تلقته غزة من وعود، وقبل أن تستأنف المدينة سيرها في طريق الجلجلة!

بريطاني يجوب أوروبا رافعا شعار «أوقفوا بريكست»

❏ **لندن** – بدأ الشاب البريطاني أندي باردي، وهو من المدافعين بشراسة عن فكرة البقاء في الاتحاد الأوروبي، رحلته هذا الصيف على طرقات أوروبا ليشكل عبر مساره عبارة "أوقفوا بريكست" بأحرف عملاقة على خارطة القارة، بواسطة تطبيقه لتحديد المواقع الجغرافية.

ومع اقتراب موعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في مارس المقبل، ترك مستشار المعلوماتية باردي البالغ 28 عاما عمله في اكسيتر (جنوب غرب إنكلترا) للقيام بـ"جولة وداعية" تمتد على 30 ألف كيلومتر يعبر خلالها حوالي ثلاثين بلدا.

وأوضح باردي من شمال فنلندا التي حط رحاله فيها أخيرا "أريد الإفادة حقا إلى أقصى حد من آخر صيف لنا في الاتحاد الأوروبي".

وأضاف "أريد أن أظهر أفضل ما يمكن للقارة الأوروبية أن تقدمه لنا".

ويروي مغامراته على موقع إلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي تحت اسم "ذي روغ كونسالتنت" (المستشار المتمرد).

وتعبُر رحلة هذا الشاب حوالي 26 بلدا من بلدان الاتحاد الأوروبي الـ28 وهي تستلزم بحسب توقعاته ما لا يقل عن 335 ساعة من القيادة على متن حافلة اشتراها خصيصا من أجل هذه "الجولة الوداعية".

ويأمل باردي في أن يلفت الأنظار إلى حرية التنقل الممنوحة للمواطنين الأوروبيين في داخل الاتحاد الأوروبي، وهو ما يخشى البريطانيون أن يفقدوه بعد خروج بلادهم من هذا التكتل.

وقال "الحق في السفر والعيش والعمل في أوروبا من دون المعاملات الإدارية المضنية امتياز كبير"، مضيفا "سيكون من المؤسف حقا تعقيد هذه الإجراءات".

وقد خطرت فكرة هذه الرحلة المشحونة بالرسائل السياسية على بال هذا الشاب عندما كان يتبع مسار تحركاته خلال ممارسته رياضة الجري، إذ لاحظ أن في وسعه رسم أحرف على خارطة.

وأوضح "قلت لنفسي إني قادر بلا شك على القيام بذلك على نطاق أوسع". واستقال عندها من وظيفته كمستشار واشترى حافلة وأمضى أسابيع عدة في التحضير بدقة لرحلته.

ولتمويل مشروعه، سحب باردي أموالا من مدخراته التي كان ينوي إنفاقها أساسا في مشروع عقاري. وهو يقر بأن "القرار كان صعبا".

وبعد إنجاز التحضيرات، باشر رحلته وحيدا في منتصف يوليو الماضي منطلقا من اسكتلندا ثم مر بأيرلندا قبل العودة إلى إنكلترا. والتحقت به حبيبته التي عبر معها إلى النرويج والسويد.

وبعد اجتياز الحدود الفنلندية، يعتزم باردي الانتهاء من رسم حرف "أس" في عبارة "ستوب.. بريكست"، أي أوقفوا بريكست.

ويعتزم إكمال رحلته في دول البلطيق لينتقل بعدها إلى مدينة بلباو الإسبانية في أكتوبر المقبل، قائلا "هذه التجربة مذهلة حتى الساعة. لقد التقيت بأشخاص رائعين في طريقي وجميعهم قدموا لي الدعم".

وبعد الأضواء التي سلطت على مشروعه، تلقى العشرات من الدعوات إلى الغداء أو النوم من سائر أنحاء أوروبا.

ويؤيّد باردي بشدة إجراء استفتاء جديد بشأن بقاء بريطانيا في الاتحاد الأوروبي، لكن آماله في هذا الموضوع ضئيلة.

وأوضح "أصبت بالخيبة بفعل النقاشات والتحضيرات لـ'بريكست'، لذا حرصت على تقديم مساهمة شخصية وإيجابية في آن".

انضمت الممثلة المصرية حنان ترك إلى مجموعة الفنانين الذين لفتوا الانتباه مؤخرا إما بالمرض وإما بخلع الحجاب، وذلك من خلال حذفها لصورها من حسابها الرسمي بموقع إنستغرام، مما أجج الاعتقادات بأنها ستحذو حذو مواطنتها حلا شيحة، لا سيما وأنها سبق وأن أعلنت عودتها للساحة الفنية عبر تقديم أعمال إذاعية وكرتونية بصوتها

حضور يشاركون في الرقصة التقليدية للشعوب الأصلية بعاصمة غويانا الفرنسية كايين بمناسبة يومهم العالمي

كوالا تحظى بمقعد خاص على متن طائرة

❏ **دوسلدورف (ألمانيا)** – أفادت حديقة حيوانات بأن ركّاب طائرة تفاجأوا خلال رحلة من دوسلدورف إلى إدنبرة بحيوان كوالا يسافر معهم في مقعد خاص به في إطار برنامج لحفظ هذا النوع الحيواني.

وغادر تانامي، وهو كوالا في شهره التاسع عشر، حديقة حيوانات دوسبورغ في ألمانيا، قاطعا أكثر من 1100 كيلومتر لينضم إلى حديقة في إدنبرة.

وصرّح دارن ماكغاري المسؤول عن الحيوانات في حديقة إدنبرة بأن "الكوالا حيوان حساس جدا، لذا لا بد من اتخاذ تدابير خاصة عند نقله. هذه الحيوانات تسافر مع الركاب لتتسنّى للمشرفين عليها مراقبة وضعها".

وقد سافر الحيوان مساء الخميس في قفص وضع على مقعد. ونشرت حديقة إدنبرة عدة صور للكوالا على حسابها في تويتر يظهر فيها معلقا بغصن ومحاطا بنبات الأوكالبتوس طعامه المفضل.

وقال غوردن ديور مدير مطار إدنبرة "نستقبل مسافرين من كافة أنحاء العالم أجمع في مطار إدنبرة، لكنّ قليلين هم بظرافة الكوالا".

ويحلّ تانامي محلّ تويري وهو كوالا ذكر يعيش في حديقة إدنبرة سيسافر بالطائرة الأسبوع المقبل إلى ألمانيا.